النظم الدبلوماسية في الدولة العباسية بين عامي

(١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م)

دراسة تاريخية

ليلى بنت خميس بن سرور اليحيائية

مشروع بحثي/ رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير

في الآداب تخصص: التاريخ

قسم التاريخ

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

جامعة السلطان قابوس

سلطنة عمان

مارس ٢٠٠٦م

(لجنة المشروع البحثي/الرسالة)

اسم الطالبة: ليلى بنت خميس بن سرور اليحيائي الرقم الجامعي: ٤٣٧٥٧

عنوان الرسالة: النظم الدبلوماسية في الدولة العباسية (١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م) دراسة تاريخية

لجنة المشروع البحثي/ الرسالة:

١- المشرف الرئيس: أ.د. فاروق عمر فوزي

الدرجة العلمية: أستاذ

القسم: التاريخ

الكلية: الآداب والعلوم الاجتماعية

التوقيع:............................ التاريخ: ١/٣/٢٠٠٦م

٢- عضو لجنة الإشراف: سعادة المكرم د. سعيد بن محمد الغيلاني

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد

القسم: التاريخ

الكلية: الآداب والعلوم الاجتماعية

التوقيع:............................ التاريخ: ١/٣/٢٠٠٦م

عضو لجنة الإشراف: د. إبراهيم عبد المنعم سلامة

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد

القسم: التاريخ

الكلية: الآداب والعلوم الاجتماعية

التوقيع:............................ التاريخ: ١٤/٢/٢٠٠٦م

ـة مناقشة المشروع البحثي/الرسالة)

مناقشة المشروع البحثي/ الرسالة:

ـئيس اللجنة:.....د. عبد المنعم بن منصور الحسني..........
ـة العلمية:..دكتور...
:...الإعلام...
/ المؤسسة:..الآداب والعلوم الاجتماعية.......................
ـع:........................التاريخ:..١/٣/٢٠٠٦....

لمشرف الرئيس: أ.د. فاروق عمر فوزي
ـة العلمية: أستاذ
: التاريخ
: الآداب والعلوم الاجتماعية
ـع:........................التاريخ:..١/٣/٢٠٠٦....

العضو (ممثل رئيس القسم):..بدرية هلال العلوي.................
ـة العلمية:...دكتور...
:...التاريخ..
/المؤسسة:..الآداب والعلوم الاجتماعية.......................
ـع:........................التاريخ:...١/٣/٢٠٠٦..

الممتحن الخارجي:...الحبيب بن عبد الله.......................
ـة العلمية:...دكتور...
:...التاريخ..
/ المؤسسة:..الزيتونة/تونس.......................
ـع:........................التاريخ:..١/٣/٢٠٠٦....

الإهداء

إلى أرض منحتنا متسعا لأحلامنا وطموحنا........ إلى بلدي عمان

إلى والديَ اللذين رافقا كل خطوي لأصل إلى هذه المرحلة

إلى أولئك الذين شحذوا همتي بدعمهم المعنوي دون حدود

مع خالص تقديري،،،

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف خلق الله محمد الصادق الأمين، المبعوث هاديا ومعلما ، وعلى آله التابعين، وبعد،،،

عرفانا مني بالجميل أسجد لله شاكرة عظيم فضله وجميل توفيقه، الذي أعانني على إنجاز هذا المشروع البحثي، كما يحتم عليّ الواجب أن اشكر كل من لهم الفضل في إظهار هذا المشروع إلى حيز الوجود، فالشكر العميق إلى الفاضل الأستاذ الدكتور/ فاروق عمر فوزي، المشرف الرئيس على المشروع البحثي، الذي أمدني بواسع خبرته وتوجيهاته المنهجية والعلمية، كما أقدر له تفضله بقبول الإشراف على هذا المشروع البحثي.

وأتقدم بخالص شكري إلى سعادة المكرم الدكتور/ سعيد محمد الغيلاني المشرف المساعد الذي لم يبخل علي بالمساعدة سواء بما أمدني به من كتب علمية ذات صلة بموضوع الدراسة أو بالعون المعنوي. وكذلك الدكتور/ إبراهيم عبد المنعم سلامة المشرف المساعد لما أحاطني به من توجيه ، والذي لم يبخل علي كلما قدمت إليه طالبة النصح خصوصاً في المنهجية التاريخية.

ولا يفوتني أن أنوه بالشكر والتقدير إلى كل من الأستاذ الدكتور/ محمد محمد أمين، والأستاذ الدكتور/ إبراهيم الزين صغيرون على توجيههما وإرشادهما ومواقفهما الإنسانية معي.

كما يطيب لي أن أتقدم بعظيم الامتنان إلى وزارة التعليم العالي التي أمدتني بالوقت اللازم لإتمام هذا المشروع، وما وفرته لي من التسهيلات الإدارية. والشكر موصول إلى جامعة السلطان قابوس ممثلة في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية/ قسم التاريخ، وإدارة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية؛ للتسهيلات الإدارية والفنية في داخل الجامعة وخارجها، وفي المكتبات والمراكز الخارجية، كما اوجه كلمة شكر للعاملين في مكتبة جامعة السلطان قابوس وعلى رأسهم الأستاذ سعيد بن هلال الحراصي لما قدموه لي من كبير العون والتسهيلات العلمية المتعلقة باستخدام الكتب والمواد العلمية ذات الصلة المباشرة بموضوع الدراسة.

واوجه كلمة شكر صادقة إلى كل من الأستاذ علي بن سعيد الريامي وأحمد بن هلال اليحيائي، لما تحملاه من عناء البحث معي في سبيل الحصول على الكتب التي تتعلق بموضوع دراستي من داخل السلطنة وخارجها. وشكري الجزيل لاخوتي وأخواتي وجميع من قدم لي خدمة أفادت في إخراج رسالتي على هذه الصورة، والشكر موصول للمحكّمين ولجنة المناقشة، وجزى الله الجميع عني خير الجزاء.

ملخص المشروع البحثي

النظم الدبلوماسية في الدولة العباسية (١٣٢-٣٣٤هـ/ ٧٥٠- ٩٤٥م)

دراسة تاريخية

إعداد: ليلى بنت خميس بن سرور اليحيائي

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى فعالية السفارات كأحد الأنظمة الدبلوماسية المتبعة في المسار السياسي والعلاقات الخارجية بين الدول، في فترات السلم والحرب، وقد أثبتت الدولة العباسية مدى نجاح تلك السفارات في تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها، وما ترتب على نجاح مهامها من نتائج إيجابية كان لها أكبر الأثر في مختلف النواحي السياسية والحضارية.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي الإستنتاجي القائم على تحليل ما ورد عن تلك السفارات في مختلف المصادر التاريخية، وإعطاء صورة توضيحية عن أغراض تلك السفارات وأهدافها وما ترتب عليها من نتائج.

هذا وتنقسم الدراسة إلى تمهيد لإعطاء صورة عامة عن الأوضاع السياسية للخلافة العباسية في الفترة التي شملتها الدراسة بالإضافة إلى مقدمة تناولت بعض الدراسات السابقة وتحليلات لبعض المصادر الرئيسية ذات العلاقة المباشرة بموضوع الدراسة، وثلاثة فصول وخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

ففي الفصل الأول تم استعراض ملامح النظم الدبلوماسية قبيل العصر العباسي، أما الفصل الثاني فتم التركيز فيه على ما يتعلق باختيار السفراء وأهم سماتهم، بالإضافة إلى استعراض أنواع الهدايا التي كانت متبادلة بين الخلفاء والملوك ، ودلالتها. في حين تناول الفصل الثالث أنواع السفارات وأغراضها، ونتائجها.

وقد توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج المهمة كان من أهمها، اتساع مجال السفارات ذات الغرض الثقافي عما كان عليه سابقا، مما أثّر بشكل إيجابي في الرقي الحضاري الذي شهدته تلك الفترة. ويتبين لنا من هذا أن الدبلوماسية والسفارات قد لعبت دورا مهماً في علاقات الدولة العباسية مع دول الجوار المختلفة.

ABSTRACT

The Diplomatic Institutions In Abbasid State

(١٣٢-٣٣٤A.H/٧٥٠-٩٤٥A.D)

A Historical Study

Prepared by: Laila bint Khamis bin Suroor Al Yahyaei

This study aims to explore the extent of the efficacy of embassies as an institution of diplomacy in the political and foreign relations between nations in times of war and peace. In this respect, the Abbasid state proved how successful the embassies were in realizing its aims. The embassies proved successful in producing positive results which affected different issues of political and civilizing aspects.

The study adopted the analytical method, applying the critical analysis of the different historical sources relating to the aims and objectives of these embassies. This gave a clear and an illuminating picture of the aims and significance of these embassies.

The study consists of three chapters with a preface, introduction and conclusion. The preface gives a general survey of the political affairs of the Abbasid Caliphate during the period of study. The introduction examines some of the previous studies on the subject and gives an analysis of the primary sources which have been consulted. The first chapter deals with the diplomatic institutions which prevailed before the Abbasid era. The second chapter concentrates on the selection of ambassadors and their qualifications. It also describes the types of presents and souvenirs exchanged between Caliphs and Kings. The third chapter considers the different types of embassies discussing its aims and results.

In conclusion, the researcher refers to a number of results of his study, the most important of which was that this historical era witnessed a considerable number of embassies with cultural aims which had a positive influence on civilization and progress.

قائمة المحتويات

المقدمة

قامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية في عام ١٣٢هـ/٧٥٠م بعد أن تركت الأخيرة دولة مترامية الأطراف لتلعب الدولة العباسية دورا واضحا في عملية الارتقاء دهار الحضاري، حتى سمي عصرها الأول بالعصر الذهبي.

وقد تزامن عصر الدولة العباسية مع وجود قوى متنافسة، فإلى جانب الدولة العباسية، هناك الإمبراطورية البيزنطية، والدولة الكارولنجية (الفرنجة)، والكيانات السياسية التركية اطورية الصين وممالك الهند، هذا بالإضافة إلى الدولة الأموية في الأندلس، وقد اتسمت ات هذه القوى مع بعضها البعض بالعدوانية تارة والسلمية تارة أخرى بما يتفق وتحقيق الحها.

وفي خضم هذا التنافس كان على الدولة العباسية أن تقيم صلات وعلاقات دبلوماسية مع القوى المعاصرة لها، فكانت السفارات من أساليب الدبلوماسية التي انتهجتها الدولة العباسية علاقاتها الخارجية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، وخصوصا في عهد ناء هارون الرشيد والمأمون والمعتصم وغيرهم.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن تلك السفارات التي تم تبادلها في الفترة موضوع البحث ي صورة جيدة عن نوع العلاقات التي ربطت الدولة العباسية مع غيرها من الدول، وما قد وي تحتها من أمور تفسح مجالاً واسعاً للبحث فيها، وتفتح آفاقا جديدة لأبحاث أخرى مكملة الدراسة.

أهمية الدراسة :

تمتد فترة الدراسة بين عامي (١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م)، والتي عُدّت من اكثر فترات الدولة العباسية بروزاً وازدهاراً وقوة في مختلف المجالات وخاصة السياسية والاقتصادية. إلا أن التاريخ الدبلوماسي للدولة العباسية لم يحظ بدراسة مستقلة رغم ما يمثله من أهمية، وما كتب حول هذا الموضوع لا يعدو كونه ضمن إطار اشمل عند الحديث عن التاريخ السياسي للدولة العباسية، وتأمل الباحثة من خلال هذه الدراسة تسليط ضوء أكبر على هذا الموضوع.

تهدف هذه الدراسة إلى تناول التطور الدبلوماسي للدولة العباسية من خلال معالجة أسباب ونتائج السفارات المتبادلة بين الدولة العباسية والقوى المعاصرة لها، والتي تعكس الوضع السياسي والاقتصادي والثقافي للدولة، وأثر الظروف الداخلية والخارجية على سير علاقاتها مع الأطراف الأخرى.

ومن بين المسائل التي تثيرها هذه الدراسة مسألة تبادل الهدايا، والتي لم تلق نصيبها من الدراسة رغم تكرار ذكرها بالمصادر، ذلك أن مجرد ذكرها له العديد من الدلالات والأهداف تتضح أهميتها في تعزيز أواصر العلاقات بين الدول.

ثم أن التعرف على أغراض ومهام تلك السفارات يعطي صورة واضحة عن اتجاهات الدولة العباسية، ويبرز الدور الدبلوماسي الفعال لدى الخلفاء، ومدى اهتمامهم بهذا الجانب كأحد أوجه سياساتهم الخارجية، وهو أمر طبيعي في ظل امتداد نفوذ دولتهم الأمر الذي استدعى قيام نشاط دبلوماسي تعددت أهدافه وتنوعت أغراضه.

هذا من جهة ومن جهة أخرى يمكن القول أن الظروف التي كانت تمر بها الدولة العباسية أحياناً والتي ترجح فيها كفة القوى الأخرى عليها، قد يؤدي إلى التباين في نشاط السفارات، وأنواعها، وأغراضها، وما قد يترتب على هذه السفارات من تأثيرات إيجابية وسلبية على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية بالنسبة للدولة العباسية، وهو ما تسعى الدراسة إلى إبرازه والكشف عنه.

كما تبحث هذه الدراسة في الجدل والمشادة التي وقع فيها المؤرخون وغيرهم من الكتاب والباحثين حول مصداقية العلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان، وما ذكر من تبادل السفارات الرسمية بينهما، وما ترتب على هذه السفارات الرسمية من امتيازات منحها الخليفة هارون للإمبراطور شارلمان، وهي مسألة جديرة بالبحث بغية الوصول إلى نتيجة مقنعة حول ما أثير حول تلك العلاقة من آراء وتكهنات. كما تم الحديث عن طبيعة العلاقات التي كانت تربط الدولة العباسية بكل من الهند والصين، والتي غلب عليها التبادل التجاري.

منهج الدراسة:

تفرض طبيعة موضوع هذه الدراسة جمع النصوص المتعلقة بالتاريخ الدبلوماسي للخلافة العباسية في الفترة موضوع البحث من مصادرها الأصلية، وفهمها، وتحليلها، ومحاولة الربط بينها للوصول إلى صورة أقرب إلى الصحة لأهم النظم الدبلوماسية التي وجدت أو استحدثتها ظروف مطالع العصر العباسي، وإعطاء تفصيلات أوضح حول ما يتعلق بالسفارات العباسية من دوافع، وأهداف، ومراسيم، مع إخضاع النصوص الواردة حولها، ومختلف وجهات النظر للمنهج

العلمي في البحث التاريخي القائم على الاستقراء، والتحليل، والنقد، والخروج بالنتائج المرجوة من هذه الدراسة.

الدراسات السابقة:

من خلال استقراء الدراسات السابقة لموضوع التاريخ الدبلوماسي للخلافة العباسية، اتضح للباحثة أن اغلبها يتصف إما بشمولية الطرح والتعميم أو تناول لجزئية معينة، وبعضها يختص بفترات تاريخية لاحقة في العصر العباسي، غير أنه تم الاستفادة من التحليلات والتفسيرات والتخريجات التي توصلت إليها تلك الدراسات في بعض الجوانب التي عالجتها هذه الدراسة، ولعل من بينها كتاب رضا السيد حسن الموسوم **(المعارك والأسر بين العرب والروم)**، المنشور بالدار العالمية بالأردن عام ١٩٩٢م، وتحتوي هذه الدراسة على فصل بعنوان (السفارات الشخصية زمن العباسيين)، وتناول فيه المؤلف كيفية معاملة السفراء، وأنواع السفارات، وفي نفس هذه الدراسة تم تخصيص فصل آخر بعنوان (الافدية الجماعية المنظمة في العصر العباسي)، وكذلك كتاب بعنوان **(العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية ١٣٢-٢٣٢هـ رؤية حضارية)** للدكتور أحمد توني عبد اللطيف الذي نشر في مركز الإسكندرية في عام ٢٠٠٤م، حيث تناول دبلوماسية الخلفاء الأمويين في جزئية بسيطة، ثم تناول العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية في الميدان السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

تقسيمات الدراسة:

تتقسم الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، جاءت على النحو التالي:

أما التمهيد فيقدم صورة عامة عن الأوضاع السياسية للخلافة العباسية في الفترة موضوع البحث بين عامي (١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م) وأهم ملامح سياسة خلفائها، بداية بالخليفة أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ/٧٥٠-٧٥٣م)، وحتى نهاية عهد الخليفة أبو القاسم عبد الله المستكفي بالله (٣٣٣-٣٣٤هـ/٩٤٤-٩٤٥م)، وعرض صورة مختصرة، لأهم المؤسسات التي برزت في الدولة العباسية كالوزارة والدواوين والقضاء والشرطة وغيرها.

ويتناول الفصل الأول ملامح النظم الدبلوماسية قبيل العصر العباسي، ويشتمل على محورين، تم تخصيص الأول منه لديوان الرسائل على اعتبار انه ركن أساسي في مسألة العلاقات الدبلوماسية مع الدول الخارجية، وعامل منظم ومكمل لمسألة تبادل السفارات معها، وتم التركيز هنا على الديوان من حيث مفهومه، والغرض من إنشائه، وتنظيمه الإداري، أما المحور الثاني فيعالج اللغة الدبلوماسية التي يتم التعامل بها بين الدول من خلال سفاراتها، ومدى أهمية معرفة لغة الشعب الذي يرسل إليه السفراء، وعرض لنماذج من السفارات الأموية ذات الأغراض المتعددة كمدخل للفترة العباسية موضوع الدراسة.

أما الفصل الثاني فيتطرق إلى النظم الدبلوماسية في الدولة العباسية في الفترة بين عامي (١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م)، بدءاً بالتعريف بمصطلح السفير، وأهم التسميات المرادفة له ثم الشروط التي يتم من خلالها انتقاء السفراء، وأهم السمات التي يجب توفرها لدى السفير.

كما تطرقنا باختصار إلى ذكر ملابس السفراء، فضلاً عن مراسيم استقبال السفراء في الدولة العباسية، والهدايا التي كان يتم تبادلها بين الخلفاء العباسيين وأباطرة وملوك وحكام الدول الأخرى.

أما الفصل الثالث فحمل عنوان (أغراض السفارات)، استعرضت فيه دوافع تبادل السفارات في الدولة العباسية، والتي تنوعت في مضمونها ما بين دوافع سياسية، وتجارية، وأخرى ثقافية، ثم تتدرج إلى ذكر أغراض السفارات وأهدافها.

واستعرضت الخاتمة أهم النتائج التي خلصت بها هذه الدراسة، والتي توضح طوراً من أطوار الرقي الحضاري للامة الإسلامية، ومدها لجسور التفاهم والسلام، والأخذ والعطاء في بناء الحضارة الإنسانية التي كانت الدبلوماسية والعلاقات السلمية ركيزة من ركائزها الرئيسية.

عرض وتحليل لأهم مصادر ومراجع الدراسة:

استلزم موضوع البحث العودة قدر الإمكان إلى المصادر الأولية والمراجع العربية وكذلك الأجنبية المترجمة والمتنوعة في التاريخ والجغرافيا، التي تعرضت بشكل أو بآخر إلى بعض جوانب هذا الموضوع، وقد كان ترتيبي لها تاريخياً، ومن أهمها:

أولاً: المصادر التاريخية:

(١) **تاريخ خليفة بن خياط**، لخليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) والذي أشار إلى أهم الحركات السياسية التي واجهت الدولة العباسية، كما أشار إلى أمور تبادل الأسرى، غير أنها معلومات مقتضبة لا تعطي تفاصيل كافية، إلا أنها مهمة في مضمونها.

(٢) **فتوح البلدان للبلاذري**، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) حيث يتضمن معلومات مفيدة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت أقاليم المشرق الإسلامي ومنها الدولة العباسية، فيورد أخبار عن الخلافة العباسية في الفترة من (٢٢٧-٢٥٥هـ/٨٤٤-٨٦٩م)، ومن المعلوم أن البلاذري كان ممن اسند إليه بعض المهام التربوية في

قصر الخلافة، حيث ألف فتوح البلدان، وأهمية هذا المصدر يأتي من كونه معاصرا لأجزاء من فترة الدراسة، لكنه لا يعطينا معلومات تفصيلية عن السفارات التي قامت بين الخلافة العباسية والدول الأخرى.

(٣) **تاريخ اليعقوبي**، لليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (ت٢٨٢هـ/٩٠٤م)، والذي عرض لأهم الأحداث التاريخية للدولة العباسية وفق الترتيب الزمني لخلفائها، إلا انه لا يعطي تفصيلات وافية حولها.

(٤) **تاريخ الأمم والملوك**، للطبري أبو جعفر محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، الذي اعتمد على الأسلوب الحولي في ذكر الأخبار، وقد استفدت منه في موضوع الدراسة من خلال ذكره لبعض الوفادات التي أوردها الطبري إلى جانب نصوص الرسائل المتبادلة بين خلفاء الدولة العباسية والدول الأخرى خاصة مع ملوك الروم هذا فضلا عن إشاراته العديدة في السنوات المختلفة للصوافي الشواتي، وإدارة الثغور والعواصم من جانب الدولة العباسية، وكذلك يعرض لبعض الافدية وتبادل الأسرى، وإن كانت طريقة طرحه لها تخلو من وجهات النظر في أغلبها، وورود بعض الحوادث كأخبار دون تفصيل فيها.

(٥) **كتاب الوزراء والكتاب**، للجهشياري محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/٩٤٢م) ويعد الجهشياري من رجالات الدولة العباسية هو ووالده زمن الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠ﻫ/٩٠٨-٩٣٢م)، وبالتالي فإن كتابه هذا يعد مصدراً معاصراً للأحداث التي جرت، حيث غطى جانبا مهماً في الأوضاع السياسية التي مرت بها الدولة العباسية، فضلاً عن المؤسسات الإدارية التي نشأت في الدولة العباسية واهتمام الخلفاء بالدواوين التي استحدثت في عصر الدولة العباسية، وإن كان من

المتوقع ذكر مؤلف معاصر للأحداث لأمر السفارات المتبادلة بين الدولة العباسية والدول الأخرى والاستفاضة فيها.

(٦) **التنبيه والإشراف، وكتاب المروج والذهب**، للمسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) وفيه يتعرض إلى ذكر أهم الفداءات التي حدثت في أيام العباسيين مع ملوك الروم، ويفيدنا هذا المصدر بشكل خاص في التعرف على أطراف الفداء واعداد المفتدين من الطرفين وغيرها من الأمور المتعلقة بأمور فداء الأسرى بأسلوب سلس.

(٧) **رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة**، لابن الفرا أبو علي الحسين بن محمد (٤٥٨هـ/١٠٩٢م) حيث استفدت من النصوص الواردة فيه والمتعلقة بصفات الكتّاب والرسل، والمتبوعة في حالات عدة بدلائل من السفارات المتناولة في موضوع الدراسة، إلا أنها تظل دراسة لا تختص بأكلمها بالدولة العباسية بل تعطي ومضات عن أسلوب اختيار الرسل في دول وعهود مختلفة ويأتي جل اهتمام ابن الفرا على هذا الجانب دون ربطه بالأوضاع التي تمر بها تلك الدول.

(٨) **سيرة شارلمان** لاينهارد مؤرخ الإمبراطور شارلمان، ترجمه إلى العربية عادل زيتون، وقد تناول العلاقات بين الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان، إلا أن تناوله لها جاء في صفحات بسيطة ولم يعطي تفصيلات كافيه حول المعلومات التي أوردها، وقد عمل المحقق على محاولة تغطية هذا النقص بطرح تفسيراته وإعطاء رأيه حولها.

ثانياً: المصادر الجغرافية:

(١) **كتاب البلدان** لابن الفقيه الهمذاني (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م)

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

استفدنا من كلا المصدرين في التعريف بمواقع المدن، والثغور التي ورد ذكرها في المشروع البحثي، إلا أن بعض المواقع لم نجد لها تحديدا واضحاً في تلك المصادر، مّما اضطرنا إلى الأخذ بأقرب تحديد يتناسب ومجريات الأحداث.

ثالثاً: الدراسات والمراجع العربية الحديثة:

(١) المعارك والأسر بين العرب والروم، لرضا السيد حسن، أحالتنا هذه الدراسة إلى معلومات حول السفارات العباسية وأنواعها فضلا عن تناولها لموضوع الافدية الجماعية المنظمة في الدولة العباسية.

(٢) السفارات في الإسلام، لمحمد السفير التابعي، تناولت الفترة العباسية من ضمن الفترات الإسلامية، وفتحت لنا آفاقا أوسع حول الدوافع العباسية لتبادل السفارات مع البيزنطيين بشكل خاص، كما افدنا منها في مسألة فداء الأسرى وتبادلهم. إلا انه يؤخذ على هذه الدراسة إسقاطها في بعض الأحيان للمصادر التي اعتمدتها، وذكرها للمراجع بصورة اكثر.

(٣) العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية ١٣٢-٢٣٢هـ رؤية حضارية لأحمد توني عبد اللطيف، استفدنا منه في ذكر ما يختص بتلك العلاقات الدبلوماسية في ميدانها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي لدولة العباسية في الفترة الأولى للدولة العباسية، إلا أن تناوله لها لم يعطي تفصيلات كافيه حول الظروف والدوافع التي صاحبت إرسال تلك السفارات، والدلائل التي قد تحملها تلك الهدايا المرافقه لسفارات رغم ما تمثله من أهمية عظمى في تحديد

نوع العلاقة القائمة بين الدولتين، كذلك فإن التفصيل في ذكر الغرض السفاري من شأنه إعطاء صورة أفضل وأكثر وضوحا.

(٤) **دولة بني العباس** لشاكر مصطفى، يعد من المراجع العربية الحديثة، وهو من جزئين، الذي رجعنا لتحليلاته في بعض الأحداث التي عالجت الأوضاع السياسة للدولة العباسية خلال فترة الدراسة.

(٥) **الخلافة العباسية** لفاروق عمر فوزي، يتكون من جزئين، عرض فيه للأوضاع السياسية للدولة العباسية منذ قيامها إلى جانب العلاقات الخارجية عامة والدبلوماسية خاصة بين الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان كونه رجع لمصادر تعرضت لهذه النواحي.

رابعاً: المراجع الأجنبية المترجمة:

(١) **شمس العرب تسطع على الغرب:** لزيغريد هونكة.

(٢) **شارلمان:** لكارلس ديفز، ترجمه إلى العربية السيد الباز العريني.

وتعد هذه المراجع ذات صلة بموضوع الدراسة بصورة أو بأخرى، استفدت من بعضها في بيان بعض الشخصيات التي ساهمت في الازدهار الثقافي الناجم عن السفارات المتبادلة بين الدولة العباسية والدول الأخرى، كما أفادتنا معالجتها في الجانب الثقافي فقط من موضوع البحث.

واضطراب نظامها المالي بشكل عام من جهة أخرى، كل ذلك أحدث تغييراً جذريا في المجالات السياسية والحضارية للمجتمع الإسلامي[1].

بدأ أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح-الخليفة الأول للدولة العباسية- بعد مبايعته في الكوفة عام (132-136هـ/750-753م) بوضع الخطوط العريضة لسياسته، من خلال خطبته التي أعلن فيها أحقية بني العباس في الخلافة، وندد بالمعارضين لخلافة بني العباس، ثم بنى مدينة هاشمية الكوفة وانتقل إليها، وبنى مدينة هاشمية الأنبار، ذلك لأنه لم يكن مطمئنا إلى أهل الكوفة بسبب ولائهم إلى آل علي بن أبي طالب، كما خاض أولى تحدياته الحربية لبني أمية في معركة (الزاب الكبير[2])، التي وضعت بعد قليل نهاية الأمويين في بلاد الشام[3].

وقد قامت في عهد الخليفة أبي العباس السفاح عدة ثورات عربية في بلاد الشام، والجزيرة الفراتية، منها ثورة أبي الورد مجزأة بن الكوثر بن الحارث الكلابي في عام 132هـ/750م، وثورة أهل الجزيرة الفراتية الذين رفعوا الألوية البيضاء شعار الدولة الأموية إعلانا لولائهم لهم ورفضهم لبني العباس، وحركة بكر بن حميد الشيباني الخارجي سنة

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج7، ص358. فوزي، فاروق عمر، الثورة العباسية: دراسة تاريخية لواجهاتها الدينية والسياسية ولدور العرب في نجاحها 98-132هـ/716-749م، ط1، دار الشروق، الأردن،2001، ص97، 195، 242.

[2]- موقع بين الموصل وإربل ويجري به نهر.انظر الحموي، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، د.ت، ج3، ص123. (وسيشار إلى المصدر لاحقا باسم معجم) وانظر الملحق رقم (1)

[3]-المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وتقديم مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م، ج3، ص297. بروكلمان، مرجع سابق، ص169.

133هـ/751م، فضلا عن حركة شريك بن شيخ المهري في بخارى 133هـ/751م، بالإضافة إلى حركات المعارضة الفارسية المسلحة مثل حركة بهافريد في عام 131هـ/749م، والتي سعت إلى إعادة أمجاد الفرس القديمة، وقد تم القضاء على هذه الحركات والثورات، وعلى الصعيد الخارجي، فمن الجدير بالذكر عدم حدوث أي صدام عسكري بين قوات العباسيين وجيش الروم الذي خرب ملطية[1] في عام 133هـ/751م مستغلاً فرصة انشغال الخليفة السفاح بتثبيت قواعد الدولة الجديدة[2]

بعد وفاة السفاح تولى الخلافة أخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور عام (136-158هـ/753-774م)[3] في الوقت الذي كانت فيه الأخطار لا تزال تحيط بالدولة، وقد قدم الخليفة أبو جعفر المنصور الكثير للدولة العباسية في سبيل دعمها وذلك خلال اثنين وعشرين عاما من حكمه، وبعد مواجهته للكثير من الأخطار.

هذا ولم يكن عهده أكثر استقراراً وهدوءاً من عهد سابقه وإنما ازدادت حدة التوتر، وتفاقمت الأخطار التي لم تقتصر على ثورات الأقاليم، وإنما وصلت إلى حد النزاع الأسري في البيت العباسي، فقد واجه الخليفة أبو جعفر المنصور خطر عمه ومنافسه عبد الله بن علي

---

[1]- بلدة بأرض الروم تتاخم الشام وهي للمسلمين. انظر الحموي، معجم، ج5، ص192-193. انظر ملحق رقم (3)

[2]- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، د.ط، دار صادر، بيروت، 1982م، ج5، ص447-449. سالم، السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1977م، ج3، ص57، 214.

[3]- المسعودي، مروج، ج3، ص344.

العباسي، وسعى إلى التخلص من أبي مسلم الخرساني، أحد قادة الثورة العباسية في خراسان، وذلك نظراً لتوتر العلاقة بينه وبين أبي مسلم منذ عهد السفاح، وما قد انطوى على سوء هذه العلاقة من أسباب بعضها صحيحة وبعضها موضوعة[1]، كما واجه عدة حركات علوية معارضة، من أبرزها حركة محمد بن عبد الله الحسني الملقب بالنفس الزكية في المدينة المنورة في عام 145هـ/762م، فوضع الخليفة المنصور استراتيجية دقيقة للقضاء عليها، بدأها ببث التجار للتجسس على النفس الزكية في الحجاز، وأقصى جميع الولاة الذين فشلوا في طلب محمد، كما حبس والده وكبار العلويين، وعين والياً شديداً اسمه رياح بن عثمان المري القيسي؛ كونه معادياً للعلويين، ثم قطع الإمدادات الغذائية عن مركز الحركة، فكتب بذلك فشل الحركة ، وقتل زعيمها بالمدينة المنورة[2].

أما حركة إبراهيم بن عبد الله الحسني في البصرة في عام 145هـ/762م، التي امتد نفوذها إلى الأهواز وفارس وكرمان وواسط، فقد حاول المنصور أن يعقد مهادنة واتفاق بسبب

---

[1]- الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، د.ط، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص380. المسعودي، مروج، ج3، ص354-372،358. ابن الأثير، مصدر سابق، ج5، ص464-481.

[2]- اليعقوبي، احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب، تاريخ اليعقوبي، تعليق خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ج2، ص263. الطبري، مصدر سابق، ج7، ص552-609. بروكلمان، مرجع سابق، ص177.

موقفه الصعب؛ لأن جيشه كان موزعاً على إقليم أرمينية[1] والري وأفريقية، وبالتالي فإن ما تبقى منه لن يصمد طويلا في مواجهة قوة إبراهيم التي جمعها حوله، إلا أن بلوغ الأخير خبر مقتل أخيه النفس الزكية، واستجماع الخليفة المنصور لعناصر جيشه أضعف قوة إبراهيم مما تسبب في فشل الحركة[2].

فضلا عن ظهور حركات فارسية لعبت على وتر ديني إقليمي للوصول إلى مآربها، مثل حركة سنباذ عام 137هـ/755م[3]، وحركة الراوندية عام 141هـ/758م[4]، كذلك حدثت اضطرابات في أرمينية، واجهها الخليفة المنصور بأسلوب دبلوماسي قائم على نصيحة واليه بمصاهرة

---

[1]- ناحية بين أذربيجان والروم. انظر القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، د.ط، دار بيروت، بيروت، 1984م، ص495. انظر ملحق رقم (4)

[2]- ابن خياط، خليفة، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق مصطفى نجيب وحكمت كشلي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ص277. المسعودي، مروج، ج3، ص361-362. فوزي، الخلافة، ج1، ص91-95.

[3]- الطبري، مصدر سابق، ج7، ص495. المسعودي، مروج، ج3، ص194. فوزي، فاروق عمر، العباسيون الأوائل 132-147هـ/749-861م: الثورة الدولة المعارضة، ط1، دار مجدلاوي، الأردن، 2003م، ج1، ص244

[4]- فرقة من الغلاة القائلة بالتناسخ والحلول، وسميت كذلك نسبة إلى راوند وهي بلد قريبة من اصفهان يرى أصحابها أن روح الله حلت في الأنبياء حتى وصلت إلى عيسى بن مريم ثم حلت في الأئمة ومنهم في أبو مسلم الخراساني. الدينوري، مصدر سابق، ص384. وانظر الأمين، شريف يحيى، معجم الفرق الإسلامية، ط1، دار الأضواء، بيروت، 1986م، ص120.

الخزر[1]هناك؛ ليضمنوا استقامة الأمور في أيديهم، كما واجه الخليفة المنصور على المستوى الخارجي صدامات عسكرية مع الإمبراطورية البيزنطية تحت ما يسمى (الصوائف)[2] ، كما حصن الثغور[3] ضدهم في المصيصة وملطية، بعد أن أعاد بناءها[4] هذا من جانب، ومن جانب آخر حاول الخليفة المنصور استرداد الأندلس عندما أرسل العلاء بن مغيث اليحصبي سنة 146هـ/763م، لتحقيق ذلك فلم يحالفه الحظ[5].

وفي عهد الخليفة أبي عبد الله محمد المهدي عام(158-169هـ/757–785م)بدت الأوضاع أقل عنفا من العهد السابق، حيث بدأ عهده باستمالة الرعية إليه من خلال إطلاق سراح المسجونين، ومحاولة استرضاء العلويين، وتسوية الخلافات بين القبائل في بادية الشام[6]، إلا انه كان على الخليفة المهدي تعقب حركه فكرية تعرف بالزندقة، وقد اختلف الباحثون حول المدلول

---

[1]- جيل عظيم من الترك وهم صنفان بيض وسمر وفيهم مسلمون ونصارى ويهود وعبدة الأوثان. انظر الحموي، معجم، ج2، ص367–368. وانظر القزويني، مصدر سابق، ص584–585. انظر ملحق رقم (4)

[2]- ابن اعثم، أبى محمد أحمد الكوفي، كتاب الفتوح، ط1، دار الندوة الجديدة، بيروت، د.ت، ج8، ص229–230. البلاذري، أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص211.

[3]- الثغور من بلاد الشام هي التي تحاذي بلاد الروم. الخوارزمي، مصدر سابق، ص75. انظر ملحق رقم (3)

[4]- البلاذري، مصدر سابق، ص191.

[5]- ابن عذارى، محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1883م، ج2، ص51.

[6]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص117 وما بعدها. المسعودي، مروج، ج1، ص259. المدور، جميل نخلة، تاريخ العراق في عصر العباسيين، د.ط، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003م، ص105.

اللغوي لها، فمنهم من يرى بان كلمة زنديق معربة عن (زنديك) الفارسية وهو الشخص الذي يتبع الزند وهو تفسير كتاب الافستا المجوسي، ومنهم من يرى بأنها من (الّصديقين) الآرامية الدالة على الزهاد من المانوية[1]، ثم حرفت إلى العربية، في حين أن البعض الآخر يجدها مشتقة من (زندا) بمعنى السحر، وآخرين يرونها مشتقة من (زن دين) بمعنى دين المرأة[2]، أي أن المرأة لا يمكنها أن تؤدي بشكل دائم الفرائض الدينية، إلا أن التفسيرين الأولين هما الأقرب إلى المعنى الحقيقي[3].

وقد كان خطر هذه الحركة منبثقا من كونها حركة فكرية هدامة تشكل خطراً على قيم المجتمع، ومثله، وعقيدته الإسلامية، إضافة إلى كونها تهدد كيان الدولة السياسي[4]، لذلك نظم الخليفة المهدي حملة رسمية لمحاربتهم سياسياً وفكرياً[5]، كما كان يتحرى بنفسه عن نشاطاتهم، حيث أمر بالقبض على جماعة منهم في حلب أثناء زيارته لأحد القصور البيزنطية، كذلك عين

---

[1]- الخوارزمي، مصدر سابق، ص25. مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، د.ط، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج10، ص440-446. بروكلمان، مرجع سابق، ص183.

[2]- الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1952م، ج3، ص250-251.

[3]- فوزي، فاروق عمر، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين" دراسات نقدية في تفسير التاريخ"، ط1، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، 1980م، ص122.

[4]- الأمين، مرجع سابق، ص127

[5]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص165. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري، تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي ومحمد العثماني، ط1، دار القلم، بيروت، 1986م، ص315.

موظفا رسميا سمي (صاحب الزندقة) لمطاردتهم، حيث وصلت أوج فترات المطاردة في عام 166هـ/782م، كما أمر الخليفة الفقهاء والعلماء بتأليف الكتب التي ترد على أفكارهم وتحاربهم[1].

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد وجود حركة أخرى ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالزندقة إن لم يكن زمنياً فارتباطها فكرياً، وهي الشعوبية التي تعد حركة فكرية اجتماعية كانت عناصرها غير عربية، هدفت إلى ضرب الكيان العربي وثقافته وتراثه بالتقليل من اللغة العربية ومهاجمة التراث العربي الإسلامي والتشكيك بدور العرب التاريخي. ولما كانت العروبة والإسلام صنوين مترابطين خلال القرون الإسلامية الأولى، لم تهمل الشعوبية الإسلام بل هاجمته في الصميم وحاولت بث روح التشكيك في قيمه ونشر روح الاستخفاف تحت ستار المجون. وعلى الرغم من تبني بعض رجالات البرامكة مثل سهل بن هارون بن راهبوني[2] لبعض الشعوبيين إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة تعميم ارتباط الشعوبيين من الكتّاب والمثقفين بفئة معينة[3].

---

[1]- المقريزي، احمد بن علي، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، القسم الأول، ط2، قام بنشره محمد مصطفى زيادة، د.ط، دار الحكمة للطباعة والنشر، القاهرة، 1970م، ج1، ص34. القرماني، احمد بن يوسف، أخبار الدول وترتيب الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط وفهمي سعد، ج2، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1992م، ص98. فوزي، التاريخ، ص135-136.

[2]- ابن نباته، جمال الدين، محمد بن محمد، سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1957م، ص136. فوزي، التاريخ، ص153.

[3]- قدورة، زاهية، الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول. ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988، ص127،22 وما بعدها. مصطفى، شاكر. دولة بني العباس، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973م، ج2، ص186-191.

لم يأل الخليفة المهدي جهدا في القضاء على بقية حركات المعارضة المسلحة، مثل ثورة المقنع عام 159-163هـ/776-779م في مرو بخراسان، هذا فضلا عن جهوده في استكمال خطة والده لتحصين الحدود ضد البيزنطيين، بالإضافة إلى الحروب التي خاضها مع البيزنطيين، فكانت أول حملة في سنة 159هـ/776م بقيادة العباس بن محمد[1]، والتي قامت بهدف الرد على هجوم قام به البيزنطيون في سميساط[2] في عهد الإمبراطور ليو الرابع، إلا أن الحملة وصلت إلى انقرة[3] دون أن يفتحوها، وإنما فتحت مطمورة[4]، وفي سنوات 160هـ-161هـ/776م-777م[5] قامت صائفتان على التوالي قابلها الروم بهجوم عنيف مفاجئ، بقيادة القائد ميخائيل الذي وصل إلى مرعش[6] ولم يستطع فتحها، فأرسل الخليفة المهدي القائد الحسن بن قحطبة الطائي مع مقاتلين عراقيين وحجازيين كرد فعل لما قام به البيزنطيون، كما توالت الحملات العباسية في عام 162هـ/778-779م، وتعمقت جيوشهم في الأراضي البيزنطية حتى وصلت عمورية[7]وحاصرتها،

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص116. أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ج1، ص49 وما بعدها.

[2]- مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات ولها قلعة في شق منها يسكنها الأرمن. انظر الحموي، معجم، ج3، ص258. انظر ملحق رقم (3)

[3]- اسم لمدينة من بلاد الروم. انظر الحموي، المصدر نفسه، ج1، ص271. انظر ملحق رقم (3)

[4]- بلد في ثغور بلاد الروم بناحية طرسوس.انظر الحموي، المصدر السابق، ج5، ص151.انظر ملحق رقم (3)

[5]- اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص282. مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص302.

[6]- مدينة بالثغور بين الشام وبلاد الروم. انظر الحموي، معجم، ج5، ص107. انظر ملحق رقم (3)

[7]- بلد في بلاد الروم. انظر الحموي، المصدر السابق، ج4، ص158. انظر ملحق رقم (5)

غير أنها بقيت صامدة لحصانتها، فضلا عن حملة يزيد بن أسيد السلمي التي خرجت من جانب قاليقلا[1] حيث غنم وفتح ثلاثة حصون، وأسر الكثيرين[2].

وقد خرج الخليفة المهدي بنفسه في عام 163هـ/780م ومعه عدد من أهل بيته عن طريق الموصل، وعسكر بالبردان[3] لمدة شهرين، ثم أرسل ابنه هارون لمواجهة الروم، واستطاع الجيش العباسي إسقاط قلعة (صمالو)[4] أو سمالو بعد حصار دام ثمان وثلاثين ليلة[5].

وقد تمكن البيزنطيون في عام 164هـ/780-781م من التصدي للحملة العباسية التي كانت بقيادة عبد الكبير بن عبد الحميد[6]، على أن أهم حملة في عهد المهدي هي حملة 165هـ/781-782م التي كانت بقيادة ابنه هارون[7] ومعه الربيع بن يونس، ويحيى بن خالد، ويزيد بن مزيد الشيباني، وصلت الجيوش العباسية لأول مرة إلى أسوار القسطنطينية وحاصرتها، ولكن نظراً للصعوبات التي واجهها الجيش العباسي في طريقه للقسطنطينية، وما لقيه من التعب، فضلاً عن عدم امتلاكه القوة البحرية الكافية لحصار المدينة فترة أطول، اضطر القائد هارون إلى قبول الصلح الذي

---

[1]- تقع بأرمينية من نواحي خلاط . انظر الحموي، المصدر السابق، ج1، ص299. انظر ملحق رقم (6)

[2]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص143. مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص303.

[3]- هو اسم لإحدى قرى بغداد، واسم لنهر بنواحي طرسوس، ينبع في الأراضي البيزنطية ويصب في البحر المتوسط لستة أميال عن طرسوس. انظر الحموي، معجم، ج1، ص375-376.

[4]- من الثغر الشامي قرب المصيصة وطرسوس. انظر الحموي، المصدر نفسه، ج3، ص423.

[5]- الطبري ،مصدر سابق، ج8، ص144-147 مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص304.

[6]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص 150-151.

[7] - E.I. Harun Al-Rashid. Pp271-272.

عرضته عليه الإمبراطورة ايريني[1] إمبراطورة بيزنطة[2]. ويبدو أن هذا الانتصار الذي حققه الخليفة المهدي في عام 165هـ/781-782م قد دفع ملك كابل شاه (حنحل)، وملك طبرستان الصفد (الاصبهبذ)، وملك فرغانة[3] (فرنران)، وملك اسروشنة (أفشين) وغيرهم لتقديم الطاعة والولاء له[4].

وعلى الجانب الآخر أسفرت جهود الخليفة المهدي في الهند عن فتح مدينة اربد في عام 160هـ/776م، في حين لم تسفر المحاولة الثانية التي قامت في عهد الخليفة المهدي في عام 161هـ/777م-778م لاسترداد الأندلس عن نتيجة إيجابية، في الوقت الذي بدأت فيه قبضة بني العباس على أفريقيا تضعف تدريجياً[5].

وفي عهد الخليفة أبي محمد موسى الهادي عام (169-170هـ/785-786م)، عادت سياسة الشدة مع العلويين، كما استمر في مطاردة الزنادقة، ولكن يبدو أن الوضع في البلاط

---

[1]- أرملة الإمبراطور ليو الرابع، حكمت كوصية على ابنها قسطنطين السادس في الفترة من 780-797م، أوقفت حركة أنصار عبادة الصور، فكسبت عطف رجال الدين بذلك، للتفاصيل انظر جوزيف، نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية 248-1453م، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994م، ص135.

[2]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص152-153.

[3]- ناحية بما وراء النهر متاخمة لبلاد الترك. انظر القزويني، مصدر سابق، ص603.انظر ملحق رقم (7)

[4]- اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص 278-279. الملحم، محمد بن ناصر بن احمد، العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية في عهد الخليفة هارون الرشيد 170-193هـ/786-808م،مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ع20، 2000م، ج12، ص620.

[5]- ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص55. فوزي، فاروق عمر، الخلافة (عصر السقوط والانهيار)، ط1، دار الشروق، الأردن، 2003م، ج2، ص338، 344.

العباسي لم يكن ليترك له فرصة الحكم طويلا، خاصة مع وجود أمه الخيزران من جهة، والبرامكة من جهة أخرى، رغم محاولاته في الحد من تدخل أمه في شؤون الحكم، وكذلك محاولاته لتجريد البرامكه من نفوذهم، حيث توفي في ظروف غامضة[1].

أما أبو جعفر هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م)[2] فقد تصدى للعديد من المشاكل الداخلية، سواء مع العمال أمثال علي بن عيسى بن ماهان، أو مع الأحزاب العلوية، التي أدت إلى انفصال إدريس بن عبد الله العلوي بالمغرب الأقصى عن الدولة العباسية عام 172هـ/788م وتأسيسه لدولة الأدارسة[3]، أو مع الخوارج في الجزيرة الفراتية حيث الوليد بن طريف الشاري عام 178هـ/794م.

لم يهمل الخليفة الرشيد المواجهات الخارجية مع البيزنطيين، فبعد أن نظم الخليفة الرشيد منطقة الحدود، وعزل الثغور[4] عن الجزيرة وقنسرين، وجعلها منطقة واحدة سماها (العواصم)[1]،

---

[1]- اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص284-285. الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول" دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي"، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1988م، ص101.

[2]- المسعودي، مروج، ج3، ص 412.

[3]- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: دروش الجويدي، ط2، المكتبة العصرية، بيروت، 1996م، ص12-18. لمزيد من التفاصيل حول دولة الادارسة انظر إسماعيل، محمود، الادارسة في المغرب الأقصى 172-375هـ حقائق جديدة، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1989م.

[4]- الثغور: جمع ثغر، وهو كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً، كأنه مأخوذ من الثغرة، وهي الفرجة في الحائط. انظر الحموي، معجم، ج2، ص79.

سعى لتحصين الجبهة ضد البيزنطيين، فبنى كفربيا بجوار المصيصة[2]، وعمر طرسوس[3]، وبنى حصن عين زَرْبَى[4]، وزاد في بناء الهارونية، وأعاد حصن الكنيسة السوداء[5]، وعمر مدينة الحدث[6]، وبنى حصن زبطرة[7].

ولقد قاد الخليفة الرشيد عدة حملات بنفسه ضد البيزنطيين، ولعل أهم تلك الحملات التي قادها حملة عام 189هـ/804م، حين نقض نقفور إمبراطور الروم الصلح مع العباسيين، وأسفرت الحملة عن فتح أنقره، والصفصاف[8]. حتى عرض نقفور الصلح ودفع الجزية[9].

---

[1]- معناها سلسلة من الحصون الداخلية الجنوبية بطرقها الحربية لأنها تعصم الحدود وتعينها على صد غارات الروم وهي بذلك تعصم الثغور. انظر الخوارزمي، مصدر سابق، ص75.

[2] - مدينة بأرض الروم على ساحل جيحان. انظر القزويني، مصدر سابق، ص564. انظر ملحق رقم (3)

[3]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص234. الأزدي، أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم، تاريخ الموصل، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1967م، ص262.

[4]- بلد بالثغر من نواحي المصيصة. انظر الحموي، معجم، ج4، ص177. انظر ملحق رقم (3)

[5]- بلد بثغر المصيصة سميت سوداء لأن الروم بنوها بحجارة سوداء اللون قديماً. انظر الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص485. انظر ملحق رقم (3)

[6]- بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور.انظر الحموي، معجم، ج2، ص227، انظر ملحق رقم (3)

[7]- يقع بين ملطية وسميساط والحدث في طرف بلد الروم. انظر الحموي، معجم، ج3، ص131. الطبري، مصدر سابق، ج8، ص234. عثمان، فتحي، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر، الجزائر، 1966م، ج2، ص158-162. انظر ملحق رقم (3)

[8]- كورة من ثغور المصيصة. انظر الحموي، معجم، ج3، ص413.

[9]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص310. فوزي، الخلافة، ج1، ص347.

وقد أغار البيزنطيون من جديد على عين زربة، والكنيسة السوداء وأذنة[1] في عام 190هـ/806م، فأجابه الخليفة الرشيد بالاستيلاء على عدد من القلاع المهمة مثل هرقلة[2]، وطوانة[3] شمالي لؤلؤة، حتى طالب نقفور بالصلح[4]، أما بالنسبة للنشاط البحري فقد شهدت الموانئ الشامية تحصينا من الجانب العباسي، وجعلت كقواعد دفاعية لا هجومية[5]. يقابل هذه العلاقة الحربية صلات دبلوماسية طيبة مع الفرنجة الكارولنجيين[6].

كان الأسطول البحري في عهد الخليفة الرشيد فعالا نسبياً، حيث أغار على قبرص[7] واشتبك مع الأسطول البيزنطي الذي خسر، وتكررت الإغارة على قبرص في عام 190هـ/806م بقيادة حميد بن معيوف[8]. وقد يقودنا اتجاه بني العباس في غزو قبرص إلى هدف سعوا إليه وهو

1- بفتح أوله وثانية بلد من الثغور الشامية قرب المصيصة. انظر الحموي، معجم، ج1، ص133. انظر ملحق رقم (3)

2- مدينة عظيمة ببلاد الروم .انظر الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص398. انظر ملحق رقم (3)

3- بلد بثغور المصيصة. انظر الحموي، معجم، ج4، ص45. انظر ملحق رقم (3)

4- الدينوري، مصدر سابق، ص391. الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985م، ج1، ص236-237.

5- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص321-322. ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص196.

6- مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص400.

7- جزيرة في بحر الروم قرب طرسوس. انظر: الحموي، معجم، ج4، ص305. القزويني، مصدر سابق، ص240. انظر ملحق رقم (7)

8- الطبري، مصدر سابق،ج8، ص320-322.

رغبتهم في استعادة السيادة البحرية الإسلامية في البحر المتوسط[1]، وكدليل على ذلك ما يذكر عن سعي الخليفة الرشيد إلى وصل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، لولا نصيحة خالد البرمكي بعدم فعل ذلك خشية فتح الطريق أمام الروم لدخول مراكبهم إلى البحر الأحمر، وتهديد الحجاز، فعدل الرشيد عن ذلك[2].

بعد وفاة الخليفة الرشيد تولى ابنه أبو موسى محمد الأمين[3] الخلافة عام (193-198هـ/809-813م)، ووقعت الفتنة بين الأمين وأخيه المأمون[4]، وكان للتكتلات السياسية الموجودة في البلاط العباسي والمحيطة بالأخوين أثر في فشل المفاوضات بين الأخوين[5]، وقد استفحل الأمر بينهما مما أثار حرباً أهلية كانت نتيجتها مقتل الخليفة الأمين[6].

---

[1]- سالم، السيد عبد العزيز وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.ص38.

[2]- السيوطي، مصدر سابق، ص266. الملحم، مرجع سابق، ص637.

[3] – E.I. Al-Amin. pp327-328.

[4]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص 364-378.

[5]- الجهشياري، أبي عبد الله محمد بن عبدوس، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى العقا وآخرون، ط2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1980م، ص237. ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص227،222.

[6]- الدينوري، مصدر سابق، ص400. الطبري، مصدر سابق، ج8، ص478-495.

تولي أبو جعفر عبد الله المأمون الخلافة عام (198-218هـ/813-833م)، حيث اتخذ من مرو مقراً له بناءً على مشورة وزيره الفضل بن سهل، فكان ذلك بمثابة اختلال جديد لتوازن القوى بين العرب والفرس، وبداية تعاظم النفوذ الفارسي في الدولة العباسية[1].

تركت السياسة التي اتبعها الخليفة المأمون ووزيره الفضل بن سهل، ردود أفعال في العراق والجزيرة الفراتية، حيث قامت حركات مناهضة له، مثل حركة أبو السرايا السري بن منصور الشيباني في السواد جنوبي العراق عام 199هـ/815م[2]، فضلا عن النزعات القبلية، والميول الانفصالية في بلاد الشام، ومصر، واليمن وغيرها[3]، كل ذلك اجبر الخليفة المأمون على العودة إلى بغداد في عام 204هـ/819م، والتخلص من ولي عهده أبو الحسن علي بن موسى الرضا، ووزيره الفضل بن سهل[4].

ويعد عهد الخليفة المأمون بداية نشوء الإمارات شبه المستقلة في إيران، كالطاهرية، من جهة، ونهاية للثورات العنيفة المسلحة للعلويين من جهة أخرى، ذلك لأن تلك الثورات تحولت إلى دعاية علوية سرية، أدت إلى قيام الدولة الفاطمية، فضلاً عن حركات الخوارج، وقد جاهد

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص527. الدوري، مرجع سابق، ص156. فوزي، فاروق عمر، المشرق الإسلامي منذ منتصف القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي حتى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، د.ط، جامعة آل البيت، الأردن، 1996م، ص7.

[2]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص528-535. مصطفى، مرجع سابق، ج1، ص 673-674.

[3]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص528 وما بعدها. حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط7، دار الأندلس، بيروت، 1964م، ج2، ص70.

[4]- المسعودي، مروج، ج3، ص33. الدوري، مرجع سابق، ص163.

الخليفة أمام كل التحديات بما فيها الروم الذين هاجموا زبطرةعام 210هـ/825م[1]، ودمروا إنطاكية[2] في عام 213هـ/828م، فتحركت القوات العباسية لمحاربة الروم وعلى رأسهم الخليفة المأمون، وفي طريقه فتح عدة حصون كانت قد وقعت في أيدي البيزنطيين مثل حصن (صملة، وسندس[3]، وسنان[4])، ثم تابع طريقه عائداً إلى دمشق ثم مصر، وفي عام 216هـ/831م فتح الخليفة المأمون عدداً كبيراً من الحصون، وعاد في عام 217هـ/832م وافتتح حصن لؤلؤة[5]، وأمر ببناء بلدة الطوانة، ولكن لم يمهله الأجل حتى يتم خطته في القضاء على الدولة البيزنطية، وتوفي وهو يجاهد الروم وكانت وفاته قرب طرسوس 218هـ/833م[6].

تولى أبو إسحاق محمد بن هارون المعتصم بالله (218-227هـ/833-842م) الخلافة، وقد كان رجل حرب فحقق توجهاته العسكرية، بتنظيم الجيش، كما أكثر من استخدام الأتراك، وفضلهم على غيرهم من المقاتلة، كما انه حسم العديد من الاضطرابات التي عانت منها الدولة

---

[1] -المسعودي، مروج، ج4، ص69.

[2]- مدينة على طرف بحر الروم بالشام.انظر الحموي، معجم، ج1، ص266-270. وانظر القزويني، مصدر سابق، ص150. انظر ملحق رقم (3)

[3]- سندس: عرف عند الروم باسم سوندا أو سوندس بها حصن ويقع في قبادوقية، وله أهميته الكبيرة، لأنه ملتقى الطرق المتوجهة إلى قيسارية. انظر فازيليف، العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة وفؤاد حسنين علي، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1934م هامش2 في ص95.

[4]- سنان: حصن في بلاد الروم. انظر الحموي، معجم، ج3، ص261.

[5]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص628. السيوطي، مصدر سابق، ص351.

[6]- الدينوري، مصدر سابق، ص401. الطبري، مصدر سابق، ج8، ص646-650. القرماني، مصدر سابق، ج2، ص98.

داخلياً[1]، مثل حركة الخرمية[2] (201-222هـ/816-837م)، التي كانت بقيادة بابك الخرمي في أذربيجان وما جاورها[3]، هذا بالإضافة إلى مواجهته لحركة الزط[4] التي أخمدها عام 219هـ/834م[5]، هذا فضلا عن نفوذ الافشين[6] التركي، الذي بدأ يتسع نفوذه، فخشي منه الخليفة المعتصم، ووجه إليه عدة تهم ليس من بينها التمرد، أو السعي لقلب نظام الحكم، وإنما ارتباط الافشين بالمازيار بن قارن بن بندار هرمس المتمرد صاحب جبال طبرستان على سامراء[7]، وقد

---

[1]- المسعودي، مروج، ج4، ص54-62.

[2]- الخرمية: طائفة من الغلاة اتباع بابك الخرمي كانوا ببلاد فارس وظهروا بعد مقتل أبو مسلم الخراساني وهناك من يرى بأنها مزدكية ويطلق عليها البابكيّة والمحمّرة. انظر الأمين، مرجع سابق، ص108. وانظر، فوزي، التاريخ، ص183 وما بعدها.

[3]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص556. فوزي، العباسيون، ج1، ص349 وما بعدها.

[4]- أصلهم من الهند، هاجروا إلى الخليج حيث تمركزوا في العراق بسبب المجاعة والفاقة، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والإشراف، د.ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1981م، ص307. ويؤكد البلاذري الأصل الهندي لهم ويحدد أصلهم من السند، الفتوح، ص368. الخوارزمي، مصدر سابق، ص74.

[5]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص 8-11.

[6]- الافشين خيذر بن كاوس قائد جيوش الخليفة المعتصم تركي الأصل، وجهه الخليفة لحرب بابك الخرمي، المصدر نفسه، ص11.

[7]- لغة سر من رأى وهي مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة .انظر الحموي، معجم، ج3، ص173. انظر القزويني، مصدر سابق، ص385.

خزن الافشين الأموال لصالحه، مما أثار شكوك الخليفة المعتصم اتجاهه، فترتب عليه نهاية الافشين[1].

ومن الجدير بالذكر أن الخليفة المعتصم شغلته تلك المشاكل الداخلية عن مواجهة الروم الذين ما إن فرغوا من حرب صقلية[2] حتى التفتوا للدولة العباسية، وبتحريض من بابك الخرمي الذي أراد بذلك تخفيف وطأة الجيوش العباسية عنه، لذلك اتجه تيوفيل[3] إمبراطور الروم إلى أعالي الفرات، وهاجم حصن زبطرة عام 222-223هـ/837-838م، وأحرقوا المدينة وقتلوا الرجال من أهلها وأسروا النساء والأطفال، ثم تركت سميساط رماداً، ونهبت بعض أراضي أرمينية كذلك، وأطلق أسرى الروم المتواجدين في ملطية. ولقد أرسل الخليفة المعتصم نجدة لأهل زبطرة بقيادة عجيف بن عنبسة[4].

وجهز الخليفة المعتصم في عام 223هـ/838م جيشا متميزاً بشكل لم يعد له مسبقاً من حيث السلاح، والعدة، والآلة، والبغال وغيرها، وضم الجيش إلى جانب العرب والترك والمغاربة

---

[1]- الدينوري، مصدر سابق، ص403-406. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، ج3، د.ط، مؤسسة جمّال للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ص268-270.

[2]- انظر الحموي، معجم، ج3، ص416.

[3]- أحد أباطرة الدولة البيزنطية وهو من الأسرة العمورية، للتفاصيل انظر جوزيف، مرجع سابق، ص141.

[4]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص55-57. المسعودي، مروج، ج4، ص70. مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص562-563.

وفرقة من الأرمن، وكانت وجهة الحملة إلى عمورية التي اختارها الخليفة المعتصم لكونها مسقط رأس الأسرة المالكة البيزنطية، وأمنع وأقوى حصونهم على الإطلاق[1].

قسم الخليفة المعتصم جيشه إلى فرقتين، الأولى بقيادة الافشين واتجهت عن طريق الحدث إلى أنقره، والثانية سار بها وبعث بجزء منها مع أشناس التركي ليلتقي الجميع في أنقرة. واصطدم الافشين بإمبراطور الروم تيوفيل وهزمه، ووصلت جيوش الخليفة المعتصم أنقرة ودمرتها، ثم ضربت الحصار على عمورية، وحاول الإمبراطور تيوفيل التفاوض من خلال سفيره إلى الخليفة المعتصم لوقف القتال، إلا أن الخليفة لم يسمح للسفير بالعودة حتى يتم الفتح، واستمر الحصار حتى استسلم قائد الحامية البيزنطية (باطس) ولعله ياطس[2]، وفتحت البلدة في 223هـ/838م[3].

لم تكن ظروف الجيش العباسي مواتية لاستمرار الفتح باتجاه القسطنطينية، كما بلغ الخليفة خبر المؤامرة المدبرة من جانب الترك لتعيين ابن أخيه العباس بدلاً منه، فقرر العودة والاكتفاء بما حققه، أما الجانب البيزنطي فقد أراد أن يأمن جانب العباسيين فيما لو فكر الخليفة

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص57. فازيليف، مرجع سابق، ص144.

[2]- قائد ثغر أناتوليا (الاناتوليك)، المسعودي، مروج، ج4، ص70. فازيليف، مرجع سابق، ص149. مرسي الشيخ، محمد محمد، سياسة الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل "ثيوفيلوس" تجاه الخلافة العباسية 214-227هـ/829-842م، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، الرياض، ع3، 1979م، ص157.

[3]- البلاذري، الفتوح، ص196. الأزدي، مصدر سابق، ص427. ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، ط2، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، 1982م، ص106-107.

المعتصم استكمال الفتح، فعمد الإمبراطور تيوفيل إلى إثارة القوى البحرية الأخرى في البحر المتوسط ضد قوى الأغالبة وكريت التي قد تساند العباسيين، فأرسل إلى كلّ من دوق البندقية وملك الفرنج وأمير الأندلس، ليقيم جبهة تحالف سياسي وتجاري. وفي سنة 224هـ/839م هاجم كل من أبي سعيد محمد بن يوسف أمير الشام والجزيرة، مع بشير أمير المصيصة أراضي الروم، وهدأت الأوضاع بعد صلح 225هـ/840-841 م[1].

في عهد الخليفة أبي جعفر هارون بن المعتصم الملقب بالواثق بالله (227-232هـ/842-847م)[2]، ازداد نفوذ بعض القادة العسكريين الترك مثل اشناس، وبغا الكبير الذي قضى على الفوضى التي ثارت في بعض الأقاليم كالحجاز[3]، كما انصرف الخليفة الواثق إلى المشاكل الداخلية الأخرى عن غزو الروم، الذين انشغلوا بدورهم بوفاة ملكهم تيوفيل، فضلا عن الفتن الدينية في بيزنطة حول عبادة الأيقونات[4]، وهي الصور والتماثيل التي تمثل السيد المسيح والسيدة العذراء والقديسين[5].

---

[1]- فازيليف، مرجع سابق، ص156. مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص568-571.

[2]- المسعودي، مروج، ج4، ص75.

[3]- فوزي، الخلافة، ج1، ص280-281.

[4]- الأيقونات: هي الصور المقدسة، العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية 323-1081م، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م، ص199.

[5]- فازيليف، مرجع سابق، ص38 وما بعدها. صقر، نادية حسني، السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول" دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله"، ط1، دار الندوة، بيروت، 1985م، ص82 وما بعدها.

نتيجة لتزايد النفوذ التركي في العصر العباسي الثاني أصبح لهم كلمة مسموعة في أهم أمر سياسي، وهو اختيار الخليفة حيث عين الأتراك أبو الفضل جعفر بن محمد المتوكل على الله خليفة للدولة العباسية 232-247هـ/847-861م، إلا أن سياسته التي اتخذها بانتقاله إلى دمشق، ثم تكوين كتلة موالية له لتضبط الأمور الإدارية، وتخطيطه في مواجهة المعتزلة من جهة، والهجوم البيزنطي القوي على السواحل المصرية سنة 238هـ/852م[1] من جهة أخرى، فضلاً عن تقليصه لنفوذ القادة الأتراك العسكريين، قد عجل بنهايته أمام النفوذ التركي المتعاظم، والخطر البيزنطي الدائم في هجوم عام 241هـ/856م، واشتباك عام 246هـ/861م[2].

بمقتل المتوكل غدا القادة الترك أكثر اطمئناناً، وأشد تحكما في تقرير شؤون الدولة العباسية، خاصة ما يتعلق منها بتعيين الخلفاء، وتقرير فترة حكمهم، حيث حرضوا أبو جعفر محمد بن جعفر المنتصر بالله على والده المتوكل، واجبروه على عزل أخويه محمد المعتز بالله وإبراهيم المؤيد عام 248هـ/862م[3]، ثم ما لبثوا أن تخلصوا من الخليفة المنتصر بالله (247-248هـ/861-862م)[4]، وتلا ذلك وقائع خطيرة في جبهة الروم تمثلت في نفوذ ابن الاقطع إلى الشمال واحتلاله ميناء أميسوس (سمسون) على البحر الأسود، لكنه قتل سنة 249هـ/863م، فثار

---

[1]- فوزي، الخلافة، ج2، ص356.

[2]- المسعودي، مروج، ج4، ص134-140. فوزي، فاروق عمر، نظرات في سياسة الخليفة العباسي المتوكل 232هـ/847م-247هـ/861م، ع2، المجلة التاريخية العراقية، مطبعة الجامعة، بغداد، 1972م، ص133-134

[3]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص251-254. المسعودي، مروج، ج4، ص155.

[4]- القرماني، مصدر سابق، ج2، ص119.

أهل ميافارقين[1] بقيادة علي بن يحيى الأرمني الذي قتل أيضا بعد شهر واحد في نفس العام مع عدد كبير من أصحابه[2].

عين الترك أبو العباس أحمد بن محمد المستعين بالله خليفة (248-252هـ/862-866م)[3]. وقد ثارت حروبا أهلية في بغداد وسامراء كان المحرك الأساسي فيها الأتراك، الذين لجبروا الخليفة المستعين بعدما حاول الوقوف ضدهم، على التنازل عن الخلافة[4] لابن عمه أبو عبد الله الزبير بن جعفر المعتز بالله (252-255هـ/866-869م)[5]، ولقد حاول الأخير كما حاول من سبقه من الخلفاء التخلص من طغيان الترك، وتحكمهم الجاثم على صدر الخلافة العباسية، إلا أن الوضع المالي السيئ لخزينة الدولة، الناتج عن سوء الإدارة، وانشغال القادة العسكريين بتثبيت مراكزهم السياسية، فضلا عن التنازع فيما بينهم، أدى إلى ثورة الجند المطالبين بأرزاقهم والتي انتهت بتنازل الخليفة المعتز عن الخلافة، وسجنه حتى الوفاة[6].

أما الخليفة أبو إسحاق محمد بن هارون المهتدي بالله (255-256هـ/869-870م)[7]، ورغم قصر فترة حكمه، فقد اتخذ إجراءات سياسية وعسكرية، ترمي إلى استعادة هيبة الخلافة

---

[1]- مدينة مشهورة بديار بكر. انظر القزويني، مصدر سابق، ص565.

[2]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص288. مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص581.

[3]- المسعودي، مروج، ج4، ص 165.

[4]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص348-354. فوزي، الخلافة، ج2، ص27.

[5]- المسعودي، مروج، ج4، ص190.

[6]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص388-390.

[7]- المسعودي، مروج، ج4،ص207

العباسية ومركزها، غير أن الأحداث والتطورات التي جرت ترتب عليها اجتماع الترك على يد واحدة، وكشفت مخططات الخليفة المهتدي بالله للإيقاع بهم، هذا فضلا عن الانتفاضات القبلية في بلاد الشام، وامتناعهم عن دفع الضريبة، بالإضافة إلى وقوع حركة الزنج في العراق[1] في عام 255هـ/869م.

كانت حركة الزنج بزعامة رجل يسمى علي بن محمد بن عبد الرحيم[2]، الذي جمع الأفارقة العاملين في استصلاح الأراضي في جنوب العراق، والعبيد من القرى والمدن المجاورة، مستغلاً سوء أحوالهم، وواعداً إياهم بالمال والأراضي، ومدعياً العلم بالغيب، وقد تصدى لهذه الحركة الأمير طلحة الموفق، ولي عهد الخليفة أبو العباس أحمد بن جعفر المعتمد على الله (256-279هـ/870-892م)، بعد أن طالت مدة بقائها واتساعها، بسبب انشغال الأمير الموفق بمواجهة الترك المتنافسين على السلطة تارة، ومواجهة يعقوب بن الليث الصفار تارة أخرى، وقد قضى الأمير الموفق على حركة الزنج في عام 280هـ/883م[3].

ويمكن القول أنه رغم تعاظم نفوذ القادة الترك في الخلافة العباسية، والإرهاصات الشديدة التي عانت منها الدولة، إلا أنها كانت قادرة على البقاء فتية متى ما توافر لها خليفة كفؤ قادر على الإمساك بزمام الأمور، وكانت الظروف نسبياً تسير لصالحه، ويتأكد لنا ذلك بصورة أوضح في عهد الخليفة أبو العباس احمد المعتضد بالله (279-289هـ/892-903م)، الذي خرج

---

[1]- بروكلمان، مرجع سابق، ص 215. فوزي، التاريخ، ص290 وما بعدها.

[2]- ادعى النسب العلوي، وقيل انه انتمى إلى قبيلة عبد القيس، أو انه مولى فارسي، حاول استغلال الأوضاع لصالحه ففشل. انظر المسعودي، التنبيه، ص335. المقريزي، مصدر سابق، ص36.

[3]- المسعودي، مروج، ج4، ص227-229. ابن خلدون، تاريخ، ج4، 18-22.

بنفسه لمواجهة مواطن التمرد، كالقبائل البدوية مثل بني شيبان، أو مع الخوارج، أو مع بني حمدان الذين طمعوا في تأسيس إمارة لهم[1] .

هذا ولا يجب أن نغفل مواجهة الخليفة المعتضد لحركة تعد من أخطر حركات المعارضة ألا وهي حركة القرامطة، تلك الحركة التي بدأت بالتسلح منذ فترة مبكرة في عام 276هـ/889م، وكانت بداية انطلاقها جنوب الجزيرة العربية (اليمن وحضرموت)، وتوسعت حتى وصلت إلى بلاد الشام، وقد نسبت الحركة في العراق في أصلها إلى حمدان بن الأشعث المسمى (قرمط)[2]، ولقد تشعب أتباع هذه الحركة التي ادّعت ظاهرياً التشيع إلى العلويين ضد النظام العباسي خاصة بين الأوساط البائسة التي وجدت منها استجابة، لأنها قد وعدتها بما لا تملك، وتعاظم نفوذ الحركة في الكوفة خاصة في السواد، إلى جانب انضمام بعض القبائل العربية لها مثل بني كلب[3].

لقد نشرت هذه الحركة حالة من الاضطراب أينما حلت، حيث قامت بزعامة أبي سعيد الجنابي في عام 278هـ/900م[4] في البحرين بسلسلة من الهجمات على البصرة، والكوفة، ومناطق

---

[1]- المسعودي، مروج، ج4، ص260. فوزي، الخلافة، ج2، ص49.

[2]- تنسب هذه الحركة إلى فرج بن عثمان، الطبري، مصدر سابق، ج10، ص23-27. القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي بن احمد الفزاري، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج، د.ط، وزارة الإرشاد والأبناء، الكويت، 1964م، ج1، ص254. بروكلمان، مرجع سابق، ص229.

[3]- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: سهيل زكار، د.ط، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج7، ص231-234. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص350.

[4]- القرماني، مصدر سابق، ج2، ص129

من بلاد الشام، واستفحل خطرها عندما تزعمها أبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي، حيث ارتكبوا مجازر شنيعة، وسلبوا مدن وقوافل، كما هاجموا في عام 317هـ/929م مكة في موسم الحج، وقتلوا الحجاج بالمسجد الحرام، واقتلعوا الحجر لاسود .وأخذوه إلى هجر[1]، واستمر خطر هذه الحركة حتى توفي زعيمهم أبو طاهر عام 322هـ/943م، وبدأت تبرز الصراعات بين القرامطة أنفسهم، مما أضعف سطوتهم تدريجياً، وكتبوا أمر نهايتهم بأنفسهم بتلك الصراعات في عام 326هـ/937م[2].

لعب الخليفة أبو محمد علي المكتفي بالله 289-295هـ/903-908م[3] دوراً في محاربة الحركات، والانتفاضات الإقليمية، وتوفير المورد المالي لخزينة الدولة، كما أعاد الاستقرار إلى بلاد الشام من جهة، وأعاد مصر بشكل مؤقت إلى جسم الدولة العباسية بعد قضائه على الطولونيين في عام 294هـ/906م[4].

تلا هذه الصحوة المؤقتة ضعف شديد، حيث طغت في هذه الفترة الفوضى العسكرية، وزاد التدهور والفساد، وزادت القلاقل وحركات الانفصال، فضلاً عن أطماع البيزنطيين

---

[1]- مدينة كبيرة تعد قاعدة بلاد البحرين. انظر القزويني، مصدر سابق، ص280.المسعودي، التنبيه، ص346

[2]- ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص351-352. فوزي، المشرق الإسلامي، ص13-14

[3]- المسعودي، التنبيه، ص337.

[4]- الانطاكي، يحيى بن سعد بن يحيى، تاريخ الانطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، د.ط، جروس بْرس، لبنان، 1990م، ص45. المقريزي، مصدر سابق، ص37.

الخارجية الممتدة دون أدنى رد فعلي من قبل الدولة العباسية[1]، وقد حكم خلال هذه الحقبة ثلاثة خلفاء: أبو الفضل جعفر المقتدر بالله[2] (295–320هـ/908–932م)، أبو المنصور محمد القاهر بالله (320–322هـ/932–934م)، أبو العباس أحمد الراضي بالله (322–329هـ/934–940م).

لقد تنوعت المظاهر السلبية في هذه الحقبة ما بين صغر سن الخليفة، وتحكم العسكريين والجيش في أمور سياسة الدولة، وإسراف الخلفاء في الإنفاق على البلاط، وانقلاب قادة الجيش على الخليفة وقتله، كل ذلك ساهم بشكل أو بآخر في إضعاف الدولة العباسية، حتى بات الخلفاء يأتمرون بأوامر القواد الترك، كما حدث عندما دخل القائد التركي توزون إلى بغداد في عام 331هـ/942م، مطالباً بمنصب أمير الأمراء، فما كان على الخليفة أبو إسحاق إبراهيم المتقي لله (329–333هـ/940–944م) سوى أن قلده المنصب الذي بقي فيه حتى توفي في عام 334هـ/945م، وخلفه فيه كاتبه ابن شيرزاد الذي لم يبق فيه سوى ثلاثة اشهر، انتهت بدخول احمد بن بويه (معز الدولة) بغداد دون مقاومة في عهد الخليفة أبو القاسم عبد الله المستكفي بالله (333–334هـ/944–946م)[3].

وعلى الصعيد الخارجي كان على الدولة أن تواجه العديد من التحديات الخارجية، ولكن بسياسة الدفاع وليس الهجوم، فلم يكن الوضع يؤهلها لتقوم بدور الهجوم الذي كانت تلعبه في عصر قوتها الأول، فالجند انشغلوا عن المعارك بطلب الأرزاق والعطاء، حتى وان كان الثمن

---

[1]- المسعودي، مروج، ج4، ص328، 351، 364. الانطاكي، مصدر سابق، ص52. فوزي، الخلافة، ج2، ص55.

[2] - E.I. Al-Muktadir. P719.

[3]- القرماني، مصدر سابق، ج2، ص150. فوزي، الخلافة، ج2، ص55–68.

هو القيام بتمرد على الخليفة ذاته، أما قواد الجند فكان جريهم وراء المناصب السياسية، والعسكرية، فنقلوا أنفسهم من القيادة في الجيش إلى الوزارة، أو الإمارة في الإدارة العباسية، إلى جانب خلو خزينة الدولة من الأموال التي تجهز بها الجيوش من جهة، وفساد البلاط العباسي بمن فيه من كتاب، ووزراء، ونساء من جهة أخرى.

وهكذا كان ذلك الوهن والضعف الذي لحق بالدولة العباسية في هذه الفترة قد وصل حدا جعلها تلجأ إلى الدبلوماسية في معالجة تهديدات البيزنطيين لها مثلاً، من خلال عقد الهدن والمعاهدات، وتبادل الأسرى والفداء.

*** المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية:**

إن الحقبة التاريخية التي نتناولها قد شملت مظاهر متنوعة لدولة واحدة، شهد لها المؤرخون في عصرها الأول بالازدهار الحضاري حتى بات مسمى (العصر الذهبي) علامة مميزة للفترة الأولى في تاريخ الخلافة العباسية، ولعل وجود خلفاء أكفاء، وعلى قدر كبير من المسؤولية، كان عاملا مساهما في هذه التسمية، وعلى الرغم من تباين الأوضاع السياسية في الفترات اللاحقة لهذا العصر إلا أن التطور الحضاري والثقافي قد سار قدماً وبصورة تدريجية بعد أن توفر للدولة عناصر هذا التطور من الأمن والاستقرار[1].

لقد استحدثت في الدولة العباسية مظاهر ومؤسسات إدارية جديدة عدت كمناصب رسمية، لها صلاحيات ومسؤوليات مهمة مثل الوزارة[2]، وقد مرت هذه المؤسسة بفترات قوة وضعف

---

[1]- فوزي، المشرق الإسلامي، ص18.

[2]- الجهشياري، مصدر سابق، ص84.

جعل منها وزارة تفويض تارة مثل وزارة البرامكة، وآل سهل، ويعقوب بن داود بن عمرو السُلَمي، وتارة أخرى وزارة تنفيذ مثل وزارة أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياني الخوزي، والفضل بن الربيع، وأحمد بن أبي خالد، ومحمد بن عبد الملك الزيات[1]، وقد كان هذا التغيير يرتبط لحد كبير بقوة الخليفة وضعفه، وكما كان للخلافة فترات قوة يتفرد فيها الخليفة بصلاحياته، ومسؤولياته، وفترات ضعف يتدخل فيها الوزراء والقادة العسكريون، كان كذلك حال الوزارة التي قد سلب منها في فترة سيطرة القادة العسكريين صلاحياتها في تدبير أمور الدولة التي كانت تتعهدها، وأصبحت في يد قائم بمنصب جديد استحدث خلال تلك الفترة وهو (أمير الأمراء).

اتبع الخلفاء بعض الإجراءات تجاه بعض الوزراء منها مصادرة أموالهم، وتحجيم نفوذهم، سواء بسبب الخيانة، أو استغلال منصبهم لتحقيق مصالح خاصة فيهم، أو إمكانية الانقلاب على الدولة وتهديدها إذا ما توافرت لهم الظروف، ورغم ذلك لم يخل تاريخ خلافة بني العباس من شخصيات وزارية مهمة مثل أبي الحسن بن الفرات، وعلي بن عيسى بن الجراح[2].

بقيت بعض المؤسسات الإدارية في عصر العباسيين الأوائل كما كانت في عهد بني أمية، وان نالها بعض التغيير فهو من باب الاستجابة لتغير الأوضاع والتطورات، وهذا ينطبق

---

[1]- حسن، مرجع سابق، ج2، ص257-263. فوزي، فاروق عمر، الجذور التأريخية للوزارة العباسية "دراسة تحليلية نقدية قراءة سورديل عن الوزراء العباسيين وأبحاث أخرى"دار الشؤون الثقافية العامة، د.ط، بغداد، 1986م، ص131،65،36.

[2]- الصابي، أبي الحسن الهلال بن المحسن، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، ط2، دار الآفاق العربية، 2003م، ص18، 305.

على الدواوين، واهم ما وجد منها ديوان الجند، وديوان الخراج، أما ما دعت الضرورة والحاجة لاستحداثه من الدواوين فهي ديوان (المصادرات)، الذي يعني بالممتلكات والضياع المصادرة من أي طرف، وديوان (الاحشام) يحوي الحشم والخدم فهو المدبر لحاجيات البلاط العباسي[1]، وديوان (الضياع) المعني بإدارة الضياع الخاصة بالأسرة الحاكمة، فضلا عن ديوان (النظر في المظالم)، وديوان (الزندقة) الذي يحارب الزنادقة وأفكارهم الهدامة، هذا بالإضافة إلى ديوان (الأزمّة أو الزمام)، وهي دواوين ذات صلاحيات تفتيش تدقيق للدواوين الأخرى[2]، وكان اغلب موظفي الكتّاب هذه الدواوين من الموالي، وأهل الذمة، الذين لعب بعضهم دوراً في الحركة الشعوبية[3].

ولقد تواجدت خلال العصر العباسي الثاني بعض الدواوين المؤقتة مثل ديوان المواريث وقد وضعت ضريبة الإرث لأول مرة في خلافة المعتمد على الله إلا أن عبيد الله بن سليمان وزير الخليفة المعتضد اقنع الخليفة بإلغاء هذا الديوان، لما لهذا الديوان من مطالبات للرعية بأحكام لم يرد بها كتاب الله، ولا جرت به سنة رسول الله (ص)، ولا اجمع أئمة الهدى عليها، فألغيت ضريبة الإرث في عهده لكن قرار التطبيق كان متفاوتا من عهد خليفة لأخر، كذلك استحدث ديوان البر في عام 301هـ/913م خلال وزارة علي بن عيسى للمقتدر بالله بهدف استثمار الأملاك الموقوفة والإشراف على توزيع وارداتها في مكة والمدينة وعلى الثغور في

1- الجهشياري، مصدر سابق، ص266.

2- الصالح، مرجع سابق، ص316.

3- B. lewis, Government, society and economic life under the Abbaside and Fatimids in C.M.H., new ed. نقلا عن فوزي، المشرق الإسلامي، ص19.حسن، مرجع سابق، ج2، ص269.

حدود الدولة البيزنطية، بالإضافة إلى إنشاء ديوان المرافق أيضا في عهد الخليفة المقتدر وذلك لاستيفاء الحقوق من الوزراء السابقين لوزارة علي بن محمد بن الفرات[1].

كما لابد من الإشارة إلى وجود ديوان هام في الدولة العباسية ألا وهو ديوان المال وهو الذي يشرف على ما يرد من الأموال وذلك لمحاسبة صاحب بيت المال على ما يرد عليه من الأموال وما يخرج من ذلك في وجوه النفقات، وقد حصل تطور في علاقة بيت المال بالوزير عام 315هـ/927م لإبقاء الوزير على علم تام ومستمر بوضعية بيت المال، حيث كانت المتابعة لما يرد من مال بشكل يومي وهذا خاف ما كان سابقا من التصفية الشهرية[2].

من جهة أخرى كان دعم الأمن والاستقرار يلقى اهتماماً من قبل خلفاء بني العباس خصوصاً الأوائل منهم، فنجدهم حريصين على تقليد القضاة بأنفسهم، نظرا لما لهذا المنصب من أهمية كبرى، فضلا عن رغبة الخلفاء في إضفاء المسحة الدينية على خلافتهم، ومن هنا نخرج إلى أن إدارة المؤسسات الإدارية كانت مركزية في عهد خلفاء بني العباس الأوائل، فإلى جانب قيام القضاء بالنظر في المظالم، والمواريث، والحسبة، فقد اصبح يفصل في الدعاوي والأوقاف وتنصيب الأولياء، وممن نبغ من القضاء في هذا العصر يحيى بن اكثم، الذي قاد الجنود في عهد المأمون لمحاربة الروم، نجد هناك إشراف رئيسي لهذه المؤسسات من خلال ظهور منصب (قاضي القضاة)، الذي تولاّه أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري في عهد الخليفة

1- السامرائي، حسام الدين، المؤسسات الادراية في الدولة العباسية خلال الفترة 247- 334هـ/861-945م، دار الفكر العربي، د م، د.ت ، ص292-299.

2- الخوارزمي، مصدر سابق، ص37. مسكويه، أحمد بن محمد، تجارب الأمم، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت ج5، ص152. السامرائي، مرجع سابق، ص244-247.

الهادي في بغداد، ثم بدأ بتوزيع القضاة على الأقاليم والأمصار، والإشراف على أعماله نيابة عن الخليفة[1].

لقد استوجب التطور الاجتماعي، وتعقد مظاهر الحياة، وجود مدارس فقهية لحلها، ولم يفرض على القضاة في هذه الفترة المبكرة الالتزام والحكم بمذهب واحد رغم تعدد مدارس علم الفقه، ما بين مدرسة أهل الحديث بالحجاز، ومدرسة أهل الرأي بالعراق، وقد أشار عبد الله بن المقفع إلى الخليفة المنصور على ضرورة تقنين التشريع بحيث يستقي من مصدر واحد، وحاول الخليفة المنصور ذلك مع مالك بن أنس، عندما طلب منه أن يضع كتاباً جامعاً في الفقه يعتمد عليه[2]. ومن الملاحظ أن القضاء قد أصابه الانحلال في الحقب التي تلت عصر العباسيين الأوائل نتيجة لسياسات الوزراء والأمراء الذين أصبحوا المعنيين باختيار القائمين على القضاء، بعد أن كان الخليفة هو المعني بأمر الاختيار، رغم تمسك الخليفة بإصدار المراسيم المتعلقة بالتعيين والإسقاط من المناصب[3].

---

[1]- وكيع، محمد بن خلف بن حيّان، أخبار القضاة، مراجعة محمد سعيد اللحام، ط1، عام الكتب، بيروت، 2001م، ص650. مصطفى، مرجع سابق، ج1، ص568.

[2]- فوزي، المشرق الإسلامي، ص20.

[3]- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، د.ط، شركة الفجر العربي، بيروت، 1971م، ص23. فوزي، المشرق الإسلامي، ج2، ص21.

وكانت الحسبة[1] من ضمن استحداثات العصر العباسي، وهي تعد منصباً دينياً – مدنياً، استعمل كمصطلح رسمي لأول مرة في عهد الخليفة المهدي العباسي، شملت صلاحياتها النظر فيما يتعلق بالنظام العام في المدينة، والجنايات أحيانا، والنظر بأحوال السوق، وحفظ الآداب العامة، ومنع الاحتكار، ومنع تزييف العملة، ومراقبة الأسعار والمكاييل والموازين، فضلا عن دورها في مراقبة النشاطات السياسية المناهضة للدول[2].

إلى جانب ذلك اعتبرت الشرطة من ضمن المؤسسات الإدارية التي تدعم الأمن وتنفرد بتأديب المفسدين وإخماد الفتن والاضطرابات في المدينة الإسلامية بالقانون والقوة. لذلك كان أمر اختيار القائمين بها اشد ما حرص عليه الخلفاء العباسيون[3].

ونشير كذلك إلى الجيش، فقد تشكل لأول مرة جيش نظامي، وكان العرب يمثلون في أوائل العصر العباسي القوة الحيوية فيه، كما ضم إلى جانبهم الموالي الذين انضموا تحت لواء جيش الإسلام، وارتبطوا بالولاء للدولة، هذا إلى جانب دخول عناصر جديدة من (المرتزقة) من الترك، وغيرهم من سكان المشرق الإسلامي خاصة[4].

---

[1]– هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله. الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م، ص299. حسن، مرجع سابق، ج2، ص299.

[2]– الماوردي، الأحكام، ص300–307. ابن خلدون، تاريخ، ج1، ص398–399.

[3]– ابن خلدون، المصدر نفسه، ص445.

[4]– Barthold, W. Turkestan down to the Mongol Invasion. 2nd ed. GMS (New Series), 5. Luzac and Co., 1928.pp.180-203. نقلا عن فوزي، فاروق عمر، الجيش والسياسة في العصر

لقد ترتب على الأمن، والاستقرار، والبذخ، والدعة التي حظي بها العرب وبعض العناصر، ضعف الوازع الديني في الجهاد، والانصراف عن الفتوحات إلى الاشتغال بالتجارة، والزراعة، والحرف الأخرى، فكان ذلك سببا في التفكير بتكوين جيش من عناصر جديدة بعيدة عن الصراعات الداخلية، فاستقدم الخليفة المعتصم أعدادا كبيرة من الترك والسودان والمغاربة المرتزقة، لتحل محل الفـرق القديمة[1].

لقد حقق استقدام عناصر جديدة إلى الجيش في عهد الخليفة المعتصم نتائج إيجابية عديدة، منها الانتصار على الحركات المناهضة للدولة، مثل حركة بابك الخرمي، والانتصار على البيزنطيين في معركة (عمورية)[2]، غير أن طمع هذه العناصر الجديدة المكونة للجيش، وشعورها بأهميتها، جعل خطرها يتصاعد بشكل هدد الخلفاء أنفسهم ما بين قتل، أو خلع، أو إبعاد عن الخلافة، فغدا الجيش الجديد فرق متنازعة، همها جمع المال إلى جانب السلطة دون حدود أو قيود، فكان بالتالي ضياع المال والسلطة القوية التي كانت متواجدة في مطلع العصر العباسي سببا في تعدي تلك العناصر التركية على الدولة نفسها[3].

مثلما شهدت الدولة العباسية أوضاعا مضطربة كذلك شهدت أوضاعاً مستقرة كانت مخرجاتها في صالح الدولة العباسية مثل الجانب الفكري الثقافي، حيث لقي علماء وأدباء الدولة

الأموي ومطلع العصر العباسي 41هـ/661م-334هـ/956م دراسة تاريخية، ط1، دار مجدلاوي، الأردن، 2005م، ص140.

[1]- فوزي، المشرق الإسلامي، ص23.

[2]- الدينوري، مصدر سابق، ص402. المسعودي، مروج، ج4، ص70.

[3]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص348، 369 . فوزي، الجيش، ص147-149.

تشجيعا حثيثا من جانب الخلفاء، وكبار الموظفين، سواء لهدف ذاتي، أو لمصلحة الدولة، فكانت تعقد في البلاط العباسي مجالس العلم والأدب، كما تنوع الإنتاج الفكري بتنوّع المذاهب الفقهية والكلامية والفلسفية للفرق الإسلامية، كل ذلك كانت نتيجة طبيعية للمستوى الحضاري الراقي الذي وصل إليه المجتمع الإسلامي في مختلف المجالات، فتوافر المال والوقت وهما عنصران يحققان الإنتاج الفكري والإبداع، فضلا عما نعمت به الدولة العباسية من أمن وحرية نسبية، وكذلك طبيعة النزعة العربية الإسلامية، وانفتاحها على ثقافات وأفكار الشعوب الأخرى في العالم، كون ذلك منبثقا من طبيعة الإسلام العالمية نفسها[1].

كذلك فإن الاهتمام بالتأليف في العلوم النقلية والعلوم العقلية أوائل العصر العباسي. قد رافقه اهتمام بترجمة الكتب القديمة سواء المتواجد منها في الدولة، أو التي حصل عليها الخلفاء من خلال سفاراتهم إلى الدول الأخرى، أو من خلال شروط الهدنة التي تعقد بعد فترة حرب مع دول غير عربية، وقد شاع هذا الأمر في عهود خلفاء بني العباس الأوائل، ونتج عن حركة الترجمة مصنفات ومؤلفات مختلفة في مختلف العلوم، وبرع لذلك العديد من العلماء والمؤرخين العرب وغير العرب، بشكل استمر معه هذا الزخم العلمي والفكري قدماً رغم سوء الأوضاع السياسية في الفترات اللاحقة[2].

كذلك كان لظهور التيارات السياسية الدينية والفكرية المتصارعة أثر كبير في إثراء الجدل الفكري والثقافي في الدولة العباسية، حيث أن الخطورة التي شكلتها تلك التيارات على

---

[1]- فوزي، المشرق الإسلامي، ص46.

[2]- حسن، مرجع سابق، ج3، ص346.

المجتمع والدولة بشكل عام، دفع المفكرين والمثقفين إلى تكريس جهودهم للرد عليها بأسلوب مرن ومقنع، وقد برع الجاحظ وغيره في مثل تلك الردود بشكل جعلها غير قادرة على الصمود طويلا، فما لبثت أن اعترفت بتفوق النزعة العربية الإسلامية، وفي المقابل كسبت الدولة العباسية نشاطاً ثقافيا من خلال الكتب والرسائل التي ردت على تلك الحركات والتيارات وأنعشت الحركة الفكرية[1].

[1]- فوزي، المشرق الإسلامي، ص56.

الفصل الأول

ملامح النظم الدبلوماسية قبيل العصر العباسي

عُرفت الدبلوماسية منذ زمن بعيد، وتعامل البشر بها في مختلف ميادين حياتهم السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، إلا أن دخولها إلى ميدان العلاقات السياسية بين الدول كان يستلزم القيام ببعض الأعمال والمراسم والمجاملات من قبل القائمين على أمر تلك الدول. أما الدبلوماسية الإسلامية فقد تطورت وخاصة في العهد الأموي من مجرد التبادل الدبلوماسي، وعقد للمعاهدات الدولية مع الدول الأخرى، وما يصحبها من التزامات، وتوقيعات، إلى رسائل مكتوبة مفردة، أو رسائل ينقلها السفراء والتي كانت بطبيعة الحال أكثر تنظيماً، من حيث لجوء الدولة الأموية إلى إنشاء جهاز دبلوماسي يحيط بكافة تلك الأمور، وخاصة ديوان الرسائل الذي يكشف لنا أحد جوانب النظم الدبلوماسية المتمثلة في السفارات، ويدفعنا ذلك إلى التطرق إلى نقطتين أساسيتين في هذا الصدد، النقطة الأولى تتمثل في ديوان الرسائل، والنقطة الثانية تتمثل في اللغة الدبلوماسية التي كان يتم التعامل الدولي بها.

أولا : ديوان الرسائل:

(أ) مفهوم الديوان:

اختلف في أصل كلمة الديوان، ما إذا كانت عربية أم فارسية معربة، فيرى سيبويه أنها عربية وديوان (بكسر الدال) هو الموضع الذي يجلس فيه الكتاب، يقال: دونته أي أثبته.

والمعروف في لغة العرب أن الديوان هو الأصل الذي يرجع إليه ويعمل بما فيه، ومنه قول ابن عباس: " إذا سألتموني عن شي من غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر، فان الشعر ديوان العرب "[1].

في المقابل يرى الأصمعي[2] أن كلمة الديوان هي كلمة فارسية معربة ومعناها سجل أو دفتر، وأنها اطلقت مجازاً على المكان الذي تحفظ فيه السجلات الرسمية، مثل سجل الجند، وعممت بعدها على كل سجل[3]. ويفسر الماوردي ذلك بوجهين، الوجه الأول أن كسرى نظر يوما إلى كتاب ديوانه، وهم يرددون بصوت منخفض ما يدونونه كأنهم يتحادثون، فقال: (ديوانه) أي مجانين، فسمي موضعهم بهذا الاسم، وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقيل ديوان. أما الوجه الآخر فهو أن ديوان بالفارسية اسم للشياطين، وأن الكتاب ما سموا بذلك إلا لسرعة تفهمهم للأمور، ووقوفهم على الجلي منها والخفي، وجمعهم لما شذ وتفرق، حتى سمي مكان جلوسهم باسمهم أي ديوان[4].

1- القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي بن احمد الفزاري، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ج1، ص123.

2- هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الباهلي، راوية وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، نسبته لأحد أجداده اصمع، توفي 216هـ/831م. انظر ابن خلكان، احمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1970م، ج3، ص170.

3- الصالح، صبحي، النظم الإسلامية وتطورها، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1990م، ص312.

4- الماوردي، الأحكام، ص249. القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص123-124.

إن الاختلاف حول أصل كلمة ديوان لا يعني بالضرورة الاختلاف في المعنى الذي تحمله، إذ تصب كافة المعاني الواردة في كونها مصدراً ومركزاً أساسياً وجدّ هو والقائمون فيه لحفظ ما يتعلق بأمور الدولة من أصل السجلات، والأعمال، والأموال وغيرها.

(ب) الغرض من إنشاء ديوان الرسائل:

كثرت الإشارات حول القيام بالتزامات ديوان الرسائل إلا أنه لم يبرز كمؤسسة إدارية ذات أسس عامة إلا في عهد الدولة الأموية، ولقد استقرت تلك الأسس بشكل واضح في عهد الدولة العباسية، خاصة في عصور ازدهارها[1].

يبدو أن الفتوحات الإسلامية التي زادت من مساحة رقعة الدولة الإسلامية على عهد بني أمية قد زاد من مرافقها من جهة، وأتاح لها اتصال أوسع وأكبر بالقوى والدول الأخرى من جهة أخرى، وترتب على كل ذلك زيادة حاجتها إلى تنظيم أمور إدارته، فاحتاجت بشكل أساسي إلى دواوين رسمية وجديدة لتنظيم تلك الصلات، وعلى الأخص الدبلوماسية منها، فكان هذا من بين الأسباب التي استدعت إنشاء ديوان للرسائل.

تمتعت المراسلات أو المكاتبات بأهمية قصوى في النظام الدبلوماسي الإسلامي، وكان لها دوراً هاماً في إبراز مهمة السفراء وإنجاحها، حيث أنها كانت تؤكد على مهام السفراء المكلفين بها، وتدعم موقفهم أمام الجهات المرسلين إليها، أيا كانت نوعية المهمة سواء عقد هدنة،

---

[1]- الصالح، مرجع سابق، ص314.

أو تسوية خلافات، أو خدمة مصالح أخرى، أو أمور أخرى تأخذ الصبغة السياسية أو الاقتصادية[1].

ويشير ابن خلدون إلى أن الذي أكد الحاجة إلى هذا الديوان في الدولة الإسلامية هي" قضية اللسان العربي والبلاغة في العبارة ، فصار الكاتب يؤدي كُنْهَ الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر، وكان الخلفاء في العهد الراشدي والأموي كذلك يختارون لهذا المنصب من يثقون بأماناتهم، وإخلاصهم، من خاصتهم أو من عظماء القبائل، فلما فسد اللسان، وصارت الكتابة صناعة، أصبحت تسند هذه المهمة إلى من يحسن الكتابة "[2] .

يبدو من عبارات ابن خلدون أن الرسائل الدبلوماسية ليست بحاجة إلى مبالغة في العبارات، بقدر ما هي بحاجة إلى وضوح في المعنى وبساطة في الأسلوب، وفي نفس الوقت، فإن مهمة هذه الكتابة لا توكل إلى أي شخص، وإنما استلزم الأمر التنقيب عن الأمانة، والإخلاص، والقدرة على الكتابة التي وصفها ابن خلدون بأنها صناعة في شخص الكاتب، وهذا بحد ذاته يعطينا تفسيراً وجيهاً لأحد أغراض إنشاء هذا الديوان، وهو ضرورة إيجاد قائمين مختصين بأمر الكتابة .

من هنا فإن كثرة وأهمية المراسلات الدبلوماسية الناتجة عن علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى من جهة، وضرورة إيجاد جهاز إداري خاص يقوم بمسؤولية إعداد تلك الرسائل، والرد على ما يرد إليه من مراسلات خارجية من جهة أخرى، كانت من الأسباب التي دفعت

---

[1]- المرجع نفسه، ص314.

[2]- ابن خلدون، تاريخ، ج1، ص436.

بالجهات المختصة في الدولة الإسلامية، وخاصة على عهد الدولة الأموية، لتأسيس ديوان رسمي مستقل باختصاصاته تحت مسمى ديوان الرسائل، والذي سمي فيما بعد بديوان المكاتبات[1].

(ج) التنظيم الإداري لديوان الرسائل:

يعتبر ديوان الرسائل هيكل رسمي لتوثيق كافة المستندات التي تمت بصلة للعلاقات القائمة بين مركز الخلافة والولايات التابعة لها من جهة، والعلاقات القائمة بينه وبين الدول الأخرى من جهة أخرى، وقد تفرع من هذا الديوان عدة مجالس وهي كالتالي:

1. مجلس الإنشاء والتحرير: يتحمل هذا المجلس أغلب نشاطات الديوان، من جراء قيامه بتحرير المكاتبات الصادرة عن دار الخلافة، واستقبال الوارد إليها من الكاتبات، وعمل كتب مختصرة بما ورد فيها، مع إلحاق نبذة مختصرة بها عما تم بشأنها من جانب الديوان، لذلك فإنه ولتعدد المهام الموكلة إلى هذا المجلس، يتم توزيع العمل على عدد من الكتاب، كل مجموعة تختص بنوع معين من الكتابة، فهناك من هو مختص بمكاتبات التعيين، والخلع، ومنهم من هو مختص بالمكاتبات المتعلقة بالمناشير، وقسم خاص بالخطاطين لكتابة الأصل بخط حسن[2].

2. مجلس النسخ: يستقبل هذا المجلس كل ما يرد إليه من مكاتبات أصلية من قبل مجلس الإنشاء فيأخذ منه النسخ اللازمة، والهدف من ذلك أن يستبرأ القائم في هذا المجلس بإعادة النظر فيها بعد اختصارها، ويوسع الفصول بين سطورها، ثم يتم تحريرها بعد تأملها من أولها إلى آخرها[3].

---

[1]- الجهشياري، مصدر سابق، ص85. القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص124. ياسين، عبد علي، تاريخ صدر الإسلام من البعثة النبوية إلى نهاية الدولة الأموية، ط1، دار يافا العلمية، عمان، 2001م، ص448.

[2]- التحرير كأنه الاعتاق وهو نقل الكتاب من سواد النسخة إلى بياض نقي، الخوارزمي، مصدر سابق، ص50.

[3]- المصدر نفسه، ص50.

ويتضح لنا من ذلك مدى الدقة المتناهية والدرجة العالية في حساسية تدقيق تلك الرسائل والمكاتبات، والحرص الشديد على دقة نسخها دون أدنى خطأ.

3. مجلس الخازن والمحفوظات: وهو مكان خزن الأوراق والكتب السلطانية، حيث يُحتفظ بكافة أصول المكاتبات الواردة إليه من جانب مجلس الإنشاء والتحرير، بعد قيام الأخير بعمل مختصر لها، وهنا يقوم الخازن بتنظيم الموضوعات الواردة للديوان، والاحتفاظ بسجلات التقاليد والمناشير وألقاب الولاة، وكبار رجال الدولة وطريقة مخاطبتهم، هذا إلى جانب احتفاظه بسجلات الحوادث الكبرى الداخلية والخارجية للرجوع إليها عند الحاجة، بالإضافة إلى المكاتبات التي ترد إلى الديوان بلغه غير عربية[1].

يتضح مما سبق أن هناك تنظيماً إدارياً وجهداً مبذولاً واضحاً في سبيل الوصول لأفضل صورة وأحسن أداء لهذا الديوان، فهو يعد أحد الدواوين التي لقيت اهتماماً مماثلاً ناجماً من اهتمامات واتجاهات الخلفاء أنفسهم في فترات خلافتهم، وقد يرجع موضوع عمل مختصرات للرسائل الواردة بالذات وما يتم بشأنها إلى كثرة المكاتبات من ولاة الدولة الإسلامية لاتساعها.

يتراءى لنا كذلك مدى الأهمية التي تقع على كاهل مجلس الخازن والمحفوظات، حيث نستطيع وصفها من خلال ما سبق بأنها الحفيظة النهائية لكل الوارد والصادر من المكاتبات، والتي مرت بمراحل إنشاء وتحرير، وتدقيق، وعمل مختصر لها، ونسخ، وإيعاز بذكر ما قرر في شان كل كتاب من قبل السلطة، فهي إذن مستودع أسرار الخلافة الإسلامية.

---

[1]- محمود، حسن احمد. الشريف، أحمد إبراهيم، العالم الإسلامي في العصر العباسي، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م، ص120.

(د) اختصاصات ديوان الرسائل:

كانت خطوات إدارة الدولة الأموية منظمة من حيث وضعها لدواوينها وتحديد اختصاصات ومسؤوليات كل ديوان على حدة، وقد نال ديوان الرسائل جزءاً مهماً من هذا التنظيم والإدارة فقد حددت اختصاصاته فيما يلي:

1. تلقي المراسلات الواردة لدار الخلافة، والعمل على ترتيبها والنظر فيها، وكتابة الردود عليها دون تأخير.

2. مراعاة التوقيع عليها وفقا لما تقتضيه الألقاب والمراتب في المكاتبـــات الخاصة دون زيادة أو نقصان.

3. اختيار كتاب الرسائل والقائمين على تحريرها، ونسخها، وحفظها .

4. اختيار حملة الرسائل إلى الدول الأخرى، مع تقديم النصائح والمعلومات التي قد تسهل لهم مهمتهم [1].

من الواضح أن المهام التي خص بها ديوان الرسائل مرتبطة مع بعضها البعض، وتعالج الجانب الدبلوماسي بين الدولة الأموية والدول الأخرى في صورة المكاتبات، وتوضح لنا عدة نقاط من بينها استمرارية نشاط هذا القسم الإداري في الدولة، كذلك تبرز لنا اهتمام القائمين على الأمر في هذا الجانب الإداري أهمية الالتزام بالألقاب والمراتب عند صياغة الرسائل، لما في ذلك من أهمية كبرى في مجال التبادل الدبلوماسي، والذي سيتضح لنا من خلال إيراد نماذج لتلك

---

[1]- الغفاري، علي عبد القوي، الدبلوماسية القديمة والمعاصرة، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2002م، ص58.

المراسلات من خلال فترة الدراسة الحالية، وأثرها في تسيير الأمور، وهذا بحد ذاته يعد التزاما بالقوانين والرسوم الخاصة بالمراسلات، حيث أعدوا سجلاً خاصاً يحوي الألقاب المتعارف عليها في مخاطبة الملوك الأجانب والكاتبين في الدول المختلفة، مع ترتيب صيغ الدعاء لهم ومقدارها[1].

كل ذلك يعطي تصوراً واضحاً للدول الأخرى حول حرص الدولة الأموية والقائمين عليها فيما يختص بصياغة الرسالة، واختيارهم للرسول الحامل للرسالة سواء أكان رسولاً عادياً أم كان سفيراً.

(هـ) كُتاب ديوان الرسائل وميزاتهم :

لما كان ديوان الرسائل بحاجة إلى من يرأسه ويدير كافة أموره، فقد كان لابد من تعيين قائم بهذا الأمر، وهو ما كان يطلق عليه باسم الكاتب، أو متولي ديوان الرسائل، أو صاحب ديوان الرسائل، أو صاحب ديوان المكاتبات[2].

يقول القلقشندي: "ليس في منزلة خدم السلطان، والمنصرفين في مهامه أخص من كاتب الرسائل، فإنه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه، ولا غنى له عن مفاوضته في آرائه، والإفضاء إليه بمهماته،

---

[1]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص169. توفيق، عمر كمال، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين " دراسات تحليلية وثائقية في التاريخ الدبلوماسي، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986م، ص151

[2]- السامرائي، مرجع سابق، ص275. ياسين، مرجع سابق، ص449.

وإطلاعه على حوادث دولته، فهو لذلك لا يثق بأحد من خاصته ثقته به، ولا يحجب عنه متى أراد المثول بين يديه"[1].

إذن كان لصاحب الديوان مكانه رفيعة عند الخليفة، حيث كان خصيصاً بملازمته ومجالسته، كان هو المترف في جميع فنون المكاتبات، مكملاً للمعاني ومستوفياً للغاية من الرسالة في أي وجهه كانت من أمور الدولة مع رصانة الأسلوب وجزيل اللفظ، لذلك فقد كان مطلعاً على خفايا وأسرار الدولة، كتوماً لها مستشاراً فيها[2].

من الواضح أن ملازمة صاحب ديوان الرسائل للخليفة في أغلب الأوقات، سواء لقراءة الكتب الواردة على الخليفة لكثرتها وتقرير ما يجاب بشأنها، أو لانشغال صاحب الديوان بما يجري في الديوان نفسه، ومراقبة ما يكتب فيه وضرورة المقابلة به ، قد دفعه إلى تفويض الأمر إلى عدد من الكتاب الذين يثق بهم ويعتمد عليهم في إنجاز بعض المهام تحت إشرافه[3].

وُضِعَت شروط أوجب مراعاتها أثناء اختيار الكتاب وتعيينهم كل حسب طبيعة عمله، ولأضرب مثلا على الخازن، فقد جاء في شروط اختياره أن يكون رجلاً ذكياً عاقلاً مأموناً، بالغ الأمانة والثقة ونزاهة النفس، وقلة الطمع إلى الحد الذي لا يزيد عليه، فإن زمام جميع الديوان بيده، وذلك لاعتبارات عدة منها أن الخازن يحتفظ بكل صغيرة وكبيرة ترد إليه من مجلس

1- القلقشندي، صبح الاعشى، ج1، ص135-136. الرفاعي، أنور، النظم الإسلامية، ط1، دار الفكر، دمشق، 1992م، ص84.

2- ياسين، مرجع سابق، ص449

3- القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص146، 148. خماش، نجدة، الإدارة في العصر الأموي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1980م، ص281

الإنشاء والتحرير فيما يختص بالمراسلات الداخلية والخارجية، الصادرة والواردة، العربية والمترجمة، وبالتالي متى كان هذا الخازن قليل الأمانة، اجتذبته الرشوة ليفضي ببعض المكاتبات خارج الديوان فيفسد ما أؤتمن عليه من الأسرار، فيضر الدولة قبل أن يضر نفسه بذلك[1] .

مما سبق نستطيع أن نصل إلى الخصوصية والحساسية الشديدة لوظيفة الخازن، وما يجب أن يكون عليه من صفات أخلاقية قبل الشكلية في وظيفته، إذ نلاحظ أن ما يصل إليه من مكاتبات كان يمر في وجوده بعدة مراحل وجهود مضنية من جانب الكاتب المنشئ، ثم الناسخ الذي ينسخ المكاتبات بدقة مع ذكر التاريخ بيومه وشهره وسنته، ليصل في النهاية إلى يد الخازن الذي لا يجب بدوره أن يفرط في الحفاظ عليها بأي شكل من الأشكال[2].

يورد الجهشياري في ذلك وصف الخليفة عبد الملك بن مروان لأحد كتابه وما كان عليه من صفات فيقول فيه " أن روح بن زنباع شامي الطاعة، عراقي الخط، حجازي الفقه، فارسي الكتابة "[3].

من هنا نجد اجتماع كل هذه الصفات في كاتب أمرا محبذا من جانب الخلفاء، وأكثر تيسيراً في أداء العمل، وبالتالي يعطينا هذا صورة واضحة عما يجب أن يتصف ويكون عليه الكاتب، خاصة المقرب منهم إلى السلطة.

أما ما يتعلق بالراتب الذي كان يتقاضاه صاحب ديوان الرسائل، والكتاب العاملين تحت إمرته، فالمعلومات شحيحة في المصادر حول هذا المحور خلال فترة الدراسة، إلا أن الطبري

---

[1]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص170-171. توفيق، مرجع سابق، ص149.

[2]- المرجع نفسه، ص149.

[3]- كتاب الوزراء والكتاب، ص35.

يذكر أن أرزاق الكتاب في أيام بن العباس لم تزل من الثلاثمائة درهم إلى ما دونها[1]. فقد تعذر الحصول على معلومات دقيقة حول ذلك في المصادر التي بين أيدينا، وإن وجدت فهي خارج فترة الدراسة.

إذن كانت الكتابة صناعة يستحق عليها صاحبها راتبا يكون مصدر رزقه، لكننا نلاحظ أن الراتب كان يتفاوت من شخص لآخر، وأرى أن مكانة ومنزلة وأعمال الكاتب هي المعيار في هذا التفاوت، كذلك فإن الرزق الذي يتقاضاه الكاتب كان الهدف منه سدّ عينه عن التطلع إلى الرشاوى التي قد يقدم مقابلها كل ما يضر بالدولة الإسلامية، كون الحاجة والعوز يلجأ بالمرء إلى الوقوع في الخطأ، من هنا لابد أن يكون ذلك الرزق والراتب يزداد ويرتفع وفقا لحساسية ومكانة الكاتب، وأهمية ما يكتبه بالنسبة للدولة الإسلامية.

ثانيا: اللغة الدبلوماسية:

أما اللغة الدبلوماسية فنعني بها توافر أمرين هامين فيها، الأمر الأول هو اللباقة في الحديث وحسن المرونة[2]، ويعد الحوار الذي دار بين السفير الشعبي[3] الذي أسفر من قبل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلى إمبراطور الروم قد جسد وجود هذا الأمر في أدق وأوضح

---

[1]- تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص95-96.

[2]- عفيفي، محمد الصادق، تطور التبادل الدبلوماسي في الإسلام، د.ط، مكتبة جامعة اليرموك، الأردن، 1986م، ص136

[3]- هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، كان فقيهاً وشاعراً، اتصل بعبد الملك بن مروان فكان نديمه، وكان ضئيلا نحيفا. انظر ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص12.ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، د.ط، دار صادر بيروت، 1986م، م6، ص171.

معانيه، حيث ذكر أن إمبراطور الروم سأل الشعبي " خضابك هذا حين غيرته ألا رددته إلى سجيته وسنخه الأول أو تركته كما غيره الله تبارك وتعالى، قال الشعبي: الجوابُ عن هذا السؤال أن هذه سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال الملك: سنن الأنبياء لا متروك لها ولا احتجاج عنها، فهل للعرب من الأمثال مثل أمثال العجم؟ قال الشعبي: نعم، قال الملك: فعرفني عنها مثلا واحداً، قال الشعبي: ابن آدم إذا لم تستحي فاصنع ما شئت، قال الملك: هذا الذي لا يشبهه مثل! فمن أفضل أنت أم ابنك؟ قل الشعبي: أنا أفضل من ابني قال الملك: هكذا نجد صفتكم أن الآخر فالآخر حتى يكون الآخر بمنزلة الكلاب "[1].

كذلك نجد نفس اللباقة والمرونة في رد الخليفة الوليد بن عبد الملك بعد أن استشار أهل مجلسه في أمر رسالة إمبراطور الدولة البيزنطية، الذي غالطه بالقول عندما أرسل إليه " أنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها فإن كان حقا فقد خالفت أباك، وإن كان باطلاً فقد أخطأ أبوك "[2]، فما كان من رأي الفرزدق الشاعر للخليفة إلا بالرد على الإمبراطور البيزنطي بقصة سليمان وداود اللذين تعرضا للقضاء في إحدى المشاكل، وأبدى كل منهما رأيا دون أن يختلفا معا[3]، واستشهد الخليفة الوليد في رسالته بالآية القرآنية • وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث، إذ نفشت فيهم غنم القوم

---

[1] – ابن الفرا، أبي علي الحسين بن محمد، كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1972، ص95،94.

[2]– ابن عبد ربه، احمد بن محمد، كتاب العقد الفريد، تقديم خليل شرف الدين، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1990م، ج1، ص268. قارن مع الطبري، مصدر سابق، ج6، ص436. العدوي، إبراهيم أحمد، الأمويون والبيزنطيون البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية، ط1، رياض الصالحين للطباعة والنشر، الفيوم، 1994م، ص218.

[3]– ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج1، ص268.

وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان، وكلا ءاتينا حكما وعلما "[1] وتدور أحداث القصة حول احتكام القوم لكل من سليمان وداود عليهما السلام في أمر الحرث ما إذا كان زرعاً أو كرماً حينما ارتعت فيه أغنام القوم ليلا دون راع فقال داوود لصاحب الحرث رقاب الغنم وقال سليمان ينتفع بدرها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان بإصلاح صاحبها فيردها إليه.[2]

من هنا يتبين لنا أن الخليفة لم يَحِرْ جواباً وإنما امتلك المرونة ولباقة في الرد على الإمبراطور البيزنطي الذي أراد التقليل من شأن الخليفة، والتسفيه من عمله أمام قومه.

أما الأمر الثاني فيقصد به المفهوم المباشر من الكلمة، وهو إتقان لغة البلد التي سيتم إرسال المبعوث إليها وهو ما كان يحدث غالباً، وفي بعض الأحيان يستعاض عن ذلك بتعيين مترجم له، لما لذلك من أهمية كبرى في تيسير المهمة المسفر لأجلها أيا كان نوعها أو الهدف منها[3].

وبصورة أخرى يمكن اعتبار المعرفة بلغات السفراء القادمين للدولة الإسلامية تحمل نفس الأهمية والمعنى، ونورد دليلاً على ذلك عندما وفدت سفارة بيزنطية من عشرة رجال إلى دمشق زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م)، إذ عهد إلى الخليفة إلى عشرة رجال مسلمين ممن يعرفون اللغة اليونانية بمصاحبة أفراد هذه السفارة دون أن يطلعوهم أنهم يعرفون اللغة اليونانية، ثم كلفهم أن يدونوا له ما يبدونه من ملاحظات، فلما دخلت السفارة

---

[1]- قرآن كريم، سورة الأنبياء، آية78.

[2]- المحلي، محمد بن أحمد، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، د.ط، دار المأمون للتراث، دمشق، 2000م، ص330.

[3]- عفيفي، مرجع سابق، ص136.

البيزنطية الجامع الأموي، وأخذت تتفرس في روائعه الفنية خر رئيسها مغشيا عليه، فحمل إلى منزل الضيافة، ولما أفاق سأله رفاقه عما حل به فجأة، إذ كان طوال الطريق موفور الصحة والعافية فقالوا له: " ما الذي عرض لك حين دخلت هذا المسجد؟ فقال: إنا معشر أهل رومية (أي القسطنطينية) نتحدث أن بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت أن لهم مده سيبقونها فلذلك أصابني ما أصابني" [1].

إذن الأهمية التي عادت على الدولة الأموية من معرفتها بلغة القوم الموفدين إليها نلخصها في عدة نقاط وهي :

1. معرفة المسلمين بالصورة المأخوذة والمتوقعة عنهم مسبقا من قبل الدولة البيزنطية من خلال كلام رئيسهم، والذي يعطي صورة غير مباشرة عن هدف السفارة، وهو التأكد من الحال الذي وصل إليه العرب ومدة بقائهم المتوقعة.

2. معرفة المسلمين في الدولة الأموية لوجهة نظر الدولة البيزنطية من خلال عيون سفرائها الذين سينقلون ما رأوا بكل دقة للإمبراطور البيزنطي، معترفين بعظمة تلك الدولة الإسلامية في عمرانها الذي يعكس عظمتها في سياستها وما يتبعه.

3. نجاح الدولة الأموية في إبراز عظمة العمارة الإسلامية وإشعار غيرهم بذلك، وخاصة في مساجدهم، وبالتالي إلقاء الرعب في قلوب الأعداء، وإظهار ما يخفون بأنفسهم وقلوبهم من هيبة وروعة ما يشاهدون.

---

[1]- ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ط1، دار الفكر، دمشق، 1982م، ج1، ص211-212. العدوي، مرجع سابق، ص220.

وبالتالي يمكننا أن نقيس على هذه الحادثة مواقف أخرى وفوائد أكثر تعود على الطرف المستقبل للسفارة، بل وكذلك على الطرف المرسل للسفارة، والذي قد يتمثل في السفارة نفسها أحيانا، خاصة إذا كانت المهمة تحقق مصلحه عامة للشعب كالدعوة إلى الإسلام مثلاً، وقد ضرب لنا التاريخ منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الأمثلة على ذلك .

أما بخصوص اللغة التي كان تكتب بها الرسائل في الديوان عامة فقد كانت اللغة العربية سواء في مراسلات المسلمين مع المسلمين أم مع الفرنجة، في حين أن الرسائل الواردة من الفرنجة والتي عادة ما كانت تأتي بلغة مرسليها، فقد كان المسلمين يقابلونها بحلول استوجب تواجدها استمرارية العلاقات الدبلوماسية؛ حيث أدركت الإدارة الأموية مدى احتياج الكاتب إلى معرفة اللغات الأخرى[1]، وفي ذلك يقول القلقشندى: " **ولا يخفى أن الكاتب يحتاج في كماله إلى معرفة لغة الكتب التي ترد لملكه أو أميره، ليفهمها ويجيب عنها من غير إطلاع ترجمان عليها، فإنه أصون لسر ملكه وأبلغ في قصده**"[2].

إذن تعد الحاجة إلى الكاتب العارف بلغة القوم المرسلين للرسالة أفضل وأجدر وأحفظ للأسرار، بدلاً من عرضها على أكثر من شخص، وشيوع مضمونها بين الألسن التي قد لا تضمن عن التفوه والتلفظ بما فيها، مما قد يمثل خطراً جسيماً على الدولة الإسلامية، خاصة إن كانت المعلومات الواردة في الرسالة على قدر كبير من الأهمية والحساسية.

---

[1]- توفيق، مرجع سابق، ص149-150

[2]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص202.

ثالثاً: نماذج من السفارات الأموية:

غلب على الدولة الأموية طابع الفتوحات الإسلامية في مختلف الأقطار، والتي كانت غالبا ما تنتهي بنشر الإسلام كأحد ثمار سياستها الدبلوماسية، فضلا عن ركون الدولة الأموية إلى الدبلوماسية في تنفيذ سياستها الخارجية، سواء مع القوى المعادية لها مثل الإمبراطورية البيزنطية أو القوى الأخرى في أطراف الأرض، مثل الصين والهند وأواسط آسيا وغيرها، حيث كانت تلجأ إلى سياسة الحسنى والتراضي للعزوف عن الحرب تارة، وعقد المحالفات والمعاهدات ووضع شروط للمهادنات مع الدول التي أوقفت الحرب معها ومحاولة الدفاع عن حدودها الإسلامية، وتبادل المنافع والمصالح المشتركة بينهم تارة أخرى[1].

من هنا فإن غلبة الجانب الحربي في علاقات الدولة الأموية مع الروم لا يعني افتقارها إلى فترات سلمية مارست فيها الدبلوماسية مع الروم وغيرها من الدول، وأبرزت من خلاله اهتمامات خلفائها المتعددة، وعالجت جوانب مختلفة زادت من قيمة وهيبة ومكانة وجودها السياسي بين القوى الكبرى، وقد حققت الدولة الأموية ذلك من خلال عدة طرق، من بينها السفارات وما كان يصحبها في بعض الأحيان من المراسلات، وهذا معناه أن الدبلوماسية استخدمت في العصر الأموي كبديل للحرب، ومتمم لها بعد توقف العمليات العسكرية في تقرير سياسة الدولة الخارجية في التوسع ومقارعة الأعداء[2].

---

[1]- الغفاري، مرجع سابق، ص58.

[2]- خدوري، مجيد، الصلات الدبلوماطيقية بين هارون الرشيد وشارلمان، د.د، بغداد، 1983م، ص 24. نقلا عن فودة، عز الدين، النظم الدبلوماسية، ط2، مكتبة الأداب، القاهرة، 1989م، ص122. عفيفي، مرجع سابق، ص34

لقد ضرب لنا الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان (40-60هـ/661م-680م) دليلاً واضحاً على رغبة الدولة الأموية في حل خلافاتها وحماية حدودها، بالاستعانة بالطرق الدبلوماسية الصحيحة، فقد وجه الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى إمبراطور الروم سفيره عبد الله بن مسعدة الفزاري[1] عام 42هـ/662م، لطلب الصلح مقابل مبلغ من المال قدره مائة ألف دينار تدفعه الخلافة للروم، وذلك نظير تفادي هجمات الروم، في الوقت الذي كانت فيه الخلافة منشغلة بمعالجة الاضطرابات الداخلية[2]، التي تتمثل في الحرب الأهلية التي حدثت في أعقاب مقتل الخليفة عثمان بن عفان[3]، ومحاولة استغلال الوضع من قبل الروم وغزو بلاد الشام أيام حرب صفين. وظلت الدولة الأموية ملتزمة ببنود تلك الاتفاقية ومدتها حتى بعد انقضاء فترة الاضطرابات الداخلية، وذلك يعد دليلاً على تمسكها بدبلوماسية السلام والمسالمة.

نلاحظ هنا أن الوضع لصالح الروم، فنجد السفارة موجهة من الدولة الأموية إلى الروم، وكانت مهمة هذا السفير تقتضي طلب الصلح والهدنة للتفرغ لحل المشاكل الداخلية للدولة الإسلامية، وكانت فيها المبادرة من الجانب الإسلامي الذي كان يعاني من نقاط ضعف تتمثل في الإضطرابات والفتن الداخلية التي استغلها الأعداء لصالحهم.

---

[1]- الأصفهاني، أبي الفرج، كتاب الأغاني، تحقيق: لجنة من الأدباء، د.ط، الدار التونسية، تونس، 1983م، ج15، ص120.

[2]- اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص151.

[3]- ربيع، حسين محمد، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط7، دار النهضة العربية، القاهرة، 2000م ، ص86-87.

وفي سنة 48هـ/668م أرسل سابور أحد حكام المناطق المجاورة لأرمينية (بند الارمنياق) إلى معاوية بن أبي سفيان رسولاً اسمه سرجي أو سرجيوس يطلب منه المساعدة والتحالف على الروم، وفي نفس الوقت أرسل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين أيضاً رسولاً يسمى (اندرا الخصيّ) وهو من خواصّه إلى معاوية يطلب منه عدم الإصغاء إلى مطالب سابور، لكونه متمرداً عليه، ويخاطب الخليفة بقوله لا يكون الملك والمملوك عندكم سواء . فما كان رد معاوية لسفير الإمبراطور: " كلكم أعداؤنا فأيكم زاد لنا من المال راعيناه، إن أعطيتمونا كل خراج بلادكم، فبقي لكم اسم المملكة وإلا أزحناكم عنها "[1].

تُظهر لنا هذه السفارة طلب تحالف من قبل قوة صغيرة على قوة أكبر، ويمثل فيها الجانب الإسلامي الأموي جانب القوة الذي يسترضيه كلا الطرفين، الطرف الثائر والطرف البيزنطي، ليكون إلى جانبه ويدعم قوته ضد الآخر. ونستوضح قوة الجانب الأموي بصورة اكبر من خلال اللهجة التي خاطب بها الخليفة سفير الروم، تلك اللهجة التي لا ترد إلا على لسان مالك لدولة قوية قاهرة تفوق في مكانتها وثقلها من تخاطب من الدول الأخرى، والخليفة يعلم علم اليقين بأن رسالته ستصل إلى الإمبراطور الرومي على تلك الصورة التي أظهرها هذا إن لم يبالغ السفير الرومي في نقلها.

كذلك سفارة الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى قسطنطين إمبراطور الروم في عام 58هـ/678م على إثر إخفاق الدولة الأموية في حصار القسطنطينية، حيث هدفت السفارة إلى

---

[1]- للتفاصيل انظر ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون، تاريخ مختصر الدول، صححه وفهرسه انطون صالحان اليسوعي، د.ط، دار الرائد اللبناني، بيروت، 1983م، ص187-188. عثمان، مرجع سابق، ج2، ص48.

طلب الصلح وتعهد الدولة الأموية بدفع إتاوة سنوية[1]، فما كان من إمبراطور الروم سوى استقبال الوفد الإسلامي بالإعزاز والتكريم، ولإتمام هذا الصلح فقد أرسل الإمبراطور معهم إلى البلاط الأموي أشهر سفرائه، وأحد رجاله المقربين والذي يعد بمثابة مستشاره الخاص في كل ما يتعلق بأمور العرب، وهو البطريق[2] يوحنا المسمى (بتسيكود) وهو رجل مسن حكيم له دراية بمجاورة العرب، لذلك فقد اعتمدت الدولة البيزنطية عليه كثيرا في سفارته من أجل إنهاء حالة الحرب التي طالت بين الدولتين الأموية والبيزنطية، حيث استقبل من جانب السلطات الأموية بالحفاوة والترحيب وعقد له مجلس كبير ضم أعظم شخصيات البيت الأموي وعلية قوم المسلمين[3]، واكتسب هذا السفير مكانة عظيمة في نفس الخليفة معاوية، حيث اتفقوا في الصلح على كتابة عهد موثق باليمين يدفع بموجبه الأمويون سنوياً للروم ثلاثة آلاف دينار ذهب، وثمانية آلاف أسير، وخمسين جوادا من الخيل الجياد، وحُدِدَت مدة الصلح بثلاثين عاما، ودونت العهدة ووقع على نسختين منها لكل فريق نسخة، ليعود بعدها السفير يوحنا إلى القسطنطينية وهو يحمل عظمة البلاط الأموي ونبل رجاله وخليفته في أخباره، هذا فضلا عن الهدايا النفيسة جدا التي حملها معه[4].

إذا أردنا معرفة الأسباب التي دفعت بالخليفة معاوية لإرسال السفارة وطلب الصلح هذه المرة نجدها تتمثل في عدة أسباب، فمن جهة هناك الفشل الذي مني به المسلمون في حصار

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج5، ص293-299.

[2]- البطريق هو القائد من قواد الروم يكون تحت يده عشرة آلاف رجل، الخوارزمي، مصدر سابق، ص77.

[3]- العدوي، مرجع سابق، ص216.

[4]- عثمان، مرجع سابق، ج2، ص51-52.

القسطنطينية، والذي ترجعه المراجع الأوروبية إلى النار الإغريقية Greek Fire التي كان توصل إليها كاللينيكوس Callinicus أحد النازحين السوريين إلى القسطنطينية، والتي كانت عبارة عن مخلوط كيميائي قابل للانفجار، يزداد اشتعالا بملامسته الماء بدلا من انطفائه ما إن تقذفه السفن البيزنطية على السفن الإسلامية[1]، وبسبب الموقع الجغرافي لها وطبيعة التيارات المائية المحيطة بجهاتها الساحلية[2]، هذا فضلاً عن الهزيمة التي لحقت ببعض الحملات الشتوية الإسلامية في قبرص أو رودس، ومن جهة أخرى نلاحظ أن الروم استعانوا بالجراجمة[3] الذين شكلوا خطراً على المسلمين لأنهم خرجوا من لبنان فضبطوا كل ما كان من الجبل الأسود (المعروف بالجبل الاقرع فوق السويدية) إلى المدينة المقدسة أورشليم، واستحوذوا على قمم لبنان وانضم إليهم كثيرون من العبيد والأسرى والوطنيين، حتى أصبح عددهم في مدة وجيزة ألوف كثيرة[4].

1- Canard, M., Les Expeditions des Arabes Contre Constantinople dans I Histoire et dans la legende , Journal Asiatique, Vol. 208 (1926), pp. 77-80. نقلا عن ربيع، مرجع سابق، ص90

2- عثمان، مرجع سابق، ج2، ص50

3- هم جماعات من النصارى من مدينة على جبل اللكام بين بياس وبوقا، أي على سلسلة جبال طوروس المواجهة للحدود الإسلامية أعالي الشام، كانت تتخذهم بيزنطة كسياج في اغلب الأحيان، سماهم العرب المردة لكثرة عصيانهم. أنظر البلاذري، الفتوح، ص163. ربيع، مرجع سابق، ص96.

4- عثمان، مرجع سابق، ج2، ص51

نستنتج من طريقة استقبال معاوية للسفير إدراكه لسياسة الدولة البيزنطية التي كانت تغالي في انتقاء سفرائها إلى الدولة الأموية، وأن اختيارها لهذا السفير كان مبنيًا على ما رأته في شخصه من صفات أهلته ليكون مبعوثها إلى الدولة الأموية؛ لإيجاد تسوية مرضية للطرفين بعد حرب طويلة. كذلك يبين لنا هذا الصلح وخاصة بعد عرض الأسباب التي أدت إليه ومعرفة المبادر بهذا الصلح وهو الدولة الأموية، أنها لجأت إلى دبلوماسية المهادنة كونها في الكفة الأضعف.

كشفت السفارات المتبادلة بين الدولة الأموية والإمبراطورية البيزنطية عن غرض آخر من أغراض السفارات خلال تلك الفترة وهو غرض ثقافي، حيث أبرزت لنا الوثائق السياسية والإدارية العائدة لهذا العصر بعض تلك السفارات، فقد أرسل إمبراطور الروم رسولين إلى معاوية يحملان رسالة يقول فيها:" **إن أحدهما أقوى الروم، والآخر أطول الروم، فانظر في قومك من يفوقهما في قوة هذا وطول هذا؟ فإذا كان في قومك من يفوقهما بعثت إليك من الأسارى كذا كذا، ومن التحف كذا كذا، وإن لم يكن في جيشك من هو أقوى وأطول منهما فهادنّي ثلاث سنين** "[1]، وقد تغلب محمد بن الحنفية على القوي، وفاق قيس بن سعد بطوله الطويل[2].

---

[1]- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1967م، ج8، ص110-ص111. حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية الإدارية العائدة للعصر الأموي 40-132هـ/661-750م، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، ص167.

[2]- المبرد، أبي العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ج2، ص85-86.

إن هذه السفارة تظهر لنا فترات السلم التي كانت تكتنف علاقة الدولة الأموية بالبيزنطية في بعض الأحيان، وتبين لنا الرغبة نحو تلطيف الجو المشحون بين الدولتين، كما أنها تبرز لنا اعتماد إمبراطور الروم على عاملي القوة والطول في أفراد الجيش لتحديد قوة الطرفين ومدى الغلبة وهو بذلك يباهي بأفراد جيشه، كما لا يفوتنا أن إمبراطور الروم قد يكون له مغزى آخر من هذه السفارة كالترهيب وإلقاء الرعب بعرض عينه من أفراد جيشه أمام المسلمين .

كذلك أرسل إمبراطور الروم مبعوثا إلى الخليفة معاوية يحمل رسالة جاء فيها " أخبرني عما لا قبلة له ، وعمن لا أب له، وعمن لا عشيرة له، وعمن سار به قبره، وعن ثلاثة أشياء لم تخلق من رحم، وعن شيء ونصف شيء ولا شيء، وابعث إلي في هذه القارورة بذور كل شيء "، وقدم معاوية إلى ابن عباس للإجابة على الأسئلة، فقال ابن عباس:" أما فما لا قبل له فالكعبة، وأما من لا عشيرة له فآدم، وأما من سار به قبره فيونس، وأما الثلاثة الأشياء لم تخلق من رحم فكبش إبراهيم الذي فدى به ابنه إسماعيل، وناقة ثمود وحية موسى، وأما الشيء: فالرجل له عقله يعمل بعقله، وأما نصف الشيء فالرجل الذي ليس له عقل ويعمل برأي غيره من ذوي العقول، وأما لا شيء فالرجل ليس له عقل ولا يعمل به ولا يستعين برأي غيره. ثم ملأ القارورة ماء وقال هذا بذر كل شي". ثم أرسل معاوية إجابة ابن عباس إلى قيصر الروم، فلما رآها صحيحة، قال: "ما خرج هذا إلا من بيت النبوة "[1].

هذه السفارة تجسد نوعاً من أنواع المنافسة بين دولتين تسعيان نحو إظهار التفوق العلمي، كما تنم عن نوع من أنواع الثقافة والزهو والتفاخر بالعلم، وهذا دليلاً على أن العلاقة بين الدولتين لم تكن تحكمها العداوات على الدوام، كما لم تكن سياسية فقط، وإنما ارتقت إلى التبادل

---

[1]- ابن قتيبة، أبو عبد الله محمد بن مسلم، كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد الاسكندراني، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م، ج1، ص199-200. ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج1، ص267-269.

الثقافي، وإبراز الذات الدولية مع الاعتراف بمكانة الدول الأخرى، وهو ما يتضح من جواب إمبراطور الروم عندما وصله الجواب على أسئلته هذا من جهة، من جهة أُخرى تبرز لنا هذه الحادثة مدى اعتماد الخلفاء على فقهاء وعلماء الدين في علاقاتهم مع الدول الأخرى، حيث كانوا يركنون إليهم في كثير من الأمور، وهذا يعود إلى قدرة الخلفاء وعقليتهم في محاولة الاستفادة من كل ما يمكن أن يفيد في مجال إبراز ذات الخلافة الأموية والرفع من قدرها.

لا يجب أن نغفل الدور الذي كان يلعبه الخلفاء الأمويون في استخدام السفارات لأغراض سرية تخدم مصلحة الدولة الإسلامية ومصلحة أفرادها، ومن ذلك ما كان من إعمال الخليفة معاوية الحيلة في سبيل اقتصاص أحد أسرى الدولة الإسلامية من البطريق الرومي الذي أهانه في بلاط القسطنطينية، فأحضر البطريق بواسطة سفير سرّي إلى بلاط الدولة الأموية وبعد أن اقتص الأسير من البطريق، أكرم الخليفة البطريق الرومي بالهدايا وأعاده إلى إمبراطور الروم برسالة شفهية يقول فيها : **"تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ويقتص لرعيته في دار مملكتك وسلطانك وعزك"**[1]. وتدل هذه الروايات على أن الصلات بين الدولة الأموية والدول الأخرى قد تتخذ طابع السرية كما تتخذ طابع العلنية.

استمرت السفارات الأموية إلى الدولة البيزنطية في العهود التي تلت عهد الخليفة معاوية، حيث أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان الأموي (65هـ/684م-86هـ/705م) سفيراً إلى الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني(66هـ/685-76هـ/695م) في عام 65هـ/684م كان الهدف

---

[1]- ابن قتيبه، مصدر سابق، ص198. الفاسي، عبد الله بن يوسف بن رضوان، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق: سليمان معتوق الرفاعي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م، ص486-487، 491

منها توقيع اتفاقية هدنة وصلح بين الجانبين، وقد نصت الهدنة على أن يدفع عبد الملك بن مروان ثلاثمائة وخمساً وستين ألف قطعة ذهبية، وثلاثمائة وخمسة وستين جواداً أصيلاً سنوياً، في مقابل أن يتعهد الإمبراطور جستنيان الثاني بسحب المردة من منطقة شمالي الشام، وإيقاف الغارات البيزنطية على الأراضي الإسلامية، فاستدعى اثنا عشر ألفا منهم، فاستقروا داخل الحدود البيزنطية[1].

يبدو أن السفير المبعوث في هذه السفارة هو عامر بن شرحبيل الشعبي الذي تم اختياره من قبل الخليفة نفسه، وبمشاركة الفقهاء والعلماء بعد أن أخضعه للاختبار، مما يكشف الحرص والتدقيق في الاختيار، وعدم الاعتماد المطلق على ديوان الرسائل في هذه المسألة، فقد كان الشعبي عالماً وحجة في تاريخ العرب قبل الإسلام، وأنسابهم، وأشعارهم، وحاوره الخليفة عبد الملك بن مروان قائلاً:" **يا شعبي، ما العلم ؟ فقال: هو ما يقربك من الجنة ويباعدك من النار. قال الخليفة: ما العقل؟ فقال: ما يعرفك عواقب رشدك ومواقع غيك. قال الخليفة: متى يعرف الرجل كمال عقله ؟ فقال: إذا كان حافظاً للسانه موارياً لأهل زمانه مقبلاً على شأنه. ثم قال الخليفة: أنشدني أحكم ما قالته العرب وأوجزه. قال الشعبي: يا أمير المؤمنين قول زهير:**

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفِرْه ومن لا يتق الشتم يشتم

وقول النابغة:

ولست بمستبق أخا لا تلمــــه على شعث أي الرجال المهذب

وقول عدي بن يزيد:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقــــــارن يقتدي

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج6، ص150. العدوي، مرجع سابق، ص152.

وقول طرفة:

ستبدي الأيام ما كنت جـاهلا   ويأتيك بالأخبـــار من لم تزود

ثم اختبره اختباراً شخصياً لمعرفة قدراته على ضبط النفس، وقد كان الشعبي ضئيل الجسم لا يبعث منظره على حقيقة نفسه، فقال له الخليفة: انك لدميم يا شعبي فأجابه، زوحمت في الرحم يا أمير المؤمنين، أي أنه توأم، وعادة ما يكون أحد التوائم أقل جسماً من الآخر، وأراد بذلك النجاة بنفسه من ازدراء الخليفة له. وبعد أن ثبت للخليفة جدارته بعثه بالسفارة التي كان يحمل فيها رسالة خاصة إلى إمبراطور الروم، وحينما وصل الشعبي وبلغ الرسالة قال ملك الروم للشعبي: كنت أحب أن أسألك عن ثلاث، وكان حسن حديثك يمنعني من ذلك. فقال الشعبي: فليسألني الملك الآن عما أحب[1]، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة، فامسكني عنده أياما فحين أردت الانصراف قال لي: أمن بيت المملكة أنت؟ قلت: لا، لكنني رجل من العرب، فدفع لي رقعة خاصة وقال: إن رجعت إلى صاحبك فأبلغه ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا، وادفع له هذه الرقعة[2]، فلما انصرف الشعبي وأوصل وأراد الانصراف ذكر الرقعة وقال: يا أمير المؤمنين حملني رقعه. قال: كيت وكيت[3] فقال عبد الملك: لعلها مكيدة من كيداتهم، هاتها! فدفعها إليه فلما فضها وقراها إذا فيها عجبت لقوم فيهم مثل هذا كيف يملكون غيره. فلما وقف الشعبي على ما تضمنته الرقعة. خُلع عقله واستطار لبه، وأظهر بلها ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنما كبرت في عينيه لأنه لم يرك، ولو

---

[1]- انظر ما سبق، ص58.

[2]- ابن الفراء، مصدر سابق، ص95،94. ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص12-13.

[3]- يقصد بها سرده ما كان من كلام الإمبراطور له أي قال كذا وكذا

رآك لاستحقرني! فقال له: أحسنت يا شعبي! ولكن أتدري ما أراد بما كتب؟ قلت: لا. قال: حسدني عليك. فأراد أن يغريني ويحملني على قتلك "[1].

ونلاحظ ما سبق أن الشعبي قد أثبت علو شأنه في ميدان الدبلوماسية الإسلامية كسفير، ورفع شأن دولته، إذ أنه دخل في مناقشات أولاً مع الخليفة ليثبت بذلك جدارته للسفارة، ثم مع إمبراطور الروم[2]، كذلك يبرز لنا دهاء أباطرة الروم في محاولة تخليص الدولة الأموية من بعض الشخصيات الحكيمة البارزة فيها، ومحاولة إثارة الخليفة ضد سفيره والتغرير به.

كانت السفارات أحياناً جوابية أي يحمل السفراء والرسل معهم كتباً ورسائل جوابية، وغالبا ما يتواجد فيها الهدف من السفارة ، منها الرسالة التي بعث بها الوليد بن عبد الملك إلى صاحب الروم يطلب منه صناعاً لعمارة مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فبعث إليه أربعين رجلاً من صناع الروم، وأربعين من صناع القبط، ووجه معهم مائة ألف مثقال ذهباً ومائة صانع، وأربعين حملاً فسيفساء[3]. فجاء الصناع وخمروا النورة سنة للفسيفساء، وجعلوا أساسها بالحجارة، وجعلوا اسطوانات المسجد من حجارة مدورة في وسطها أعمدة حديد وركبوها بالرصاص، وجعلوا سقفها منقشه مزوقة بالذهب بلاط المحراب مذهباً، وجعلوا وجه الحائط القبلي من داخله بإزار رخام من أساسه إلى قدر قامة، في وسط المحراب مرآه مربعة ذكروا أنها

---

[1]– المسعودي، مروج، ج3، ص140. ابن الفرا، مصدر سابق، ص84-85. المبرد، مصدر سابق، ج2، ص84-85. عثمان، مرجع سابق، ج2، ص395.

[2]– ابن الفرا، مصدر سابق، ص41. العدوي، مرجع سابق، ص217.

[3]– اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص198. الطبري، مصدر سابق، ج6، ص436. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص60.

كانت لعائشة والمنبر كان للنبي قد غشي بمنبر آخر، وقال عليه الصلاة والسلام: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة[1].

نستنتج من هذه السفارة أن الأمويين لم يجدوا في مسألة الاستفادة مما هو بأيدي الروم من الصنائع والفنون حرج لتشييد منشئ كبير يخدم المسلمين، وبشكل عام نجد أن الاتصال بين الأمويين والروم قد تم لأغراض عديدة ومتنوعة، منها ما يتصل بمحاولة إنهاء حالة الحرب والإبقاء على السلام لأطول فترة ممكنة، وهذا يرجع إلى الأوضاع الداخلية للدولة الأموية والتي كانت في أغلبها غير مستقرة، وما يتبع ذلك من سقوط للأسرى والرغبة في فدائهم؛ ومنها ما يهدف إلى الرد على محاولة بعض الملوك التقليل من شأن وعظمة خلفاء بني أمية، والنيل منهم ووصف أعمالهم بالسفه.

كانت هناك جهود من جانب خلفاء الدولة الأموية للدعوة إلى الإسلام من خلال سفرائها مثلما حدث من الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي أرسل كل من عبد الله بن عبد الأعلى ورجل آخر من عنس كسفراء لإمبراطور الروم ليون[2]، حيث وصل السفيران وعرض العنسي ما جاء لأجله فقال: إن أمير المؤمنين يدعوك إلى الإسلام، فإن تقبله تُصِب رشدك، وإني لأحسب أن الكتاب قد سبق عليك بالشّقاء، إلا أن يشاء الله غير ذلك، فإن قبلت وإلا فاكتب جواب كتابنا. فكتب الإمبراطور جواب كتابهم[3].

---

[1]- الدينوري، مصدر سابق، ص326. القزويني، مصدر سابق، ص108.

[2] -E.I.Liyn, p781

[3]- للتفاصيل أنظر المبرد، مصدر سابق، ص83-84.

لم تقتصر الدولة الأموية في توجيه سفاراتها وتبادلها في الإمبراطورية البيزنطية فقط، بل تعدتها إلى قوى ودول أخرى، فقدرت المصادر الصينية عدد السفارات الأموية التي توجهت إلى الصين سبع عشرة سفارة[1]، صحيح أن المصادر العربية لم تذكر الكثير عن تلك التبادلات السفارية بل نجدها أحيانا كثيرة تلزم الصمت، وهذا قد يعزى إلى عدم قدرتها على التفريق والتمييز بين السفارات التي جاءت من قبل الخلفاء، والتي جاءت من قبل الأمراء الذين استولوا على زمام الحكم ومقاليد السلطة فيما وراء النهر وخراسان، لذلك يبدو أن السفارات الرسمية التي تم تبادلها بين الخلفاء الأمويين والأباطرة الصينيين لم تكن كثيرة لاقتصار الكتب العربية على ذكر عدة بعثات منها فقط[2]، ونظرا لكون تفسير وشرح ما يتعلق بالخلفية التاريخية للسفارات الأموية ليس مجال البحث الحالي فإنه يقتصر على ذكر نماذج لسفارات متبادلة بين الخلافة الأموية وإمبراطورية الصين.

أرسل إمبراطور الصين سفيراً إلى الخليفة معاوية يحمل الرسالة التالية (من ملك الأملاك الذي تخدمه بنات ألف ملك، والذي بنيت داره بلبن الذهب، والذي في مربطه ألف فيل، والذي له نهران يسقيان العود والكافور الذي يوجد ريحه من عشرين ميلاً، إلى ملك العرب الذي يتعبد لله ولا يشرك به شيئاً، أما بعد، فأني أرسلت إليك هدية وليست بهدية ولكنها تحفة، فابعث إليّ بما جاء به نبيكم من حرام وحلال، وابعث لي من يبينه لي والسلام) وكانت الهدية كتابا من سرائر

---

[1]- المسري، علي حسين، تجارة العراق في العصر العباسي، جامعة الكويت، د.ط، الكويت، 1982م، ص253.

[2]- الصيني، بدر الدين حي، العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، ط1، مصر، 1950م، ص181.

علومهم فيقال انه صار بعد ذلك إلى خالد بن يزيد بن معاوية. ويعلّق القاضي على هذه السفارة بقوة" كانت العرب تطلق اسم الصين على هذه المنطقة من الهند، وليس عندنا دليل واضح على إسلامهم"[1].

هذه سفارة واردة إلى البلاط الأموي نجدها في عهد أول خليفة أموي وهو معاوية بن أبي سفيان، خليفة في بداية تأسيسه لدولة تتقاذفها الاضطرابات الداخلية والثورات التي تشتعل بين الفترة والأخرى إثر مقتل آخر الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب وابنه الحسن، إذن فالأوضاع الداخلية ليست مستقرة استقراراً تاماً، وقد يكون سببا من الأسباب التي تفسر اللهجة التي يخاطب فيها إمبراطور الصين للخليفة الأموي معاوية لدى تعريفه بشخصه وبإمبراطوريته من جهة، وتصديره لنفسه قبل الخليفة معاوية في الرسالة من جهة أخرى، حيث نراه من ذلك التقديم وذلك الطرح والذكر لبلاده وما تنعم به من خيرات، ليعد أسلوباً غالبا ما يتبعه الطرف القوي أو الذي يستشعر بأن قوته قد تفوق قوة المرسل إليه، وكذلك فهو أسلوب عدواني تحذيري ولكن بشكل دبلوماسي يبتعد فيه صاحبه عن التهديد أو المواجهة المباشرة، وذلك لأن الغرض الرئيسي للسفارة يتبين لنا في نهاية الرسالة التي يحملها السفير وهو غرض ديني محض، يترتب عليه نتائج ثقافية تتواجد في طيات ما يحمله السفير من هدية تتمثل في كتاب يحوي أسرار علوم دولة غير عربية، قد تفتح مجالاً أوسع في تبادل الكتب بين تلك الأطراف، مما يوسع من المعرفة الثقافية لدى الجانبين وخاصة الجانب العربي الأموي الذي لا يفتأ في إيجاد المترجمين لترجمة كل كتاب قد يصل إليهم من أطراف الملوك للاستفادة منه. وإن ما يذكر حول إمكانية تحويل

---

[1]- ابن الزبير، القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، د.ط، الكويت، 1959م، ص84. أطهر المباركبوري، القاضي أبو المعالي عبد الحفيظ بن الشيخ محمد حسن، رجال السند والهند إلى القرن السابع، ط1، دار الأنصار، شارع الجمهورية، عابدين، 1977م، ج1، ص285-286.

الكتاب إلى خالد بن يزيد بن معاوية فهو لصلاح هذا الفرد من البيت الأموي في مجال العلوم، وخاصة الكيمياء على حساب فشله في المجال السياسي، وهو ليس مجال حديثنا هنا، ولكن إيراد ذكره ما كان إلا من باب إبراز اهتمام الجانب الأموي بعلوم وثقافات الدول الأخرى من خلال الكتب التي قد تصل كهدايا برفقة السفراء من حكام وملوك وأباطرة تلك الدول إلى الخلافة.

وفي سنة 96هـ/714م عندما وصل الأمويون في فتوحاتهم إلى حدود الصين كتب إمبراطور الصين إلى القائد قتيبة بن مسلم الباهلي قائد القوات الأموية في تلك البقاع، في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، ليبعث إليهم برجل من أشراف العرب يخبرهم عنهم وعن دينهم، فانتقى القائد الباهلي من عسكره عشرة رجال متميزين بالشرف والجمال والأجسام واللسان، وعلى رأسهم هبيرة بن مشمرج الكلابي، وأمر لهم بالسلاح، ومتاع من الخز، وخيول مطهمة تقاد معهم، ودواب يركبونها، وأمرهم أن يخبروا إمبراطور الصين بأن أميرهم قد حلف ألا ينصرف حتى يطأ بلادهم، ويختم ملوكهم، ويجبي خراجهم[1].

حضر السفراء عند إمبراطور الصين ثلاث مرات، لبسوا في المرة الأولى ثياباً بيضاً تحتها الغلائل، وتطيبوا ولبسوا النعال والأردية، ودخلوا عليه، ولبسوا في اليوم الثاني الوشي وعمائم الخز والمطارف وغدوا عليه، فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم فشدوا عليهم السلاح، ولبسوا البيض والمغافر، وتقلدوا السيوف، واخذوا الرماح والقسي وركبوا خيولهم، وغدوا، فنظر إليهم إمبراطور الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة، فلما دنوا ركزوا رماحهم، ثم اقبلوا نحوهم مشمرين، وطلب منهم العودة بعدما أثاروا الخوف في النفوس، وفي كل مرة يسأل الإمبراطور

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج6، ص501-501.

الصيني حاشيته عن رأيهم بما يروا فكانت ردودهم تعني الانبهار بهم، فاستدعى الإمبراطور قائدهم هبيرة وسأله عما كان من شأن لباسهم في الثلاثة أيام والقصد منه؟ فقال هببيرة:" أما زينا الأول فلباسنا في أهلينا وريحنا عندهم، وأما يومنا الثاني، فإذا أتينا أمراءنا، وأما الثالث فزينا لعدونا، فإذا هاجنا هيج وفزع كلنا هكذا فهددهم الإمبراطور بالعودة حفاظاً على أرواحهم لما هم فيه من قلة العدد، فأجابه هبيرة: كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون! وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً وغزاك! وأما تخويفك إيانا بالقتل فان لنا أجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه، فقال الإمبراطور: ما الذي يرضي صاحبك؟ قال : انه حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم، ويختم ملوكهم، ويعطى الجزية، قال: فإنا نخرجه من يمينه، نبعث إليه بتراب أرضنا فيطأه ونبعث ببعض الغلمان فيختمهم، ونبعث إليه بجزية يرضاها، قال: فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب، وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم، ثم أجازهم فأحسن جوائزهم ". ثم أوفد قتيبة بن مسلم الباهلي برسوله لإمبراطور الصين إلى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك الذي توفي بقرية فاس[1].

يبدو أنه على الرغم من تولي أمير الجيش قتيبة بن مسلم الباهلي لمهمة إرسال السفراء الذين طلبهم امبراطور الصين، إلا أن الأمر والطلب وان لم يوجه إلى الخليفة بشكل مباشر وصريح، إلا أن الخليفة الوليد كان له الرأي والعلم بأمر تسيير هذه السفارة، والدليل انه بعدما أسفرت السفارة لإمبراطور الصين وعادت بالنتيجة المبتغاة، وجّه القائد قتيبة رئيس نفس السفارة هبيرة مباشرة لموافاة الخليفة الوليد بما كان من شأن السفارة وما تم التوصل إليه فيها، وهذا معناه أن الخليفة كان على علم تام بكافة تحركات جيشه وتصرفات قائد جيشه، والتي تكون وفقا

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج6، ص501-503. ابن الأثير، مصدر سابق، ج5، ص5-7. ابن نباته، مصدر سابق، ص105.

لما يسمح به الخليفة له، وأن الصلاحية التي أعطاها لقتيبة ما هي إلا اعتماداً على قدرته في القيام بالأمور على أكمل وجه، وبما يخدم مصلحة الدولة الأموية هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نستنتج أن ما قام به أعضاء السفارة من أداء للمهمة بتلك الصورة المرضية ما كانت إلا لإبراز ما للدولة الأموية من قوة وهيبة، وقدرة على فرض سيطرتها على كافة الأراضي المحيطة بحدودها بعدة طرق أولها السلم والتعامل المرضي مع أهالي تلك البلدان كأنهم أهليهم، وثانيا قدومهم عليهم كقدومهم على أهل الحرص والحذر من الملوك والأمراء، وجعل الاحترام متبادل دون إذابة مابين الطرفين من جلالة وهيبة المحادثة، والثالثة هي قدومهم عليهم قدوم الراغبين في فرض السيطرة ورفع الاحترام، ووضع الإخضاع وفرض القوة بديلاً له، من هنا فإن الهدف من استقدام السفارة الأموية من قبل إمبراطور الصين هو معرفة حال المسلمين وما هم عليه ومعرفة دينهم، وهو نفس ما هدفت إليه السفارة المبعوثة من قبل الدولة الأموية وإلا فدفع الجزية، ولكن يبدو أن دفع الجزية كان هو النتيجة التي تم التوصل إليها من هذه السفارة؛ لأن دفع الجزية يعني عدم الدخول في الإسلام.

وجرى تبادل للسفارات في عهـد الخليفة سليمان بن عبد الملك (96هـ/715م-99هـ/717م)، فقد بعث الخليفة سليمان عام 97هـ/716م إلى إمبراطور الصين (كائي يوانغ) سفارة حمّلها بعض الهدايا إلى الإمبراطور، وكانت عبارة عن عباءات منسوجة من خيوط الذهب والعقيق ورشاشات العطور وأشياء نفيسة خاصة ببلاد العرب، وقد وصفوا بلادهم وقدموا بيانا

كافيا عنها، فأنعم الإمبراطور على السفير برتبة الفـــارس، ثم ودعه بفائق الاحترام ومزيد الإكرام[1].

وعلى الرغم من أننا نتناول نماذج للسفارات الأموية فقط، إلا أنه لابد من الإشارة إلى أن هذه السفارة تبدو دمشقية من البلاط الأموي ذاته، حيث أن هناك العديد من الإشارات إلى وجود سفارات أخرى عديدة من بلاد العرب إلى الصين خلال العهد الأموي، إلا أن كل السفارات قد تكون عن عمال الولايات الأخرى التابعة للدولة الأموية، أو من القواد الذين تواجدوا فيما وراء النهر أثناء فتوحاتهم وتقدمهم باتجاه الصين هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هناك سفارات أخرى قد توجهت من العرب إلى الصين بعد عام 99هـ/717م لتقديم الخراج.

قد تعطي بعض المصادر في الفترات المتقدمة كل من الجزية والخراج نفس المسمى، ولكن المعروف أن الخراج هي ضريبة الأرض يقدمها المستفيدون منها للدولة التي تخضع لسلطانها، أما الجزية أو الإتاوة فهي تدفع من أهل الذمة للدولة الإسلامية، وبالتالي فهي لا تدفع إلا من المغلوبين، وبما أن العرب خلال تلك الفترة وأخص بالذكر عرب دمشق، لم يكونوا مغلوبين أمام قوات الصين في أواسط آسيا، فإن هذا يفسر أمران، الأول أن من كان يفد إلى الصين بعد ذلك العام هم من عرب آسيا الوسطى وليس من دمشق؛ لأن بني أمية لم يدفعوا

---

[1]- Chan Shin-hug Ancient China, s Relation with the Arabs .p.61 نقلاً عن الصيني، مرجع سابق، ص182-183.

الخراج لدولة الصين، أما الثاني فإن ما كان يقدم لأباطرة الصين ويسمى خراجا لم يكن أكثر من هدايا أرسلت بهدف جس نبض سياسة الصين، وأحوالها الداخلية، وهي لم تصلّ لحد الخراج[1].

ونستنتج من طبيعة الهدايا المبعوثة إلى إمبراطورية الصين، والتي تعد هي السبب والغرض الرئيسي لإرسال السفارة أن الخليفة الأموي سليمان كان يود أن يبرز ما كانت عليه دولة بني أمية من الغنى والرفاهية والثراء، سواء بسبب علاقاتها المتعددة مع الدول الأخرى والنتيجة المترتبة على هذه العلاقات من تبادل تجاري، وازدهار اقتصادي، وتمتع اجتماعي بما يرتدونه من ملابس مذهبه، وما يستخدمونه من مجوهرات، أو من خلال حاصلات الدولة الأموية من المنسوجات وغيرها، ومن جهة أخرى فإن ذلك يعد بمثابة التشجيع المبادر به من قبل الخليفة لإنعاش التبادل التجاري بين الخلافة الأموية والإمبراطورية الصينية، ولا نغفل أن الهدايا تأتي دائما على قدر المرسل إليه في نفس المرسل، وتدل على مقدرة المرسل لها في دولته، وعلى طاقة دولته واقتصادها الذي سيظهر في عين المهدى إليه.

كذلك فإن ما أظهر من قبل القائمين بأمر الإمبراطورية الصينية تجاه السفير الأموي من إعطائه كل ما يرغب بمعرفته عن الصين، وتقديم بيان كاف عنها من جهة، وما أنعم به الإمبراطور على السفير من رتبة خاصة، وتوديعه من الإمبراطور شخصياً من جهة أخرى، يعد صورة من صور استحسان الإمبراطور الصيني للسفارة الأموية وما جادت به، ورد فعل طبيعي متعارف عليه من قبل الملوك والخلفاء والأباطرة لدى استحسانهم للسفارات القادمة إليهم، وهذا

---

[1]– الصيني، مرجع سابق، ص183

دليل على نجاح غرض مباشر تعنيه السفارة وتهدف إليه أو غير مباشر قد يتحقق في سفارة لاحقة وقريبة.

كذلك يذكر أنه في سنة107هـ/725م وصلت سفارتان، وكان برفقة السفير ثلاثة عشر عضواً من العرب، وكانت إحدى السفارتين في الشهر الأول من هذا العام، وكان الغرض منها هو تهنئة إمبراطور الصين بعيد أول السنة الصينية، أما الأخرى فكانت في الشهر الثالث من نفس العام، وهدفت نحو تقديم حاصلات بلاد العرب، ومنها الخيول ومنسوجات صوفية[1].

وإنه من الغريب أن ترد سفارتان في نفس العام من قبل نفس الخليفة إلى نفس الإمبراطور ولا يفصل بينهما سوى شهر واحد، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار المسافة التي تقطعها السفارة من دار الخلافة الأموية دمشق إلى عاصمة إمبراطورية الصين جانغ – آن، خاصة أن كلتا السفارتين كانتا برئاسة المدعو سليمان، وكأن الشخص الذي قام بالسفارتين هو شخص واحد، وهذا يتنافى مع المسافة، وعدم إمكانية تواجد نفس الشخص في السفارتين لتقارب الفترة الزمنية أولاً، ومع ما اعتاد عليه بني أمية من تغيير سفرائهم بانتهاء مهماتهم من ثانياً، وهذا معناه أن سفارتي عام107هـ/725م لم تكن من البلاط الدمشقي نفسه، بل من بلاد قريبة من حدود الصين إذا توافق أن السفارتين قام بهما نفس الشخص، وقد يكون السفير في كلتا السفارتين اسمه سليمان وهذا يكون محض الصدف ليس إلا، وقد يعود الأمر كله إلى خلط في تحديد السنوات بدقة ونسب كلتا السفارتين لاسم سفير واحد، وأياً كانت هي الأصدق والأصح فإن النتيجة المهمة التي نتوصل إليها هي وجود صلات دبلوماسية، وقيام سفارات ودية بين الجانبين خلال العهد

---

[1]- الصيني، مرجع سابق، ص182

الأموي، وما أوردناه لم يكن سوى نماذج بسيطة لسفارات كثيرة قامت بينهما، وإن عجزت المصادر الصينية عن تحديد عدد تلك السفارات بدقة خاصة الواردة من خلفاء بني أمية، فذلك لأن كلمة (تاشي) في تاريخ (تانغ) يراد بها العرب دون تحديد وتخصيص لعرب دمشق أو العرب الذين استوطنوا آسيا الوسطى أو غرب الهند[1].

كذلك اتجهت السفارات الأموية إلى الترك، فقد بعث الخليفة هشام بن عبد الملك رسولاً إلى ملك الترك يدعوه إلى الإسلام، وقد أورد لنا الرسول بعض التفاصيل عن لقائه بملك الترك فيقول: " دخلت عليه وهو يتخذ بيده سرجاً. قال للترجمان: من هذا؟ فقال: إنه رسول ملك العرب . فأمر بي إلى بيت كثير اللحم قليل الخبز. ثم بعد أيام استدعاني وقال: ما بغيتك؟ قد لطفت له وقلت: إن صاحبي يريد نصيحتك، ويرى انك في ضلال يريد أن تدخل في دين الإسلام! فقال: ما الإسلام؟ فأخبرته بأركانه وشرائطه وحلاله وحرامه. فتركني أياما ثم ركب ذات يوم مع عشرة أنفس ومع كل واحد لواء وحملني معه، فمضينا حتى صعدنا تلا وحول التل غيضة. فلما طلعت الشمس أمر واحداً من أولئك أن ينشر لواءهم ففعل فوافى عشرة آلاف فارس متسلحين ثم أمر غيره، فما زال واحد بعد واحد ينشروا لواءه حتى صار تحت التل مائة ألف مدجج. ثم قال للترجمان: قل لهذا الرسول ارجع إلى صاحبك واخبره أن هؤلاء ليس فيهم إسكاف ولا حجام ولا خياط، فإذا اسلموا والتزموا الشرائط للإسلام فمن أين مأكلهم؟ "[2].

يتضح لنا من هذه السفارة نشاط دولة بني أمية في استخدام سفرائها لهدف ديني بحت، وهو الدعوة إلى الإسلام في الديار التي لم يصل إليها ومنها لدى الترك، ويبدو أن الترك كانوا يعيشون

---

[1]– يرى البعض انه سليمان بن أبي الساري الذي اشترك في محاصرة خجند، بلدة قريبة من كاشغر تحت قيادة سعيد بن عمر الحراشي سنة 104هـ/722م. لتفاصيل انظر الصيني، مرجع سابق، ص148.

[2]– القزويني، مصدر سابق، ص515

حياة هي أبعد ما تكون عن شرائط الإسلام وحلاله وحرامه، لذلك فإن ما أظهره ملك الترك أمام سفير الخليفة لم يكن سوى رغبة منه بإقناع الخليفة بأن رفض ما جاء به السفير كان على أساس قوي لديه، وهذا يعني أن الترك كانوا بحاجة إلى بقاء صلاتهم الدبلوماسية مع القوى العربية وخاصة بني أمية على أحسن ما يكون.

كذلك كانت الصلات بين الدولة الأموية والهند متبادلة، فقد ورد أن أكبر ملوك سرنديب قد أسلم بعد أن اطلع على حقيقة الإسلام، وانه قد اعتقد اعتقاداً حسناً، فبعث إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك وفداً وبصحبته مركباً مملوءاً بالتحف والهدايا والجواري والمماليك وغير ذلك، إلا أن اللصوص سرقوا المركب حينما حاذى الديبل مع سبعة مراكب أخرى، وسلبوا ما فيها وقبضوا على حرمات المسلمين ونسائهم، وكن خرجن من سرنديب للحج. ويذكر القاضي الرشيد أن هذه الرواية التي وردت في تاريخ فرشته لا تؤيدها روايات أخرى، إلا أن رواية سلب المراكب وسبي النساء فهي مشهورة[1].

يمكن القول في نهاية استعراضنا أن السفارات الأموية تميزت بما يلي:

1. إن السفارات المتبادلة خلال العهد الأموي اقتضتها الظروف الصعبة التي عاشت فيها الدولة داخلياً وخارجياً .
2. حاولت الدولة الأموية استخدام الدبلوماسية بالسفارات كبديل للحرب، والاستفادة قدر المستطاع من فترات السلام لتأسيس الدولة وعمل ثقل سياسي لها بين الأوساط الدولية.

---

[1]- أطهر المباركبوري، مرجع سابق، ص287.

3. أنها ألفت استخدام السفارات الثقافية مع الدول الأخرى، واستطاعت بذلك تأسيس بدايات لنهضة علمية أكملها من بعدهم العباسيون.

4. مهدت بالسفارات لنشاط العلاقات التجارية التي كانت تربط بينها وبين بيزنطة من قبل، كما ساهمت في دعم التجارة، وبناء اقتصاد قوي، أتاح لها القيام بعمليات تجديد فيها.

5. استطاع السفراء والرسل دراسة الأوضاع الداخلية في الدولة البيزنطية، واقتبسوا الصالح منها وخاصة ما تعلق منها بالنظم الإدارية والمالية.

6. ساهمت بعض السفارات إلى إبراز مكانة الدولة الأموية، ووضعتها في مكانة أصبحت بها تهابها القوى الكبرى، سواء باتساع حدودها أو برفاهية عمرانها وبنائها الذي أدهش بعض السفراء، وطبع في ذاكرتهم صورة دولة قوية لم يكونوا ليتصوروها.

الفصل الثاني

النظم الدبلوماسية في الدولة العباسية بين عامي

(132-334 هـ/750- 945 م)

أولاً: مصطلح السفير والتسميات المرادفة له

عرف مصطلحا الرسول والسفير في نظام المبعوثين الدبلوماسيين عند المسلمين، فقد استعمل المسلمون مصطلح السفير ومشتقاته، ومن مشتقات هذا المصطلح التي عرفت لديهم سفير الأمة، وسفير الدولة، وسفير الملوك والسلاطين.

(أ) مصطلح السفير:

ترجع قواميس اللغة كلمة السفير إلى أصلها فتذكر أن " السفير مأخوذ من سفر بين القوم أصلح، يسفر بالكسر، ويسفر بالضم، سفرا بالفتح، وسفارة كسحابه، وسفارة بالكسر وهي كالكفالة والكتابة ويراد بها التوسط للإصلاح، فهو سفير كأمير، وهو المصلح بين القوم، وإنما سُمى به لأنه يكشف ما في قلب كل منهما ليصلح بينهما، ويطلق أيضا على الرسول، لأنه يظهر ما أمر به "[1].

" السفير هو الرسول والمصلح بين القوم، والجمع سفراء، وقد سَفر بينهم يَسفِر سفراً وسِفارة وسَفارة أصلح، ويشير ابن منظور إلى قول علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لعثمان (رضي الله عنه): أن

---

[1]- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مصطفى حجازي، د.ط، وزارة الإعلام، الكويت، 1965م-1985م، ج3، ص41. الرازي، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، عني بترتيبه محمود الخاطر، د.ط، دار التنوير العربي، بيروت، 1987م، ص 300-301.

الناس قد استسفروني بينك وبينهم أي جعلوني سفيراً وهو الرسول المصلح بين القوم، يقال سَفَرت بين القوم إذا سعيت بينهم في الإصلاح"[1].

وقد ورد أن هذا المصطلح في اصدق دليل شرعي وهو القرآن الكريم، حيث قال الله تعالـــى في محكم آياته: " في صحف مكرمة، مرفوعة مطهرة، بأيدي سفرة، كرام بررة"[2].

(ب) مصطلح الرسول:

كلمة الرسول مشتقة من الإرسال والإطلاق والتوجيه، ويتضمن إيفاد شخص معتمد للقيام بمهمة معينة، وان كانت كلمة الرسول قد استعملت لأسباب دينية وكانت له دلالته لدى الفقهاء، فقد استعملت كذلك في المجال السياسي أو عند الملوك والحكام بدلالته التي تشير إلى كونه شخصاً مرسلاً بين حاكمين لدولتين أو إمارتين في أمور خاصة.

وفي العصر الإسلامي كانت كلمة رسول مستخدمة منذ عهد مبكر، فقالوا: خروج رسل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك[3]. يقال الرسولي نسبة إلى الرسول وهو الذي يرسله الملوك سفيراً بينهم. وقال ابن منظور[4]: الرسول بمعنى الرسالة، يؤنّث ويذكّر، وتراسل

---

[1]- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن احمد، لسان العرب، د.ط، دار صادر ، بيروت، 1994م، ج4، ص370.

[2]- قرآن كريم، سورة عبس، آية من13-16.

[3]- البلاذري، أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر، انساب الأشراف، د.ط، دار المعارف، القاهرة، 1959م، ج1، ص531. الطبري، مصدر سابق، ج2، ص644.

[4]- لسان العرب، ج11، ص283-284.

القوم أرسل بعضهم إلى بعض، قال الله في محكم آياته " إنّا رسول رب العالمين "[1] ولم يقل رُسُل لأن فعولا وفعيلاً يستوي فيهما المذكر والمؤنّث والواحد والجمع، والجمع أرْسُل ورُسُل ورُسْل، والرسول في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه، وسمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسول أي ذو رسالة، وأرسلت فلانا في رسالة فهو مرسل ورسول. وقال الله في كتابه الحكيم: " وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم "[2].

ولم تُميز المصادر العربية في استخدامها بين مصطلحي السفير والرسول خلال الفترة التاريخية المعنية بهذه الدراسة، كون المصطلحين يؤديان الغرض نفسه، وإن كان شيوع مصطلح السفير قد برز بشكل أكبر في فترات لاحقة وأصبح كثير الاستعمال، كأن يكون إرسال الرسول من قبل أمير، أو وزير، وإرسال السفير من قبل مسئول أعلى على الأقل في تلك الفترة التاريخية.

فمثلا نجد ابن الفرا في متن (كتابه رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة)، قد استعمل اللفظين كمترادفين رغم غلبة لفظ الرسول في المتن حيث كانت المهام المسندة إلى السفراء والرسل على قدر كبير من الأهمية، غير أنه في مسمى الكتاب قد فصل بينهما بحرف الواو الذي يفيد العطف[3].

---

[1]- قرآن كريم، سورة الشعراء، آية16 .

[2]- قرآن كريم، سورة الفرقان، آية37.

[3]- للتفاصيل انظر كتاب ابن الفرا .

(ج) مصطلح المبعوث:

اشتق المصطلح من(بعث): يبعثه بعثا أي أرسله وحده والجمع مبعوثون، وبعث به: أرسله مع غيره، وابتعثه أيضا أرسله فانبعث تبعث والبعث الرسول والبعث الرسول والجمع بُعثان، والبعث القوم المبعوثون المشخصون، والبعث يكون بعثا للقوم يبعثون إلى وجه من الوجوه مثل السفر والركب[1]. والبَعثُ الإرسال ويقال لمبعوث: بَعثٌ. والنُّشور ومنه: يوم البَعثْ[2].

ويدل مصطلح المبعوث على السفير والرسول، ويحمل نفس المعنى، إلا أن جمع المبعوث هي أقرب ما تعبر عن السفارة في طابعها الجماعي.

(د) مصطلح الوفد:

قال تعالى: "يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا "[3]، وأورد ابن منظور أن الوفد هم الرّكبان المكرمون، قيل وفد فلان يفد وفادة إذا خرج إلى ملك أو أمير، وأوفده عليه وهو الوفد والوفود، أما الوفد فاسم للجمع وقيل جمع أما الوفود فجمع وافد وقد أوفده إليه، ويقال وفد فلان على الأمير أي ورد رسولاً فهو وافد، وجمع الوفد أوفاد ووفود، وأوفدته أنا إلى الأمير أي أرسلته، ويقال وفده الأمير إلى الأمير الذي فوقه، وأوفد فلان إيفاداً إذا أشرق [4].

---

[1]- ابن منظور، مصدر سابق، ج2 ، ص116

[2]- الصاحب، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 1994م، ج2، ص13.

[3]- قرآن كريم، سورة مريم، آية85.

[4]- لسان العرب، ج3، ص464-465.

وعلى ذلك يمكن القول أن جميع المصطلحات السابقة وان اختلفت في مسمياتها فهي تؤدي نفس معنى السفير.

ثانياً: شروط انتقاء السفراء:

نظرا للمكانة الهامة التي يتمتع بها السفير لدى الدولة الإسلامية، والتي تجعله يتحمل مهمة خاصة وحساسة ترتبط نتائجها ارتباطاً وثيقاً بسياسة الدولة الخارجية، وتؤثر تأثيرا مباشرا وقويا على كافة علاقاتها في مختلف المجالات، لذلك فقد كانت مسألة اختيار نخبة الناس لتولي منصب السفير من قبل أولي الأمر، يستدعي تحري صفات دقيقة ومهمة، تعينهم على القيام بالمهام الموكلة إليهم.

وقد كان يتم انتقاء أشخاص معينين كسفراء لأداء مهام معينة ومؤقتة ويتقاضون على ذلك راتباً نستنتج ذلك من خلال جواب سفير الخليفة المعتصم لإمبراطور الروم عندما قال" إن **الخلفاء يملكون خَدَماً يتصرفون في أنحاء الخِدَم- يعني الوظائف والأمور-، ومن بينها إرسال الرسل والسفراء إلى ملوك وأباطرة الدول الأخرى**"[1] من قبل الخلفاء لأداء مهام مؤقتة وعادة ما يكونون من كبار رجال الدولة وممن تتوفر فيهم صفات تأهلهم للقيام بتلك السفارات دون غيرهم، أو من فئات عدة كأن يكونون علماء مثل عمارة بن حمزة الذي كان من كبار وُجَهاء وموظفي قصر الخلافة العباسية ويعمل في أحد دواوين الدولة، والذي انتقاه الخليفة المنصور ليسفره إلى إمبراطور الروم عام

---

[1]- ابن الفرا، مصدر سابق، ص65. المنجد، صلاح الدين، النظم الدبلوماسية في الإسلام، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1983م، ص20،21

155هـ/771م[1]. وغيره ممن كانت لهم مكانة عالية في العلم والثقافة والخبرة والتجربة، وتتوفر فيهم صفات تؤهلهم للقيام بتلك السفارات.

ثالثاً: سمات السفراء:

تشير المصادر التاريخية إلى أسماء عدة أشخاص تم إسفارهم من قبل الدولة العباسية، توافرت فيهم صفات أهلتهم للقيام بمهمتهم على أكمل وجه، وكان اختيارهم للشخص يتناسب والمهمة المرسل إليها. كانت تلك المصادر أكثر كرما في ذكر أسماء تلك الشخصيات، خاصة على عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – بحيث سهل الأمر كثيرا على الباحثين أثناء دراستهم لصفات السفراء خلال تلك الفترة.

أما الفترة التي تشملها هذه الدراسة ومن ضمنها الفترة العباسية الأولى، وبما أن المصادر العربية لم تورد ذكر الكثير من التفصيلات حول تلك الشخصيات التي تم إسفارها من جانب الدولة العباسية إلى الدول الأخرى، خصوصا ما يتعلق بأسمائهم ليسهل تحري الحقائق حول تلك الشخصيات، ومعرفة مدى مناسبتهم للمهام التي أوكلت إليهم، فإننا سنحاول استعراض سمات السفراء التي تم التعارف عليها في نظام الدولة العربية الإسلامية في صدرها الأول مع محاولة إخضاع تلك السمات للشخصيات الظاهرة من سفراء العصر العباسي –فترة الدراسة– ، لمعرفة مدى توافقها مع ما هو متعارف عليه من خلال تقصي كافة المعلومات المرتبطة بهم، والتي قد تفيد أيضا في تحليل جوانب أخرى متعلقة بالسفارات.

---

[1]– الطبري، مصدر سابق، ج8، ص46. ابن الفقيه الهمذاني، احمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م، ص130-131.

إن تطور العلاقات الدبلوماسية أدت إلى تصنيف الرسل كل حسب الحاجة، ومن هنا فان تواجد سمات حميدة معينة في الرسل والسفراء ليس بالأمر الهين، خاصةً إذا كانت المهمة موضوع السفارة المسفر إليها تشكل أهمية بالغة في علاقات الدولة الإسلامية مع غيرها، وهذا ينعكس بشكل إيجابي على نجاح السفير في أداء مهمته، بغض النظر عن الكتاب الذي قد يحمله السفير والذي يتضمن الغرض من تلك السفارة.

وفي هذا الإطار يقول ابن الفراء: " **إن الكتاب مقصور على معناه الذي يتضمنه لا يتعداه إلى غيره، وان الرسول يتصرف في مذاهب الحجة، إن الكتاب يد، والرسول لسان، وأن الواجب على الملوك أن يقرنوا كتبهم بالرسل، لما في ذلك من كمـــال الفائدة، ووجوب الحجة، ولقطع الرسول الأمر إذا كان مأموراً من غير مراجعة ولا احتياج لاستئذان مرسله** "[1].

وقد أراد ابن الفرا من ذلك إيضاح ضرورة أن يكون هناك رسولاً أو سفيراً مختاراً بدقة يؤدي غرض الرسالة والكتاب، بحيث يستطيع أن يتصرف في جوانب الموضوع الذي تحويه الرسالة التي يحملها ويتهيأ للأمر بشكل يساعده على نجاح مهمته وتحقيق الغرض من سفارته، حتى وان حكم هو في الأمر وفقا لما يراه صواباً. فيبرز بحسن تصرفه مكانة دولته ومن أرسله، ومكانة السفراء من أمثاله.

نود أن نشير في هذا المقام إلى أن غياب أحد السمات المشروطة والمحبذة في السفير لا يمنعه من قيامه بمهمته بصورة مرضية، وكدليل على ذلك قصة الشعبي الذي أرسل في العهد

---

[1]– رسل الملوك، ص30.

الأموي إلى الدولة البيزنطية كسفير كان قميئا[1]، إلا أن سفارته كانت من اشهر السفارات حيث عوض عن ذلك في أمور أخرى خُلقية؛ لدرجه أن إمبراطور الروم حاول التغّرير به عند الخليفة عبد الملك بن مروان ليقتله.

(أ) السّمات الخُلقية:

يقول ابن الفرا في السمات التي يجب أن يكون عليها السفير "عفيفا، جيد اللسان، وحسن البيان، حاد البصر، ذكي القلب، يفهم الإيماء، ويناظر الملوك على السواء.. ويجب أن يجمل بكل ما أمكن الوافد، والعامة ترمق الزى أكثر مما ترمق الكفاية والسداد.. ويجب أن تزاح علله فيما يحتاج إليه، حتى لا تشره نفسه إلى ما يبذل له ويدفع إليه، فإن الطمع يقطع الحجة، والرسول أمين لا أمين عليه، فيجب أن يرهن بالإحسان إليه والأفضال عليه..."[2]

وفي نفس الإطار " يستدل على عقل الرجل بكتابه ورسوله، وقد قيل من الحق على رسول الملك أن يكون صحيح الفطرة والمزاج، ذا بيان وعارضة ولين واستحكام منعه، وأن يكون بصيرا بمخارج الكلام وأجوبته، مؤديا للألفاظ عن الملك بمعانيها، صدوقا بريئا من الطمع. وعلى مرسله امتحانه قبل توجيهه في مقاصده، ولا يرسل للملوك الأجانب إلا من اختبره بتكرير الرسائل إلى نوابه وأهل مملكته، فقد كان الملوك فيما سلف من الزمان إذا أثروا إرسال شخص لهم، قدموا امتحانه بإرساله إلى بعض خواص الملك ممن في قرار داره في شيء من مهماته، ثم يجعل عليه عينا فيما يرسل به من حيث لا يشعر، فإذا أدى الرسول رسالته رجع

---

[1]- القميء هو الصغير الذليل، وأقمأته: صغّرته وذللته. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1974م، ج1، ص166.

[2]- رسل الملوك، ص35.

بجوابها، وسأل الملك عينه، فإن طابق ما قاله الرسول ما يأتي به من هو عين عليه وتكرر ذلك منه، صارت له الميزة والتقدمة عند الملك ووجهه حينئذ في مهمات أموره"[1].

ومن الصفات الأساسية التي يفضل تواجدها في السفير ما يلي:

1. الصبر:

قال الله تعالى في محكم آياته: " وإن تصبروا خيرا لكم "[2]، وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم توجد آيات دالات على الصبر ووجوب التحلي به، وكذلك وردت أحاديث نبوية تؤكد على الصبر وتحث عليه منها قوله -عليه الصلاة والسلام – :" ما أعطى أحد عطاء خيرا له وأوسع من الصبر "[3]. وغالباً ما تكون ثمرة هذا الصبر الظفر.

فالصبر يعد من الإيمان حيث يتطلب الصبر على المكروه مع المقدرة على الانتصار، وهو جزء من حسن الخلق فحقيق بالسفير أن يكون صبورا، لأنه لا يتحمل وهو يؤدي مهمته التي أسفر لها مسؤولية نفسه، وفراقه لأهله ووطنه فقط بل يجاهد نفسه [4] أمام الإغراءات ويثنيها عن خيانة الأمانة، وقبول الرشاوى، ويحملها على أداء الأمانة المكلف بها على أكمل وجه، كما

---

[1]- الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، التاج في أخلاق الملوك، د.ط، تحقيق ونشر دار الفكر، بيروت، 1955م، ص214. صبح الأعشى، ج1، ص152.

[2]- قرآن كريم، سورة الأنبياء، آية25

[3]- رواه أبو سعيد الخوري. النووي، يحي بن شرف، رياض الصالحين، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص29.

[4]- خطاب، محمود شيت، السفارات النبوية، د.ط، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1986م، ص356-357.

أنه يتحمل إلى جانب ذلك مسئولية دولته التي عقدت عليها أملاً في تحقيق هدف معين من هذه السفارة قد تتبعها أهداف ونتائج أخرى، فإن لم يصبر على كل مكروه قد يواجهه في طريق سفارته، أو عند وصوله فلن يستطيع أداء مهمته. ويورد ابن الفرا في ذلك " أن الرسول أن لم يكن متأنيا صبورا سالما من الغلق[1]، كان متلفتاً إلى ما خلفه من أهله وماله كان سعيه فيما على مرسله لا له، أو عاد على يديه بأمر لم يفصله ورأي لم يبرمه"[2].

لدينا مثال يبرز أهمية تحلي السفير بالصبر وهو ما مر به السفير عمارة بن حمزة سفير الخليفة المنصور(136-158هـ/754-775م) إلى إمبراطور الروم، حيث يذكر السفير أن مسألة وصوله للإمبراطور مرت بعدة مراحل واجه فيها وسائل إرهاب وتخويف عديدة فيقول السفير " ما إن انتهيت إلى مكان يحجب منه الرجل على مسافة بعيدة فجلست حتى أتى الإذن فسرت إلى مكان آخر، حتى أتى الإذن ثلاث مرات، ثم وصلت إلى داره فأدخلت دارا، وإذا على طريقي أسدان على جنبي الطريق، فغشي بصري سحابة حمراء لم أبصر شيئا، فجلست مكاني ساعة حتى تجلت، ثم قمت فمشيت فلما بلغت الثلثين غشيتني سحابة خضراء، فغشي بصري منها، فجلست حتى تجلت ثم قمت فمشيت فانتهيت إلى الملك" [3]

ولعلنا ندرك من هذه الرواية أن وصول السفير للإمبراطور لم يكن سهلا، وكان يحفه جو مشحون بالتخويف والاضطراب والحيل، وقد كان هذا باعتراف الإمبراطور نفسه، عندما سأله لاحقا عمارة بن حمزة عما رآه أثناء دخوله فأجابه الإمبراطور " أن الأسدان والسيفان فإنها

---

[1]- ابن الفرا، مصدر سابق، ص40 إذا كانت الغلق فتعني الضجر وضيق الصدر وقلة الصبر .المبرد، مصدر سابق، ج1، ص10.

[2]- رسل الملوك، ص40.

[3]- ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص130.

لهما حيلة نحتال بها لمن ورد علينا من رسل الملوك لنروعهم بذلك، وإذا كان الرجل منهما سكنا كما رأيت، وأما السحابة فاني أعلمك خبرهما، فيقول السفير أنه قد ضرب الملك إلى فراشة فاستخرج قطعة ياقوت أحمر فإذا السحابة قد غشتنا، ثم ردها واستخرج أختها من زمرد أخضر فغشتنا السحابة الخضراء "[1].

كذلك لدينا حادثة لأحد السفراء من أولئك الذين لم يتحلوا بصفة الصبر، الأمر الذي كان سيؤدي إلى فشل سفارته، وعودته دون إنجاز المهمة التي أوفد من أجلها، وتتمثل هذه الحادثة في موقف السفير نصر بن الأزهر الشيعي في عهد الخليفة المتوكل عام (246هـ/860م) لدى وصوله إلى البلاط البيزنطي دليلا على فقده الصبر، إذ هم السفير عائدا من حيث أتى بسبب منعه من قبل القائم بأمر الإمبراطورية وهو بطرناس[2] من دخول قاعة الاستقبال على هيئته من اللباس التي كان عليها، المتمثل في الملابس السوداء، والقلنسوة، والسيف، والخنجر[3].

ويرى البعض أن هذا التصرف من باب النخوة والحمية العربية التي دبت في نفس السفير، إلا أن السفير لابد أن يكون صبوراً متحكماً في غضبه وانفعالاته حتى لا يفوت الفرص لتحقيق افضل النتائج هذا من جهة[4]، ومن جهة أخرى فان ما كان من أمر السفير وعودته بعد ذلك إلى البلاط البيزنطي سواء كانت عودته من تلقاء نفسه أو بسبب لحاق رجال البلاط له

---

[1]- المصدر نفسه، ص130.

[2]- ذكر انه بيروناس، فازيليف، مرجع سابق، ص208.

[3]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص219-220. حسن، رضا السيد، المعارك والأسر بين العرب والروم، ط2، الدار العالمية، الأردن، 1992م.، ص 129- 130، 224.

[4]- نوري، موفق سالم، العلاقات العباسية البيزنطية 132-247هـ/750-861م (دراسة سياسية حضارية)، ط1، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 1990م، ص303.

وملاطفتهم إياه[1] فان النتيجة التي نخرج بها، أن عودة السفير ما كانت إلا لأن المصلحة التي أسفر لها تخص دولة بأكملها، وعليه لابد أن يكون ضابطا لأعصابه وغضبه متحليا بالصبر حتى لا يقطعه الغضب عن الوفاء بما أرسل إليه، لأن العجلة في الغضب تقود لإحدى اثنتين، إما أن ينقاد إلى ما يبتغيه المرسل إليه من استغلال الحال التي يصير عليها السفير ويحقق بذلك مصلحته الشخصية، أو أن يعود خالي الوفاض، دون أن يحقق الهدف من سفارته.

كذلك صبر السفير محمد بن موسى الذي أسفره الخليفة الواثق بالله العباسي (227-232هـ/842-847م) إلى بلاد الروم للتحقيق في أمر أصحاب الكهف والرقيم، فقد مر السفير ومن معه بصعوبات جمة، حيث وصلوا إلى بلد الروم عند جبل صغير قدر أسفله أقل من ألف ذراع، وله سرب من وجه الأرض، ومن يدخل السرب يمر في خسف من الأرض مقدار ثلاثمائة خطوة، ليخرج إلى رواق في الجبل على أساطين منقورة، وفيه عدة أبيات منها بيت مرتفع العتبة، عليها باب حجارة فيه الموتى، ورجل موكل بهم يحفظهم معه خصيان، كذلك فأن صعودهم للمس الجثث كان بمشقة عظيمة، وقد تعرض السفير لمحاولة قتل بالسم إثر خديعة دبرها الموكل بأمر الكهف ومن فيه، فنجا هو وأصحابه منها بعد أن كادوا يقعوا في الفخ. والأهم من ذلك، أن السفارة استمرت مدة خمس سنوات، استطاعت خلال تلك الفترة أن تجمع ما يمكن جمعه من معلومات[2].

---

[1]- ابن الفراء، مصدر سابق، ص130

[2]- المسعودي، مروج، ج2، ص39. ابن خرداذبه، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، تقديم محمد مخزوم، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1988م، ص141-145. حسن، مرجع سابق، ص128-129

2. الشجاعة:

تعد صفة أساسية تؤرخ للشخص بمواقفه، وتزداد الحاجة إليها لدى السفير بسبب ما قد يمر به من مواقف وظروف صعبة يكون فيها الاتسام بالإقدام والبأس لتأدية المهمة على اكمل وجه.

وقد أثبت السفير عمارة بن حمزة في سفارته لإمبراطور الروم رباطة جأشه، واتزان أعصابه، حيث لم يفقده اختبار إمبراطور الروم له بتلك الحيل ما اتسم به، كما لم يكثر من التلفت لئلا يضعف بذلك شأن الخليفة المنصور في عين إمبراطور الروم[1]. وفي ذلك يقول ابن الفرا: **" ومتى لم يكن الرسول وقورا ثابت العقل شجاعاً، وورد من الأعداء على من يرعد ويبرق عليه، ويجمع له عدده وعدده، فأكثر الرسول التلفت إلى ذلك، ضعف مرسله ووهنه، وأوهم المرسل إليه أن صاحبه دون قوته ومنعته "**[2].

كما كان في رد فعل السفير محمد بن موسى السالف الذكر على تحذير الموكل إليه بحفظ جثث الفتيان في الكهف أكبر دليل على شجاعته، حيث زعم الموكل للسفير ومن معه أنه لا يأمن أن يصيب من مس الجثث آفة في بدنه، فكان رد السفير عليه **" دعني ادخل إليهم وأنت بريء "**[3]، فقد

---

[1]- ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص130-131.

[2]- رسل الملوك، ص37

[3]- ابن خرداذبه، مصدر سابق، ص141-145. ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تعليق احمد زكي باشا، د.ط، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، 1988م، ص217-218.

كان السفير شجاعاء مقبلا غير مدبر، لا يهاب الموت أو الضرر، لم يضعف من عزيمته تحذير الموكل له ولم يستكين لكلامه، وذلك بفضل ما تحلى به من شجاعة كبيرة وتحدي للمخاطر.

3. الحكمة:

هي أكثر الصفات أهمية في شخصية السفير لأنه بلسانه وبتصرفاته الحكيمة يعد عاملا هاما إن لم يكن أساسيا في إقناع الجهة المرسل إليها، وتحقيق الهدف المبتغى من سفارته، ومن هنا لابد أن يكون السفير مقنعاً بحديثه، حسن التصرف، ذكياً، حاضر البديهة، وقوي الحجة، سليم المنطق، لبقاً في الكلام، وواسع الحيلة، هادئ الطبع، إلى غيرها من الصفات التي تحكم بحكمته وتدل عليها[1].

ومن الأمثلة على ذلك ما كان من السفير الصباح الجوهري سفير الخليفة هارون الرشيد(170-193هـ/786-809م) إلى ملك سرنديب، عندما ابتعثه الخليفة لابتياع جواهر من ناحية ملك سرنديب الذي أراه خزانة الجواهر، فأخذ يقلبها ويتعجب مما فيها حتى بلغ ياقوتاً أحمر نادر الوجود لدى الملوك. فاختبره الملك بأن سأله إن كان يستطيع تقويمه حيث عجز الكل عنه، فأظهر السفير القدرة على ذلك، حتى كاد ملك سرنديب أن يكذبه ويوقعه في دائرة الكاذبين فما كان من السفير إلا أن تصرف بحكمه أوجبها عليه الموقف الذي وضع فيه حيث قال للملك: **"ما أخطأت فراستك وإن أردت صدقتها فاجمع ما عندك من ذوي البصر بأمر الجواهر فجمعهم الملك، واستحضر الصباح (ملاءة) أي عباءة وبسطها ودفع الياقوتة فوق الملاءة بأقصى قوته ولما سقطت الملاءة**

---

[1]- خطاب، مرجع سابق، ص368.

قال للملك: قيمتها أن تنصب العين على الأرض إلى أن تعلو إلى حيث وصلت بالرمي، فاستحسن القوم قوله وجلّ في أعينهم، وعين الملك فكافاه الملك "[1].

إن ما قام به السفير في هذا الموقف يدل على فطنته وحكمته ومعرفته وثقافته الواسعة التي تجعله يقضي في أمر قد عجز عنه الكثيرون باعتراف ملك سرنديب نفسه، فبفضل حكمة السفير العباسي جعلت له مكانة في نفس الملك وقومه، مما سينعكس إيجاباً بطبيعة الحال على علاقة الدولة العباسية في عهد الرشيد مع مملكة سرنديب.

ولنا أن نتذكر ثانية إدراك السفير محمد بن موسى لخبث الموكل، وحرصه الشديد على عدم دخول السفير أو لمسه للجثث بتخويفهم ومحاولة قتلهم[2] فكان تصرف السفير في ذلك الموقف، أكبر دليل على حكمته، وإلا لكانت السفارة قد عادت أدراجها دون أن تحقق الهدف الذي خرجت من اجله.

وكذلك تتضح لنا حكمة السفير الذي بعثه الخليفة المعتصم (218-227هـ/833-842م) إلى إمبراطور الروم من خلال إجاباته على إمبراطور الروم حين سأله" **كم ترزق من مال سلطانك؟ فأجابه ارتزق أنا وولدي في كل شهر عشرين ألف درهم أو نحوها. قال الإمبراطور: فتحت فتحا قط، كان السلطان به معنيا؟ قال الرسول: لا. قال الإمبراطور: أزلت رجلاً مشهوراً بالفروسية من أعداء سلطانك فقتلته؟ قال الرسول: لا. قال الإمبراطور: استنقذت خليفة أو ولي عهد وقد وقع في مضيق أو معركة لم يظن الخلاص منها فوجد بإقدامك وقد أحجم نظراؤك فرجه؟ قال الرسول: لا. قال الإمبراطور: فبأي شي تستحق هذا الرزق**

---

[1]- البيروني، محمد بن احمد، الجماهر من معرفة الجواهر، حيدر آباد، د.ط، 1936م، ص62- 63.

[2]- المقدسي، محمد بن احمد بن أبى بكر البناء، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987م ، ص152. حسن، مرجع سابق، ص129،128.

الكثير؟ قال الرسول للإمبراطور: إن للخلفاء خدما يتصرفون في أنحاء الخِدَم، لكل طائفة مذهب يجتبون له ويحتملون عليه، لا يكلفون سواه، ولا يراد منهم غيره. فمنهم من يعد للفتوح فهو يلبس السلاح ويقود الجيوش، ومنهم من يعد للقضاء فهو يلبس المبردات والدنيّات[1] ومنهم مثلي من يصلح أن توفده الخلفاء للملوك، ويتحمل رسائلهم إلى مثلك من أهل الجلالة والقدر والذكر. فلولا ثقتهم بي، وعلمهم بمناصحتي وصدقي فيما أورد وأؤدي صادرا وواردا لما رأوني أهلا للتوجه فيما توجهت فيه إليك وقليل لمثلي هذا الرزق مع التحمل ومع هذا المحل من الخلافة، وهي من الجلالة على ما هي " [2]

من هنا يتضح أن السفير استطاع إلجام الإمبراطور بحسن رده عليه، وسليم منطقه، وقوة حجته.

كذلك تظهر لنا لباقة السفير نصر بن الأزهر في إلزامه لإمبراطور الروم بالاتفاق الذي جرى بينهما حول تبادل الأسرى، وإلزامه اليمين الذي نطق به نائبه بتروناس بدلا عنه عندما قال له " أيها الملك قد حلف لي خالك فهذه اليمين لازمة لك، فأجابه الإمبراطور برأسه نعم"[3].

4. الصدق:

تعد من أبرز صفات السفير، فيجب أن يكون السفير عين صادقة لمرسله، موفية حق المهمة المرسل لأجلها، ملتزما بإيصال ما يلقاه فيها بكل مصداقية إلى المرسل له، لأن ذلك من

---

[1]- الدنيّات مفردها دنيّة وهي القلنسوة المحددة الأطراف، كان يلبسها القضاة والأكابر. ابن عماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، د.ط، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت،ج2، ص234

[2]- ابن الفرا، مصدر سابق، ص64-65.

[3]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص220. حسن، مرجع سابق، ص130.

البراءة في الدين، والأمانة والالتزام بالوفاء والعفة، والترفع عن الكذب، أو التقصير في أداء ما قد يحقق المراد.

ومن أقرب الدلائل على ذلك صدق السفير الذي أرسله الخليفة المأمون (198–218هـ/813–833م) إلى إمبراطور الروم في نقل رسالة أحد الأسرى عند عودته إلى الخليفة والتي كانت عبارة عن أبيات شعرية وضح فيها الأسير حال الأسرى في سجون الروم حيث قال فيها:

" خرجنا من الدنيا فلسنا من أهلها	ولسنا من الأحـياء فيها ولا الموتى
ألا أحد يرثي لأهــــل محلـــة	بأرض بلاد الروم في ضنكها أسرى
كأنهم لم يعــــرفوا غير آسرهم	ولم يعــــرفوا إلا الشدائد والبلوى
طوى عنهم الأخبـار قصر ممنع	له حــــارس تهدأ العيون وما يهدأ
إذا دخل السجان يومـــا لحاجة	فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيـــا
ونفرح بالرؤيا فجـــل حديثنا	إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنت لم تأت عجلى وأبطأت	وان سمجت جاءت على عجل تترى"[1]

لقد كانت مصداقية السفير في إبلاغ الأمانة إلى الخليفة لها أكبر الأثر في قيام الخليفة باستنقاذ الأسرى، وفتح بلاد أخرى من بلاد الروم، وحصونا منيعة، وقلاعا عدة سقطت في أيدي المسلمين.

وهكذا نجد السفير قد أدى مهمتين في نفس الوقت مهمة إيصال الكتاب الذي أرسله به الخليفة المأمون لإمبراطور الروم وهي المهمة الأساسية، ومهمة إيصال رسالة من أحد الأسرى

---

[1]– ابن الفراء، مصدر سابق، ص88.

للخليفة وهي مهمة وأمانة فرضها عليه حسن اختياره كسفير واتصافه بالصدق والأمانة في أداء مهمته، وكذلك نجد أن قيام الخليفة بذلك الأمر قد تم باستنصاح من قبل السفير حيث استنصحه فأحسن النصيحة له حتى أثّر فيه بفضل نصيحته فأبكاه وأحزنه.[1]

كذلك صدق السفير الذي أرسله الخليفة المتوكل(232-247هـ/847-868م) إلى ملك الهند لجلب العود الذي كان قد وصفه الأطباء للخليفة ليتبخر به، ولم يكن مقتل الخليفة المتوكل وحلول المنتصر بالله مكانه في الخلافة(247-248هـ/861-862م) سببا في لجوء السفير إلى الكذب، خاصة بعدما حصل عليه من ملك الهند من الهدايا، وإنما نجده قد مثل بين يدي الوزير عبيد الله بن يحيى الذي كان قد اختاره لهذه السفارة زمن المتوكل، فأخبره بكل مصداقية عما جرى معه وعما ناله من الخير والهدايا، فقال السفير:" **مضيت فوصلت بلد الهند، فدخلت إلى الملك وسلمت له الهدية وسر بها، وعرفته ما جئت به من أمر العود، فقال الملك: ذلك شيء بعث به أبي، ولا والله ما في خزانتي منه إلا مائة منه خذ نصفها ودع نصفها، فلم أزل به حتى سمح بمئة وخمسين رطلا، وأحضروني يوما طعامه، وأمر لي بمئة درهم وثياب، وطيب وغير ذلك. فقال له عبيد الله كل ما أخذته فمبارك لك فيه إلا العود فاحمله بهيئته ففعل وأخذه عبيد الله بأسره**"[2].

لم يخف السفير ما ناله من جانب ملك الهند من العطايا والهدايا، وإنما ذكرها كما أبرز جهوده التي لم يبخل بها في سبيل الحصول على المبتغى من السفارة، وهذا معناه أنه كان يملك قدرة في اللفظ، والجراءة في نفس الوقت، وصفات أخرى أهلته لأخذ ما يبتغي من الملك عن طيب خاطر، وهذه هي سمة السفراء، ثم أن ما أعطي للسفير من هدايا تعد من باب الاحترام

---

[1]- المصدر نفسه، ص89

[2]- ابن الزبير، مصدر سابق، ص32.

والتقدير لهذا السفير من قبل الملك، وعليه فإن قبول الهدية من جهته لا ضرر فيها، خاصة انه لم يحجبها عن الخليفة أو وزيره .

5. الفصاحة:

من بين الصفات التي يجب أن يتسم بها السفير أن يكون حاضر الفصاحة، مبتدر العبارة ظاهر الطلاقة ليعجب السامع بطلاوة حديثه ويسحر بحلاوة لسانه ويفتنه بخلابة لفظه، ثم ليكون كلامه ممتعا أنيقا، نافعا لذا في الاستماع، فان للبيان من السحر ما لا ينكر، وان له في التوصل إلى البغية أعظم الأثر[1].

وقد أعجب الخليفة المعتصم من اتصاف رسول إمبراطور الروم باسيل بهذه الصفات والتي استشفها من جواب السفير له، حيث أوقفه المعتصم عن مقابلته مدة ستة اشهر ثم سمح له فدخل عليه فكان سؤال المعتصم له **" أرانا قد اضررنا بك لطول مقامك! فكان رد السفير: كلا، إن طول المقام أوجب لي الذمام. ولم نزل نسمع منك واشهد نعم الله عندك"** [2]. فكان جواب السفير هذا مثار إعجاب الخليفة به حتى انه قبل الهدية التي كان يحملها من إمبراطور الروم إليه، وان قبول الهدية لها معاني عدة من بينها الرضا بما هدفت إليه السفارة والقبول بما سيأتي بها، ويبدو أن إعجاب المعتصم بسمة السفير تدل على اهتمامه بمراعاة وجودها في شخص سفرائه.

أن يقدم السفير صورة جيدة عن من أرسله، وعن بلده التي وفد منها، وكل هذا يتطلب منه طلاقة في التعبير، التي يحقق بها أفضل النتائج في نفس الملك المرسل إليه، فالملوك

---

[1]- ابن الفرا، مصدر سابق، ص67.

[2]- المصدر نفسه، ص67- 69

يتنافسون بسفرائهم في ذلك، وقد كان القائمون على الدولة العباسية يحرصون في المجال الدبلوماسي على تحري كافة المعلومات عن السفير المرسل إليهم، وعن أحوال بلده منه، وهذا معناه توقعهم نفس السياسة من قبل الدول الأخرى عندما يرسلون إليهم سفراءهم، ولعل ما ذكره الفضل بن مروان وزير الخليفة المعتصم عن ذلك أكبر دليل، حيث ذكر ما كان من شأن رسول إمبراطور الروم في ذكره لسيرة ملكه عندما سأله الفضل، فجازاهما الخليفة بعشرين ألف دينار، ورأى أنهما يستحقان اكثر من ذلك[1]، فكان هذا دليل آخر على الأثر الذي قد يوقعه جواب السفير في نفس المرسل إليه، وما كان الخلفاء ليتركوا أمرا وافق نفوسهم ومصلحة دولتهم إلا وحرصوا على الاجتهاد في نيله وتطبيقه.

6. غزارة العقل وثبات اللسان:

إن ما فعله إمبراطور الروم من اصطحاب السفير عمارة بنفسه ما كان إلا ليريه عظمة وجلالة ملكه ويفاخر بما لديه فيظهر بمظهر الأبهة والروعة، وموقف السفير من ذلك ليكشف لنا سمة أخرى في شخص السفير فيقول عمارة " **اصطحبني الإمبراطور البيزنطي حتى انتهى إلى حائط عليه باب وحفظه فإذا أصول الطرفاء فقال أتعرف هذه الشجرة، فقلت: لا وظننت أن عنده فيها معنى، فقال: هذه شجرة يدفع دخانها من الخراج وتمريء الطعام، فقلت في نفسي: لو يعلم أنها ببلادنا حطب الأرذال منا، ثم مضى على حائط آخر عليه باب وحفظه، فدخلنا معه فإذا مقدار من أرض فيه " كبر" فقال أتعرف هذا، قلت: لا**

---

[1]– المصدر نفسه، ص63

وظننت به ظني الأول، فقال: هذا يثبت وهو جوارشن[1]، وينفع من أصالة حرق ويدخل في أدوية الجراحات فقلت في نفسي لو يعلم هذا أن عندنا لا يكون إلا في أخرب المواضع وانه مباح لمن أراد" [2]

تلاحظ من ذلك أن السفير لا يرغب في التدخل في شؤون المرسل إليه وأمور مملكته، لأن ذلك ليس من شأنه، فعمارة على الرغم من معرفته بما أطلعه عليه الإمبراطور، ورغم أنها أمورا عادية بالنسبة له إلا أن تفضيله الجهل بها كان أصوب من وجهة نظره، وهو بذلك ترفع عن صفتين ذميمتين لا يجب أن يتصف بهما السفير، وهما الغرور الذي قد يحمل صاحبه إلى مخالفة مرسله والإضرار به وإثارة الضيق في نفس المرسل إليه، والصفة الأخرى هي الهذر لأن كثرة الكلام تؤدي إلى كثرة السقط الذي لا يحفظ من اتصف به سر صاحبه أو مرسله.

ومن المعروف أن تجنب السفير محاولات التدخل في الشؤون الداخلية للدولة المضيفة له يبعده عن زعزعة الثقة والإضرار بالمصالح المشتركة، مما يؤثر سلباً على مسيرة العلاقات.

ولعل السفير عمارة قد فطن إلى أن هذا التصرف من الإمبراطور يهدف به استنطاق السفير عن أحوال الدولة العباسية، وما هو حالها عليه خصوصا أن الإمبراطور في بداية لقائه به

---

[1]- الجوارشن بضم الجيم وكسر الراء المهملة معرب كوارشن من الفارسية بمعنى الأدوية الهاضمة، ولها أنواع مثل جوارشن الخوزي للاستمراء والإسهال، انظر: التهانوي، محمد علي الفاروقي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963م، ص328. جهامي، جيرار، موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1999م، ج1، ص466.

[2]- ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص130.

سأله عن الخليفة، وعن أشياء من أمر الإقليم. ويبدوا أن السفير لم يشف غليل الإمبراطور بجوابه، خاصة أن وضع الإمبراطورية البيزنطية في تلك الفترة كان صعبا[1].

(ب) السمات الجسمانية (البدنية):

يعتبر المظهر الخارجي للشخص مهما، لأنه أول ما تقع عليه عين الرائي، فإما ينجذب إليه استحسانا لشكله، وإما استنكارا له، وفي ذلك يورد ابن الفرا " يستحب في الرسول تمام القد، وعبالة الجسم حتى لا يكون قميئا ولا ضئيلا، وان كان المرء بأصغريه ومخبوءا تحت لسانه، لكن الصورة تسبق اللسان والجثمان يستر الجنان[2]. والمظهر الجميل يدل على المخبر الظاهر، هذا فضلا عن الدور الذي يلعبه جمال المظهر في استهواء واستمالة القلوب والنفوس إلى أصحابها وفي نفس الوقت فان المظهر غير الجيد قد يعطي انطباعا سيئا من البداية، فيعصف القلوب عن أصحابها، ويملئ الناظر لهم استكبارا واستعلاء عليهم، لذلك نجد أن المظهر الحسن يسهل كثير من الأمور الصعبة والمعقدة [3].

ورد " يجب أن يجمل بكل ما أمكن الوافد، والعامة ترمق الزى أكثر مما ترمق الكفاية والسداد ويجب أن تزاح علله فيما يحتاج إليه، حتى لا تشره نفسه إلى ما يبذل له ويدفع إليه، فان الطمع يسطع الحجة والرسول أمين لا أمين عليه، فيجب أن يرتهن بالإحسان إليه والأفضال عليه " وقد تجسدت لنا هذه السمة في سفير الخليفة المعتصم حيث أن السبب الرئيسي الذي استثار انتباه الإمبراطور وأدهشه ودفعه إلى طرح تلك الأسئلة على السفير هي ما رآه من هيئة السفير حيث رأى عليه من الهيبة وكثرة

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص46.

[2]- رسل الملوك، ص47.

[3]- خطاب، مرجع سابق، ص382-383.

التجمل وما كان يصحبه معه من الرحل والآلات التي لا يكون مثلها إلا لعظماء الملوك مما أعظمه في عين الإمبراطور، والهيبة لا تكون إلا بحسن القد وعبالة[1] الجسم. وبالتالي فالاهتمام بالمظهر الخارجي للسفير يعد من بين أهم أساليب إنجاح السفارة وبلوغ مراميها.

(ج) السمات الثقافية:

على الرغم من أهمية السمات الخلقية والجسمانية في نجاح السفارة، إلا أن ثقافة السفير ذاته تعد من أكثر العوامل المؤدية للنجاح في تأدية السفير لمهمته على أكمل وجه، وخاصة إذا كانت السفارة ذات أهمية بالغة وتحمل في ثنايا مهامها مستقبل العلاقة بين دولتين لهما شأنهما في الساحة الدولية، من هنا كانت مسألة ثقافة السفير مسألة ضرورية.

إن السفير يجد في سعة ثقافته ملاذا يستبصر به فيما يأتيه وما يذره وفي كل شيء يعرض له من حسن أو قبيح، فيكون بذلك أكثر حذرا وأمنا من الوقوع في الزلل اللفظي أو الفعلي في محاوراته مع الجهات المرسل والمسفر إليها، وهذا لا يعني مطالبة السفير بالتدقيق في تحصيل كل علم، بقدر ما يعني بالمشاركة في علوم عصره مشاركة المتكلم بها عند الضرورة، فكان الإلمام بحوادث التاريخ وأصول الخراج وسائر الأعمال التي تكون مثار قيام السفارة، أمرا يساعد على المناظرة حسب ما يراه من صحة وخطأ فيها [2].

---

[1]– العبالة هي الضخامة وامتلاء الجسم ، والعبل الممتلئ الجسم. انظر ابن الفراء، مصدر سابق، ص47

[2]– المنجد، مرجع سابق، ص34.

كذلك وفي الوقت نفسه لم يكن أمر معرفة السفير بلغة البلاد المسفر إليها أمرا لازما رغم أنه محبذا، ولذلك فقد كانت اغلب السفارات يتواجد فيها مترجم يقوم بترجمة ما يدور من محاورات بين السفير والإمبراطور، ونقله لكلا الطرفين في حضرتهم.

فمثلا من بين السفراء الذين كانوا على علم بلغات كثيرة، ويتكلم بها السفير سلام الترجمان الذي يتحدث بثلاثين لغة، والذي أسفره الخليفة العباسي الواثق على رأس بعثة كانت تهدف إلى استكشاف أحوال سد الصين والأمم التي تعيش في الأقاليم بها[1]، ويبدو أن هذا الاختيار للسفير قد جاء في محله لأن استكشاف أثر حضاري لأمة من الأمم أو دولة من الدول يقتضي المعرفة بلغة أولئك القوم، فلعلهم قد تركوا على ذلك الأثر من المعلومات قد لا يحصل عليها المرء من أصحاب الأثر نفسه.

في حين أن هناك سفارات عدة لم تستلزم المعرفة بلغات أولئك القوم الموفدين إليهم كما كان في أغلب السفارات العباسية، حيث يذكر السفير عمارة سفير الخليفة المنصور أنه عند دخوله على الإمبراطور البيزنطي وجد ثلاثة مترجمين ينتظرونه أن يتكلم حتى يقوموا بترجمة كلامه للإمبراطور دون زيادة أو نقصان كما أشار هو عليهم بذلك. إذن وجود التراجمة لأي سفارة كان أمراً ضرورياً، وبالمثل كان في البلاط العباسي مترجمون يترجمون ما يقوله السفير إليهم دون زيادة أو نقصان، وفي بعض السفارات الأخرى كان يتم مرافقة السفير مترجم يقوم بهذه المهمة[2].

---

[1]– ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص274.

[2]– المصدر نفسه، ص103.

(د) دين السفير:

يعد دين السفير عاملاً مهماً في إنجاح السفارة، فلو دققنا النظر في سفراء الدولة العباسية إلى الدول الأخرى لوجدانهم يدينون بالدين الإسلامي، باستثناء بعض السفارات وهو ما لا يتنافى من الناحية الشرعية التي تجيز إرسال سفير غير مسلم إذا اقتضت الحاجة ذلك، وكان في ذلك مصلحة للدولة الإسلامية، ومن الشواهد على ذلك السفارة التي بعث بها الوزير العباسي علي بن عيسى بإذن من الخليفة المقتدر بالله إلى إمبراطور القسطنطينية والتي ضمت بطارقة إنطاكية والقدس، والهدف من هذه السفارة التوسط لدى إمبراطور بيزنطة لرفع العذاب عن الأسرى المسلمين في سجون بيزنطة، الذين وقعوا في أيديهم إثر الغزوات التي كانت تقوم بين الطرفين[1]. فالبطاركة كانوا يمثلون سفراء سلام من قبل الدولة الإسلامية إلى دولة الروم، بهدف التوسط في شأن أسرى مسلمين يعانون من سوء معاملة الروم، إذ أن المصلحة هنا متعلقة بأسرى مسلمين أي بمصلحة الدولة الإسلامية، وما كان استسفار هؤلاء إلا لمكانتهم الدينية لدى أقرانهم النصارى.

وهكذا كان الخليفة لا يأل جهدا في تحقيق كل ما من شأنه أن يعود بالنفع للدولة الإسلامية، حتى وإن كان الشخص المتوسط فيها على دين غير ملة الإسلام.

رابعاً: ملابس السفراء ومراسيم استقبالهم

إن مسألة وجود نصوص وأدلة تشير أو تثبت ارتداء سفراء ورسل الدولة الإسلامية ملابس معينة، وخاصة أثناء وفودهم على الملوك والدول الأخرى تعد صعبة، وهناك إشارة إلى

---

[1]- الصابي، مصدر سابق، ص 354-355. المنجد، مرجع سابق، ص36.

لجوء سفراء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك وقائد جنده قتيبة بن مسلم الباهلي والذي تعدى عددهم العشرة سفراء [1] إلى ارتداء أكثر من زي خلال المهمة التي أوفدوا من اجلها فربما كان ذلك التصرف قد اقتضته ظروف السفارة لهدف معين، وهو دليل على عدم وجود زي موحد في تلك الفترة.

تميز العصر العباسي عن العصور السابقة باتخاذ خلفائه السواد لباسا رسميا لكافة المناسبات الرسمية، حيث كان الخلفاء والوزراء والقضاة وغيرهم من كبار رجال الدولة يلبسون السواد، حتى عامة الناس منهم كانوا يلبسون السواد إذا دخلوا على الخليفة [2] وهذا معناه أن لباس السواد لدى العباسيين كان أشبه بلباس رسمي اختاروه لأنفسهم فتميزوا بذلك.

وعليه لابد أن يكون السفراء في مهماتهم الرسمية ملتزمين بما تلتزم به دار الخلافة العباسية وبالتالي فهم يلبسون السواد أثناء تأدية سفاراتهم ويمكن التدليل على ذلك بما ذكره سفير الخليفة المتوكل في عام 246هـ/860م،عندما أسفره الخليفة إلى إمبراطور الروم ميخائيل الثالث[3]

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج6، ص500. ابن الأثير، مصدر سابق، ج5، ص5-7.

[2]- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، د.ط، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 1982م، ص105. قارن مع الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، تقديم وشرح علي أبو ملحم، ج3، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م، ص78

[3]- أحد أباطرة الدولة البيزنطية حكم في الفترة من عام 842-867م، للتفاصيل انظر جوزيف، مصدر سابق، ص 142.

بأنه عندما وصل دار الإمبراطور في القسطنطينية كان يرتدي السواد وسيف وخنجر وقلنسوة، مما دفع (بتروناس)خال الإمبراطور والقائم على الأمور إلى رفض دخول السفير بتلك الهيئة[1].

ومع أن عهد الخليفة المتوكل كان قد تلا عهوداً قدرت بأكثر من قرن من الزمان منذ قيام الدولة العباسية، إلا أن منع دخول السفير على تلك الهيئة بعد كل السفارات التي سبقت هذا السفير من جانب الدولة العباسية يثير الاستغراب، ولا نستطيع تفسيره إلا بخوف القيّم على إمبراطور الروم من أداة الحرب التي كان يحملها السفير وهي السيف والخنجر، وقد يكون تجريد السفير من سلاحه بغض النظر عن كونه تقليداً قد أصبح من مراسم استقبالهم له قبل السماح له بمقابلة الإمبراطور.

ولم نجد في المصادر غير تلك السفارة كدليل يثبت نوع اللباس الذي كان يرتديه السفراء العباسيين عند وفودهم على ملوك الدول الأخرى، ويبدو أن اتخاذ السواد كلباس رسمي في دار الخلافة يعطينا تصورا عن اتخاذه أيضاً لباساً رسمياً للسفراء في ذلك الوقت. ويبدو أن هيئة السفير العباسي في لباسه كانت تلقي الهيبة والإكبار في نفس الملوك، وهو ما حدث مثلا في سفارة رسول المعتصم إلى إمبراطور الروم.

أما ما يتعلق بمراسم استقبال السفراء في الدولة العباسية فهي لا تقل عما هو معهود في دار الإسلام خلال العهود السابقة للعهد العباسي، بل أن الاحتفال بقدوم السفراء لم يعد مقتصراً على حسن التعامل معهم، واللجوء إلى التكلف في ذلك، وإنما تعدى ذلك إلى استقبال مبالغ فيه عن السابق تضمنه التعهد بالرعاية والإكرام لشخص السفير، وإظهار كافة قدرات وإمكانيات

---

[1]- ابن الفراء، مصدر سابق، ص 64-65.

الدولة في الاحتفاء بقدوم السفير، خصوصا إن كان من دولة قوية تنافس الدولة العباسية على المكانة والسلطة والقوة، لتبرز بذلك نوع من توازن القوى في المظاهر الدبلوماسية.

لا شك أن مسألة التركيز على الاهتمام بالاحتفاء بقدوم السفير ترمي إلى عدة أهداف منها:

1. إكرام السفراء لأنهم يمثلون شخص الملك الذي أوفدهم، فالصلاحيات التي أعطيت لهم من قبله تجعلهم في مكانة رفيعة، فنجدهم يتكلمون باسمه، ويحملون كلامه ويبدون رغباته، وبالتالي يعد إكرامهم إكرام لملكهم، وذلك من خلال إظهار العناية بهم الأمر الذي يدل على عظمة مكانة المرسل وعلو منزلته في نفس المرسل إليه[1].

2. تسابق الخلفاء على بذل أقصى جهودهم من أجل إظهار عظمة، وثراء، وقوة الدولة العباسية أمام سفراء الدول الأجنبية حتى يكون ذلك بمثابة رسالة إنذار إلى دولهم من أثر الرهبة التي يمكن أن تقع في نفوسهم، ومن ثم ينقلون تلك الصورة إلى من أرسلهم، وبالتالي التفكير مليّاً قبل الإقدام على استخدام القوة العسكرية ضد الدولة العباسية[2].

وفي هذا الجانب أيضاً لا يجب أن نغفل ذلك الاهتمام الذي تحظى به السفارات الواردة إلى الدولة العباسية، والصورة الراقية التي تظهر بها كافة سفارات الدولة العباسية والتي دون شك تحتاج في الأساس إلى سند مالي ضخم؛ حتى تتحقق من خلالها ما ترنو إليه نفوس خلفائها،

---

[1]- المنجد، مرجع سابق، ص38.

[2]- إبراهيم، محمد المكي، " الاستقبالات الدبلوماسية في بلاطات الخلفاء "، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ع213، م18، 1994م، ص91

من إبراز عظمة حكمهم ودولتهم ذات السطوة التي لا يستهان بها، ومن هذا المنطلق فإن خلفاء الدولة العباسية كانوا يخصصون مبالغ كبيرة ترصد لتلك السفارات سواء المرسلة أو الواردة[1].

وبما أن خبر إرسال سفير من قبل أي دولة إلى الدولة العباسية كان متعذرا إلا بقدوم السفير نفسه ووصوله إلى مشارف الدولة، فإن مسألة الإعداد للقاء السفير بالخليفة تحتاج إلى إعداد مسبق. ويأمن السفير على نفسه أثناء مروره في أراضي الدولة العباسية فلا يتعرض له أحد وبالذات من الشعب، بل إن الشعب قد يشاركون في الاحتفالات التي تعد لاستقبال السفراء باصطفافهم على جنبات الشوارع، ونشر الأعلام العباسية وهو ما يعرف اصطلاحا بالاستقبال الشعبي، وقد يشارك عسكر الدولة العباسية والموظفين من خلال العروض الكبيرة التي تبرز عظمة الدولة، وضخامة جيشها، والحاشية التي قد تحيط بالخليفة[2]، وهو ما حدث مثلا للسفارة الهندية التي قدمت على الخليفة هارون الرشيد، والتي كان من ابرز مستقبليها العسكر عندما ألبسهم زياً من الحديد ولم يظهر منهم إلا الحدق[3].

وأثناء القيام بالإعداد لاستقبال السفراء كان يتم إرجاء السفير الأجنبي خارج عاصمة الخلافة العباسية، ويلقى خلالها الاحترام، وكل ما يليق به كسفير من مسكن، ونفقه، وأطعمه، وأدلاء، وهكذا من عامل إلى عامل، ومن ولاية إلى أخرى حتى يتم الانتهاء من الإعداد لمراسم

---

[1]- الصابي، مصدر سابق، ص13-27. المنجد، مرجع سابق، ص62

[2]- توفيق، مرجع سابق، ص127.

[3]- ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج1، ص61-62.

استقباله في عاصمة الخلافة، حيث كانوا ينزلون في دور الخلافة، وهذا الشائع في العصر العباسي الأول[1].

ومن الجدير بالذكر أن مقابلة السفراء للخليفة لا تتم بمجرد وصولهم إلى عاصمة الخلافة، وإنما يستقبلهم موظف خاص يهتم بأمور السفراء من وصولهم وحتى مغادرتهم ويسمى الوظائفي، أو زير البلاط مثلما حدث مع سفارة إمبراطور الروم باسيل التي استقبلها الوزير ابن الزيات قبل الخليفة المعتصم[2] ومن ذلك أيضاً ما ذكره الفضل بن مروان وزير الخليفة المعتصم من أن الرسل من جهة الملوك إذا جاءت بالهدايا كان يجعل اختلافهم إليه فتكون المؤامرات فيما يجري معهم من ديوانه[3].

وبطبيعة الحال كان الشخص المكلف بمقابلة السفير قبل الخليفة أيا كان يقوم بالاستفسار من السفير عن سبب سفارته، ويعرف منه ما يحمله من أخبار، وقد يجري معه بعض عمليات التفاوض المبدئية بحكم الثقة والمكانة التي يحتلها هذا الشخص المخول باستقبال وفود السفارات، وأيضا بحكم مؤهلاته التي تخوله لممارسة مثل تلك الصلاحيات.

أما الفترة ما بين وصول السفير وموعد مقابلته للخليفة العباسي فلم تكن تحدد سلفا وهنا تلعب حسن العلاقات أو سوءها دورا مهما في تقصير تلك المدة أو تطويلها، ونضرب مثالا على

1- شلبي، احمد، العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1987م، ص31. إبراهيم، مرجع سابق، ص91.

2- ابن الفراء، مصدر سابق، ص 67-68. ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص486-488. المنجد، مرجع سابق، ص153.

3- ابن الفراء، مصدر سابق، ص68

ذلك بما حدث لسفير إمبراطور الروم(تيوفيل) الذي ظل ينتظر المثول بين يدي الخليفة المعتصم مدة 6 أشهر. لكن في أغلب الأحيان ما إن يتم تحديد المقابلة، وتستكمل الإجراءات الشكلية حتى يأذن للسفير بلقاء الخليفة، حيث يسلم السفير الرسالة المكتوبة التي يحملها، أو يتلوها إن كانت شفهية على مسامع الخليفة، وفي الوقت نفسه يقدم الهدايا التي يحملها معه إن وجدت، ثم بعد ذلك ينتظر الجواب على رسالته إما كتابياً أو شفهياً في نفس الوقت، وأحيانا قد يرجئ الخليفة الرد عليه إلى وقت لاحق قبل رحيله وانتهاء فترة الضيافة[1].

لم نجد في المصادر وصف كامل لاستقبال سفاري خلال العصر العباسي الأول، ولكن يمكن الإشارة إلى بعض السفارات التي تم استقبالها في البلاط العباسي بشكل مبسط مثل السفارة الرومية التي قدمت إلى البلاط العباسي واختلف في نسبتها إلى راويها فهو إما محمد بن عبد الملك الزيات الذي عاصر ثلاثة خلفاء عباسيين،وهم: المعتصم، والواثق، والمتوكل، أو أنه الفضل بن مروان وزير المعتصم، فيقول ابن الفراء: " **لما وصلوا– أي سفراء الروم – أخذ محمد بن عبد الملك الزيات الكتب وتوصل إلى علم ما تضمنت، وردها بخواتيمها وقال: أمير المؤمنين مشغول عنها** "[2].

وليس واضحاً من هذا الخبر إذا كان الوزير قد توصل إلى محتويات الرسالة بسؤال الرسل وإفادتهم له عن ذلك، أم توصل إلى ذلك بوسائل الجاسوسية، ولكنه في كل الأحوال اطلع على ما كان يطلبه الإمبراطور الرومي وقرر التلكؤ في الاستجابة له معتذراً بانشغال أمير المؤمنين. وربما كان الحق مع ابن الزيات في تصرفه ذلك حيث كانت هناك حروب بين العرب

---

[1]– المسعودي، مروج، ج4، ص58–59. ابن الفراء، مصدر سابق، ص68،44.

[2]– المصدر نفسه، ص68.

والروم، حتى أن الخليفة المعتصم قاد جيوشه بنفسه إلى فتح عمورية الشهير عام (223هـ/838م)، وبسبب تلك الحروب أوقفت الهدية التي أرسلها إمبراطور الروم إلى الخليفة المعتصم لمدة ستة اشهر، ثم عرضت على الخليفة وقبلها[1].

إن سفراء الروم حينما يقدمون على بغداد كما حدث في سنة 305هـ/917م كان الخليفة يستقبلهم استقبالا رسمياً في أبهة شرقية بالغة ويقيم عرضا عسكرياً شاملاً.[2]

خامساً: الهدايا الدبلوماسية ودلالاتها

(أ) تعريف الهدية:

الهدية في تعريفها اللغوي هي: ما أتحفت به، يقال: أهديت له واليه، والتهادي : أن يهدي بعضهم إلى بعض. يقال: فلان يهدي الناس: إذا كان كثير الهدايا وبالتالي فالمعنى اللغوي للهدية يدور حول شيء يقدم يقصد به التودد والإكرام والإتحاف، من هنا فالمعنى الاصطلاحي للهدية يدور حول ما يعطي بقصد إظهار المودة وحصول الألفة والثواب للأقرباء، أو الأصدقاء أو العلماء أم من يحسن الظن به[3].

إن ذلك يعكس طبيعة النفس البشرية وسجيتها على اعتبار أنها تتأثر بالهدية امتنانا من صاحبها، ومودة له وتتضح لنا الدلائل الشرعية التي تؤكد هذه النظرة. فعن أبى هريرة – رضي

---

[1]- ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص486-488.

[2]- مسكويه، مصدر سابق، ج1، ص53-55. بينز، نورمان، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950م، ص365.

[3]- ابن منظور، مصدر سابق، د.ط، دار صادر، بيروت، 1997م، ج15، ص357.

الله عنه – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "تهادوا تحابوا، فإن الهدية تفتح الباب المُصمَت[1]، وتَسلّ سخيمة[2] القلب"[3] . فحديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – المكون في كلمتين ذات اثر كبير، كونها تعد لغة تتكلم عن صاحبها، وتوصل معاني معينة للطرف الآخر، وتقوي الألفة وتعزز أواصر المحبة معه، كما توجد أساسا للتقارب والتفاهم[4]. وهناك مقولة ليحيى بن خالد حول الهدية بأنها تعد أحد ثلاثة أمور تدل على عقول أصحابها وذكر معها الرسول والكتاب[5].

إن التطرق إلى المهام الدبلوماسية التي كان يكلف بها السفراء، يستوجب أهمية استعراض(الهدايا) التي جاءت ضمن السفارات المتبادلة بين الدولة العباسية وغيرها من الدول، لأنها جوانب دبلوماسية مهمة معينا في التعامل السياسي بين الخلافة العباسية وغيرها.

غالبا ما كانت الدولة العباسية تتميز وتتفرد بالهدايا التي تقدمها إلى الدول الأخرى خاصة أنها لم تكن تود أن تبرز نفسها على أنها اقل شأناً ومكانة، وعلى اعتبار أن الدول تتبارز في إظهار قوتها بشتى الوسائل سواء في حالات السلم أوالحرب، وكان في استقبال السفراء والهدايا المتبادلة بينهم تمثل جانبا يبرز بشكل أو بآخر ما ترغب كل دولة بإبرازه، خاصة إن كانت تلك الهدايا تحمل رموزا لها دلالات معينة معروفة لدى مختلف الدول .

---

[1]– المغلق انظر ابن قتيبة، مصدر سابق، ج2، ص40، هامش (1).

[2]– الضغينة والحقد، المصدر نفسه، ص41، هامش (3).

[3]– المصدر نفسه، ص41.

[4]– ابن منظور، مصدر سابق، ص61.

[5]– القلعي، أبو عبد الله محمد بن علي، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، د.ط، مكتبة المنار، الأردن، 1985م، ص143.

(ب) نماذج من الهدايا المتبادلة بين الدولة العباسية والدول الأخرى:

أشار المؤرخون والعديد من الكتاب المحدثين في كتاباتهم إلى الهدايا التي كانت تتبادلها الخلافة العباسية مع الدول الأخرى، وهي وإن لم تشر في كافة ما قدمته إلى نوع الهدية ومضمونها، إلا أنها عرضت في المقابل إلى هدايا أخرى تناولتها من حيث المضمون ومسمى كل محتويات الهدية، ومن هنا نتناول هذه الهدايا من خلال التعرف على نوعها، والدلالات التي تحملها.

1. وصلت ثلاث سفارات عباسية إلى الصين في سنة (136هـ/753م) كانت في عهد أبو العباس السفاح، وحملت معها هدايا من ضمنها، ثلاثين جواداً عربياً، هدية إلى ملك الصين[1].

من خلال تناول هذه الهدية والدلائل التي قد تحملها يمكن أن نلمس عدة أمور منها :

أ) البداية القوية التي انتهجها الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح في تأسيس الخلافة العباسية خارجيا، وإبرازها كقوة ودولة جديدة مترامية الأطراف، قامت على أثر خلافة ودولة سابقة وهي الدولة الأموية، التي كانت تربطها علاقات طيبة بإمبراطورية الصين وفقا لما تذكره المصادر الصينية، ومن ضمنها ما ورد عن تلك العلاقة الطيبة التي ذكرها بدر الدين الصيني[2].

ب) أرادت الخلافة العباسية من تبادل الهدايا إرساء علاقات ودية من شأنها الحفاظ على حدود دار الإسلام مع الصين، وتقوية ومد أواصر الصداقة.

---

[1]- مصطفى، مازن مجيد، العلاقات السياسية والدبلوماسية بين العرب والصين، ع1 – 2، مجلة آفاق عربية، بغداد، 1983م، ص101.

[2]- الصيني، مرجع سابق، ص182.

ج) إن الجياد العربية بحد ذاتها تمثل رمزا وملمحا عربياً أصيلاً، يتباهى ويفتخر به العرب بشكل عام وخليفة المسلمين بشكل خاص؛ لأصالتها واعتمادهمْ عليها في كثير مَن أمورهم السلمية والحربية، ثم إن الجياد العربية تعد من افضل أنواع الخيول وأغلاها ثمنا، وتستخدم في السبق واللحاق، فضلا عن كونها مدربة على خوض الحروب، وكانت بذلك مما اشتهرت به بلاد العرب بشكل عام.

د) قد يكون لهذه الهدية أهداف ذات أبعاد تجارية، خاصة إذا ما لاحظنا التاريخ الطويل للعلاقات التجارية بين الصين وبلاد العرب عبر بلاد ما وراء النهر.

2. وفد على إمبراطور الصين (سوجونغ) الذي حكم من عام (139-145هـ/756-762م) سفير من خليفة بغداد، يحمل إليه التحف والهدايا، وودعه بالتعظيم الوافر والإكرام الفائق[1].

يبدو أن هذه السفارة إذا كان مصدرها بغداد فهي من الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وأن هذه الهدايا المتمثلة في التحف غير المفصلة والهدايا الأخرى لهي دليل على التباهي بالمنتجات والصناعة الوطنية الرفيعة، فبغداد كانت قد برعت في مجالات عدة وتميزت صناعتها بشكل واضح، هذا فضلا عن بقية المدن والولايات الأخرى التي كانت تابعة وخاضعة للخلافة العباسية ونفوذها، والتي تميزت كل منها بصناعة معينة يستمد منها الخليفة الأرقى والأفخم ليهديهَ إلى ملوك الدول الأخرى، متباهيا بها من جهة، وراغبا في زيادة نشاط التبادل التجاري مع تلك الدول من جهة أخرى.

---

[1]- كاركون، تاريخ ممالك جين، طبعة كلكته، ص175 نقلا عن الصيني، المرجع نفسه، ص44.

ونود الإشارة هنا إلى أن هذه التحف وان لم يفصل لنا محتواها فهي لن تخرج في محتواها عن الخزف الرفيع، والمعادن المميزة، والأشكال المتفردة ذات المستوى الدال على ما وصلت إليه الخلافة من اقتناء مظاهر الأبهة والفخامة من جهة، ومكانة الدولة المرسل إليها من جهة أخرى ، كما لا يجب أن نغفل أن وجود مثل هذه التحف بحد ذاتها في القصور مهم جدا للتعرف على نمط الحياة السكنية لأصحاب القصور وأعمالهم الإنتاجية، وهي بلا شك تدل على رفاهية الدولة.

3. وردت إشارة إلى أن هناك وفداً صينياً قدم إلى الخليفة المهدي (158–169هـ/775–786م) وقد حمل معه هذا الوفد العديد من الهدايا منها قرد، له منافع عظيمة في تشخيص الطعام المسموم [1].

يبدو أن الدلالة التي تحملها الهدية هي من طرائف إمبراطورية الصين التي أبرزت بعض من عجائبها وطرائفها التي تخدم اكثر مما تسيء، فالإمكانية التي تحملها هذه القرود تشير إلى وجود اهتمام كبير بتدريب هذه الحيوانات والاهتمام بها، حيث أنها تقي الملوك والأمراء من مخاطر السم في الأكل ، لأن القرود تتناول الأكل قبلهم ولها قابلية جيدة في إدراك طبيعة الطعام المسموم عند تناولها له، فان صدت عنه فهو مسموم، وان أكلت منه فهو سليم.

4. أهدت الإمبراطورة ايريني من خلال سفيرها إلى الخليفة العباسي المهدي في بغداد هدايا الذهب والفضة، وغيرها من العروض كالملابس الحريرية[1] .

1- المسعودي، مروج، ج1، ص202. مصطفى، مرجع سابق، ص102.

إذا نظرنا إلى الهدية سنجدها تعرض فيها ثروات بلاد الروم من الذهب والفضة من جهة، والملابس الحريرية من جهة أخرى، إذن هي طريقة لعرض منتجات رومية والمتاجرة فيها، على الرغم من أن المعنى الأكثر دلالة لهذه الهدية هو الخضوع أو بمعنى آخر الرغبة في تهدئة الأوضاع مع الخلافة العباسية بسبب الظروف السياسية السيئة التي كانت تمر بها دولة الروم، والتي دفعت ملكتها الإمبراطورة ايريني إلى إرسال تلك الهدايا إن صح تسميتها بالهدايا كما وردت.

من جهة أخرى فان ما أرسل من الذهب والفضة والعروض كالملابس الحريرية ليست هدايا بقدر ما هي إتاوة أو جزء من الجزية التي فرضها الخليفة بعد انتصاره على الروم.

5) أشارت بعض الروايات إلى قدوم هدايا من أحد ملوك الهند الذي لم يرد ذكر لاسمه، وكانت الهدايا يحملها سفراؤه إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد، وقد كان محتوى الهدايا سيوف قلعية[2] وكلاب سيورية[3] وثياب هندية، وقد أورد صاحب العقد الفريد الطريقة التي تم بها استقبال الهدايا وعرضها على الخليفة العباسي هارون الرشيد، حيث أمر الخليفة الرشيد جنوده بالاصطفاف صفين متقابلين، مع لبسهم للزي الحديدي حتى لا يرى منهم إلا الحدق. وأذن للرسل فدخلوا عليه

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص152-154. ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص66. فوزي، العباسيون، ج2، ص610.

[2]- القلعية: نسبة إلى القلعة (بالتسكين)، وهو موضع ببلاد الهند واليه تنسب السيوف. حاشية ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج1، ص406.

[3]- " شنوزية" ولعل كلا اللفظين محرف عن "سمندورية". نسبة إلى سمندور (بفتح أوله وثانية ثم نون سانة)، بلد الهند. حاشية ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج1، ص406.

فقال لهم:" ما جئتم به؟ قالوا هذه اشرف كسوة بلدنا، فأمر هارون القطاع بان يقطع منها جلالا وبراقع كثيرة نحيلة فصلب الرسل على وجوههم، وتذمموا ونكسوا رؤوسهم ثم قال لهم الحاجب: ما عندكم غير هذا؟ قالوا له هذه سيوف قلعية لا نظير لها، فدعا هارون بالصمصامة[1] سيف عمرو بن معد يكرب قطعت به السيوف بين يديه سيفاً سيفاً كما يقطع الفجل من غير أن تنثني له شفرة ثم عرض عليهم حد السيف فإذا لا فل فيه، فصلب القوم على وجوههم. ثم قال لهم ما عندكم غير هذا؟ قالوا: هذه كلاب سيورية لا يلقاها سبع إلا عقرته ، فقال لهم هارون فان عندي سبعا فان عقرته فهي كما ذكرتم، ثم أمر بالأسد فاخرج إليهم فلما نظروا إليه هالهم وقالوا: ليس عندنا مثل هذا السبع في بلدنا: قال لهم هارون هذه سباع بلدنا. قالوا فأرسلها عليه، وكانت الكلاب ثلاثة، فأرسلت عليه فمزقته فأعجب بها هارون، وقال لهم تمنوا في هذه الكلاب ما شئتم من طرائف بلدنا، قالوا ما نتمنى إلا السيف الذي قطعت به سيوفنا، قال لهم: هذا مما لا يجوز في ديننا أن نهاديكم بالسلاح ولولا ذلك ما بخلنا به عليكم، ولكن تمنوا غير ذلك ما شئتم، قالوا: ما نتمنى إلا به قال: لا سبيل إليه، ثم أمر لهم بتحف كثيرة. واحسن جائزتهم "[2].

إذا تناولنا الهدايا نجد أن السيوف القلعية لديهم تعد من افضل أنواع السيوف، أما الكلاب السيورية فقد يُقصد بها كلاب آسيوية[3]، نشأت وتربت وتدربت في الهند، وهم يتباهون بها

---

[1]- الصمصامة هو السيف الذي لا ينثني ، نسب لصاحبه عمرو بن معد الزبيدي كنيته أبا ثور، استخدمه في معارك عدة كمعركة القادسية. للتفاصيل انظر ابن نباته، مصدر سابق، ص267-272.

[2]- ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج1، ص61-62. عبد اللطيف، أحمد توني. العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية من عام 132-232هـ رؤية حضارية، د.ط، مركز إسكندرية للكتاب، الازاريطة، 2004م، ص130-131.

[3]- فوزي، العباسيون، ج2، ص638- 639.

ويتضح ذلك لنا في أثناء عرضهم لها على الخليفة الرشيد والتفاخر بقوتها، الأمر الذي جعل الخليفة يعجب بها بعد ثبات قيمة الهدية التي وصلته وتغلب الكلاب على سبعه.

أما بالنسبة للكسوة ويقصد بها الثياب الهندية، ويشير المسعودي إلى أن الثياب في الهند تعد من حاصلات الهند ومن أكثرها رقة ودقة، لذلك يعد تصرف الخليفة بشأنها، وأمره بتقطيعها إلى براقع مما أوجبه الدين الإسلامي، فالحرائر والملابس الخفيفة لا يجوز لبسها، أو الاتشاح بها، أو اتخاذها بأي شكل في لباس الرجال كونها من الحرير.

إذن فالدلائل التي نستشفها من هذه الهدايا قد تكون دلالات إيجابية أو سلبية.

أولاً: الدلالات الإيجابية:

أ) اهتمام ملك الهند بعرض منتجات بلاده على الخلافة العباسية كعامل منشط للعلاقات التجارية بين الطرفين .

ب) توطيد أواصر الصداقة بين الجانبين العباسي والهندي .

ج)عرض بعض مصادر القوة التي تمتلكها الهند والمتمثلة في حيواناتها التي تربيها وتنشئ في أراضيها .

ثانياً: الدلالات السلبية:

ا) إعطاء كل هدية معنى مقصود كأن يقصد بالسيوف رباطة جأش الهند، وقدرتهم على مواجهة أي قوى أخرى كالخلافة العباسية بالسيف والحرب، كون السيوف في هذه الحالة تمثل إظهار للقوة.

ب) أما الكلاب الآسيوية فالقصد منها إظهار مدى الشراسة التي يمكن أن تتحول إليها الهند عند الضرورة، ومدى قسوتها في مواجهة خصومها.

ج) أما الكسوة فيمكن أن يقصد بها الخلعة بالكسوة، وأن الرشيد سيتبع ملك الهند .

وفي المقابل وإن صحت تلك الدلائل فإن ردود أفعال الخليفة الرشيد جاءت ملائمة ورادعة، ومجيبة على كل دلالة منها بدلالة مشابهة، حيث نجده يقابل الكسوة بتقطيعها إلى براقع صغيرة أخزت السفراء وأذهبت ماء وجههم بالتقليل من شأنها أمامهم. وإن مواجهة السيوف العديدة بسيف واحد معروف لدى العرب بقوته، ولسان حال الخليفة يقول سيف واحد من سيوفنا تعجز أمامه جملة من سيوفكم، فإن كان السيف بالرجل فإن عصبة من رجالكم قد تعجز عن مواجهة رجل واحد منا، فليكن سيفنا ممثلا لنا ولتكن سيوفكم انتم التي قطعت كالفجل تعبر عن حال رجالكم.

أما عن الكلاب الآسيوية فإن عجز السبع أمام الكلاب الهندية التي عقرته لم تترك في نفس الخليفة الرشيد غضبا، بل لم يبد تجاه الأمر رأي المتغطرس الحانق من الخسارة في المنافسة والمبارزة التي شهدها رجال البلاط العباسي، وإنما واجه الأمر باعتراف صريح بقوة الكلاب وإعجابه بها، حتى أنه أتاح المجال للسفراء بطلب ما يريدون مقابل تلك الكلاب، مع التزامه بما هو جائز للتهادي في الدين الإسلامي، وإيضاحه سبب امتناعه عن إهدائهم للسيف الذي قطع سيوفهم حتى لا يساء الفهم في عدم الاستجابة لطلبهم.

6) على الرغم مما ذكره المؤرخون والجدل بين عدد من الباحثين المحدثين حول العلاقات بين الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان[1]، إلا أننا إذا تناولنا مسألة التّهادي فيما بينهما، نستطيع إيجاز الهدايا المتبادلة بين الطرفين على النحو التالي:

- أرسل الخليفة الرشيد إلى الإمبراطور شارلمان هدية قيمة شملت بعض قطع من الأقمشة الفاخرة والموشاة بخيوط الذهب، وبسط ديباج من طبرستان، وعطورا من اليمن والحجاز، ومسك وصندل وأعواد ند[2] من الهند، وسرادقا[3] عظيما، مجللا بأنواع الحرير وكلاليبه[4] من الذهب، ومزولة[5] كبيرة تدل على الأوقات، قام مهرة عمال بغداد بصناعتها، تقذف في كل ساعة حجراً برونزياً ليعين الوقت كما يظهر في كل ساعة فارس من كوة تحت رقم الساعة، كما يمكن للمرء أن يقرأ عليها تاريخ اليوم وتبين المرحلة التي مرت من الشهر القمري، وهي الساعة التي

1- إمبراطور الإمبراطورية الكارولنجية (الفرنجة) وأقاليم غربي أوروبا المحيطة بها، والتي تم تتويجه عليها عام 184هـ/800م. ديفز، هـ. و. كارلس، شارلمان، تعريب السيد الباز العريني، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959م ، ص167.

2- نوع من انواع خشب الاشجار يحمل رائحة طيبة ويستخدم للبخور. الزبيدي، مصدر سابق، ج2، ص437.

3- السرادق ما يمد فوق صحن الدار. ابن منظور، مصدر سابق، ج6، ص234.

4- الكلاليب جمع ومفردها كُلاّب والكلّوب خشبة في رأسها عُقّافة منها أو من حديد. ابن منظور، ج12، ص136

5- آله تبين الوقت من مراقبة اتجاه الظل على سطح مدرج، وقد صنعت المزاول أول الأمر في مصر أو في بلاد ما بين النهرين، واقدم مزولة عثر عليها في مصر ترجع إلى 1500ق.م، انظر الموسوعة العربية الميسرة، ط2، دار الجيل، بيروت، 2001م، ج4، ص2256-2257.

ظن بعض رجال البلاط في (اكس لا شبيل) عاصمتهم أنها آله سحرية، وأراد البعض تهشيمها فمنعهم شارلمان[1].

بالإضافة إلى خيمة هائلة الحجم أشبه بقصر فاخر بما فيها من مقصورات وتقسيمات، وبما ازدانت به من أبهى النقوش والقطع الفنية الثمينة، وكانت عالية في ارتفاعها[2]، وشطرنجا من العاج المنقوش صنعه نقاش من مشاهير صناع بغداد اسمه يوسف الباهلي، وقد مثلت تلك الأدوات فيلا يلف خرطومه على فارس، وعلى رأسه جندي قد أخذ بزمامه، ومن حوله ثمانية فرسان يراد بهم الرمز إلى البيادق الثمانية[3] الذين يناضلون عن الشاه، وعلى ظهره هودج مزخرف بأنواع الرسوم قد استوى فيه ملك على رأسه تاج مثل تيجان ملوك حمير[4].

لقد اظهر الرسام في تصويره من الحذق ما يستحق الثناء، لأنه مثل أصحاب الفيلة كما هم وجعل في آذانهم أقراطا، وعلى زنودهم أساور، وعلى أبدانهم القراطق (وهي لباس الهنود) واتخذ عدة الخيل مزخرفة، وصنع لها السروج والأزمة والركائب، وقلد الفرسان شيئا من

---

[1]- شلبي، مرجع سابق، ص38. (لم يذكر لنا المصادر التي اعتمدها في هذه التفاصيل)

[2]- عطا الله، سمير، العلاقات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ع306، م26، 2002م، ص72.

[3]- جمع مفردها بيدق والبيادق جنود أو فرسان.

[4]- المدور، مرجع سابق، ص231.

السلاح. كما تضمنت الهدية فيلاً أبيض كان قد أرسله أحد ملوك الهند هدية إلى الخليفة المهدي، فضلاً عن بعض التحف من الذهب، وقردة[1].

بالإضافة إلى ذلك هناك إشارة إلى أن سفير الخليفة الرشيد يدعى عبد الله[2] قد حمل معه إلى الإمبراطور شارلمان هدية عبارة عن حيوان ملون بديع، وعطور، وتمر، وأواني نحاسية.[3]

يبدو أن الخليفة الرشيد يجد المتعة في إهداء الإمبراطور شارلمان لكل ما قد يثير الدهشة والتعجب وهذه عادة الخلفاء مع الملوك، فكان الفيل الذي أهداه للإمبراطور سواء أكان بطلب من الإمبراطور نفسه أو بمبادرة شخصية من الرشيد فهي ترمز إلى الضخامة والقوة والعظمة، فكان بالتالي وجود هذا الحيوان في المملكة الكارولنجية كافيا لإثارة التعجب من العامة، ودافعا لاصطحابه من قبل الإمبراطور شارلمان في كل سفراته، حتى اجتمع عليه الإنهاك مع التقصير في طريقة العناية به[4].

---

[1]- اينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة عادل زيتون، د.ط، دار الكتب الوطنية، حلب، د.ت، ص106-107. غنيمة، يوسف، الخلافة العباسية والدولة الفرنسية، مجلة الهلال، القاهرة، د.ت، ج5، ص511.

[2]- لم يرد ذكر لاسمه بالكامل ولم أتوصل إليه.

[3]- الدوري. مرجع سابق، ص117. عبد اللطيف، مرجع سابق، ص102.

[4]- يسمى الفيل أبو العباس أو بو بالاس ولم يكن سكان أوربا قد رأوا الفيلة منذ زمن بعيد وقد سادت بينهم الأساطير حول ضخامة تلك الحيوانات وقتها وطول أعمارها وقد حرص شارلمان على أن يصطحب الفيل معه في سائر رحلاته فيما بعد وكان يثير الإعجاب والدهشة حينما ظهر لكن الفيل مات عام 185هـ/801م لكثرة الترحال به والجهل بطريقة رعايته الصحيحة وكان ذلك أثناء حرب شارلمان ضد الدانمركيين لأنه استخدمه في الحرب. هامش ديفز، مرجع سابق، ص202.

ثم أن الساعة المائية التي أثار بها الخليفة الرشيد رجال الكنيسة في بلاط شارلمان حتى ظنوها ضربا من السحر قد صنعت في بغداد، وهذا أعطى لبغداد قيمة مضاعفة ومتميزة لتلك المعروفة عنها في عقول الآخرين ، حيث أبرزت بهذه الآلة والصناعة الراقية مدى تقدم العرب المسلمون وتطورهم في علم الميكانيكا أو ما يسمي بعلم الحيل الهندسية. أما ما يتعلق ببقية الهدايا فالهدف الواضح منها هو توثيق الصلات الودية بين الدولتين. والتباهي بغرائب وعجائب كلا الدولتين أمام الأخرى وإتحافها بها.

_ اختار الإمبراطور شارلمان مجموعة من أفضل الهدايا إلى الخليفة هارون الرشيد وهي عبارة عن (ديباجا[1] كثيفا ارجواني اللون مطرزا بخيوط من القصب الذهبي ترمز إلى رسوم مختلفة كثر فيها النسر والعنقاء)[2]

ويعد هذا الديباج من افضل منسوجات مدينة Firse ذات الشهرة الواسعة ولعلم شارلمان بندرة نقوشها وألوانها فقد كان يتم اختيار الهدايا بواسطته، فيبعث بالغالي ثمنا منها، وهناك من يرى بأن الهدف من ذلك غمر الشرق بمنتجات الغرب بعد أن تلقى رواجا في بلا الخليفة الرشيد، خاصة وأن أسواق العرب كانت تلاقي في تلك الفترة استحسانا من منتجات الغرب[3] .

1- نسيج من الحرير، استعمل كثيرا في العصور الوسطى في الشرق لباساً للرجال، وكانت تصنع منه بخاصة كسى التشريف، اشتهرت فيما بعد في بلاط الفاطميين بالقاهرة دار لديباج وكانت تجهزه، انظر الموسوعة الميسرة، ج2، ص1137.

2- المسري، مرجع سابق، ص344.

3- المرجع نفسه، ص338.

من جهة أخرى إذا ما حاولنا تفسير الدلالة المتعارف عليها عند المجتمعات لكل من العنقاء والنسر كرسوم نقشت في الديباج، سنجد أن كلاهما طير، فالعنقاء من أعظم الطيور جثة وأكبرها خلقة، وهي كلما تعرضت للحرق بالنار تخرج أكثر قوة، واقدر على العلو والارتفاع والتسامي، إذن يرمز للأبدية والخلود القوي [1]، أما النسر فطائر يهوى التحليق عاليا ، إذن هو رمز الكبرياء والشموخ ودلالة على المبادرة والحرية ، من هنا أراد الملك شارلمان القول بان علاقات الدولتين مهما تعرضت للضغوط والمشاكل لابد أن تعود أقوى من السابق بإرادة شعبيهما ، ولا بد أن تكون علاقة خالدة ما خلدت كل منهما ، كما يذكره بأنهما يمثلان رؤوس دولتهما وحكمهما ذو الرفعة والعز والحرية التي يجب أن ينشدها كلا الطرفين لدولتيهما .كل ذلك مع تفتح الوعي البشري بالحياة المتطورة المتصلة بأسباب الحضارة في رقعة متميزة، والتعاقب في القائمين على أمر الدولتين لابد أن يكون قادرا على إغناء الحياة البشرية وبناء حضارة ونهضة واسعة الآفاق تستمد كيانها ووجودها بشكل أقوى من السابق كطائر العنقاء، ويسعون لتغيير حياة دولتيهم ومستقبلها بشكل إيجابي.

7. من جهة أخرى ونحن نتحدث عن دلائل الهدايا يلاحظ أن الهدايا قد تحمل في مضمونها ومحتواها معنى عدائياً يقصد من ورائه التهديد والتحدي لان الهدايا تعد لسان مهديها ولغته في التعبير عن ما يكمن في داخله وتحدثه به نفسه تجاه المرسل إليه، حيث يؤيد ابن الفرا المقولة

---

[1]- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، د.ط، دار الشرق العربي، بيروت، د.ت ، ص374.

القائمة في أوساط الحكماء " ثلاث تدل على ثلاث: الهدية على المهدي، والكتاب على الكاتب، والرسول على المرسل" [1].

ومن أمثلة الهدايا ذات الطابع والنية السيئة هدية أرسل بها نقفور إمبراطور بيزنطة إلى الخليفة هارون الرشيد وهي عبارة عن حزمة من السيوف ألقى بها سفراؤه أمام عرش الرشيد[2]، فكانت تلك بمثابة إعلان للحرب وكأن نقفور بذلك صرح بنيته في الحرب لأننا لو عكسنا هذا الموقف على الظروف والعلاقة التي كانت سائدة بين الدولتين خلال تلك الفترة لوجدنا أن نقفور كان معترضا على حكم ايريني لبيزنطة واستسلامها للخلافة العباسية، وبالتالي فتولي نقفور ورغبته في تبديل الصورة والوضع القائم ووقوعه تحت ضغط شعبه الثائر على سياسة ايريني الملكة السابقة من جهة، دفعه لتبني هذا الموقف، والمبادرة بإعلان الحرب والإنذار لها بهذه الهدية العدائية، فما كان من رد الخليفة الرشيد بعد فهمه لمضمون الرسالة، إلا أن رد على هديته.

أورد الماوردي " قالوا أهدى ملك الروم إلى هارون الرشيد هدايا فيها سيوف مكتوب على سيف منها أيها المقاتل استل تغنم ولا تفكر في العاقبة فتهزم وعلى الثاني إذا لم يصل سيفك فصله بإلقاء خوفك" [3].

---

[1]- ابن الفرا. مصدر سابق، ص13.

[2]- عنان، محمد عبد الله، السفارات الخلافية والسلطانية وعلائق الإسلام والنصرانية، مجلة الرسالة، القاهرة، ع88، 1935م، ص369.

[3]- الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، نصيحة الملوك، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1983م، ص275-276. نوري، مرجع سابق، ص346.

إن الماوردي لم يحدد المؤرخين الذين ذكروا ذلك واكتفى بقوله قالوا، ويبدو أن هناك تقارباً بين هذه الهدية المطروحة على الخليفة الرشيد وهي السيوف، مع هدية للإمبراطور نقفور أيضا للخليفة الرشيد المتمثلة في حزمة السيوف، وقد تكون هي نفس الهدية وإمبراطور الروم المقصود في الرواية الثانية هو نقفور المذكور في الأولى، كذلك فإن المعنى والدلالة التي تحملها كلا الهديتين حربية، وكأنها تود إيصال فكرة معينة بصورة غير مباشرة، فيها تحريض على الحرب، مستخدما حسب الرواية الثانية، ألفاظا كتبت على السيوف ولسان حال مرسلها يقول: نحن هذه السيوف التي سوف تصلك قبل أن تصلنا فالرعب والخوف لا يعرف له مكانا في قلوبنا.

إن عبارة " **أيها المقاتل استلّ تغنم ولا تفكر في العاقبة فتهزم** " أراد بها الإمبراطور تذكير الخليفة بأنه رجل حرب وقتال لا يجب عليه الجلوس على عرشه ينتظر ما يصله من استسلام وخضوع الآخرين، بتقديم الجزية أو الضرائب وإنما النهوض لأخذ ما يريد بقوة السيف لامتناعهم عن دفع الجزية – وفقا لحوادث وظروف تلك الفترة – دون أن يترك لنفسه مجال التفكير في العواقب المترتبة على ذلك. لأن نقفور على اعتبار انه المرسل لا تهمه خسارة أو هزيمة الرشيد بقدر ما يهمه وصول أسلوبه الاستفزازي إلى الخليفة الرشيد. أما العبارة الثانية فهي أسلوب ضغط يهدف إلى التقليل من شأن وقوة الخليفة الرشيد إن لم يتقبل مواجهة نقفور بالحرب، وهي عبارات كافية لإثارة الغضب في نفس الخليفة بشكل يحفزه على النهوض للحرب والثأر من خصمه الذي يتهمهم بالجبن والخوف.

8. من الجدير بالذكر أن الخليفة الرشيد يتعامل بدبلوماسية قادرة على وضع الأمور لصالح الخلافة العباسية حتى في احلك الظروف السياسية وأقساها مع خصومه، فبالأمس كان نقفور

البيزنطي يتحدى الرشيد ويطالبه بمواجهة عسكرية حربية يكون فيها السيف الفاصل بينهما واليوم بعد هزيمته من قوات الخلافة العباسية نجده يتذلل ويلتمس من الخليفة الرشيد أستعادة امرأة كانت قد خطبت لابنه، وقعت في اسر العرب أثناء القتال، فما كان من الخليفة الرشيد إلا أن استجاب لطلبه ليس رهبة وإنما لإبراز تعالي وعز الإسلام وأهله عن الملذات الدنيوية ومبادرة العرب بالسلم الذي ينادون به، وهو بذلك أفضلية الإسلام الذي يبادر معتنقوه بالسلم[1].

لم يكتف الخليفة بذلك وإنما أضاف إلى تنازله عن المرأة دون مقابل هدايا أخرى تمثلت في(عطور، وتمور، وزبيب، وأخبصة)[2] ، والدلالة التي تحملها هذه الهدية هي تفاخر الرشيد بمنتجات بلاد الإسلام وما تزخر به مستودعات دار الخلافة العباسية، خاصة أن الدلالة المتعارف عليها عن التمور هي عموم الخير والبركات وإعلام نقفور بان دار الخلافة العباسية لا تفعل ما يلتمسه منها الآخرون خضوعا وإنما ما ترغب هي فيه ثقة وزيادة على ما هو متوقع منها، فكانت هذه الهدية بمثابة الضربة التي وجهت لنقفور ليعلم كيف هي أخلاق دار الإسلام.

9. تركت الهدية العباسية أثراً طيباً في نفس نقفور حدا به إلى إرسال هدية عبارة عن (وقر دراهم إسلامية على برذَوْن[3] كميت كان مبلغه خمسين ألف درهم، ومائة ثوب ديباج، ومائتي ثوب بزيون[1]، واثنا عشر بازيا[2]، وأربعه من كلاب الصيد، وثلاثة براذين)[3].

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص321-322. الخضري، محمد بن عفيفي، الدولة العباسية، د.ط، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، 1989م، ص128.

[2]- جمع خبيصة وهي المعمول من التمر والسمن. الفيروز ابادي، القاموس، ج2، ص440. الطبري، مصدر سابق، ج8، ص321-322.

[3]- برذون هو دابة وجمعه براذين وهو من فصيلة الخيل، انظر ابن منظور، مصدر سابق، ج1، ص370.

إن إرسال النقود تعد بمثابة الاعتراف بالهزيمة من جانب نقفور، والأثواب مما برعت به دول أوروبا، كذلك نستطيع أن نرى أن مسألة التهادي بالحيوانات كانت منتشرة بين الدول فالبزاة التي كانت من ضمن الهدية لا تعني مجرد طائر كاسر أرسل إلى خليفة المسلمين يمكن أن ينظر له من جانب إيجابي، ينقل دليلاً حضارياً لطيفاً يعكس مدى اهتمام دول أوروبا باقتناء الطيور وهذا بحد ذاته يساعد على تلطيف العلاقات بين الخلافة العباسية والملك البيزنطي مما يؤكد الأثر الطيب لهذا الأسلوب الدبلوماسي، ومن جانب آخر يعد رمزا للقوة، وان كان ما فعله نقفور فيما بعد من نكث بالعهد لا يؤيد فكرة تحسين علاقته بالدولة العباسية.

10. حرص خلفاء الدولة العباسية على ما كان يقدم إليهم من هدايا قيمة يتم توارثها والاهتمام بها، من ذلك أن بعض ملوك الهند أهدوا هارون الرشيد هدايا جليلة من جملتها قضيب زمرد أطول من الذراع، وعلى رأسه تمثال طائر من ياقوت احمر، قوّم هذا الطائر على حدته بمائة ألف دينار، فوهبه لام جعفر زبيدة بنت جعفر زوجته وانتقل منها للامين بالله ثم إلى أخيه المأمون حتى صار للمعتصم بالله الذي عرضه في أحد الأيام على جلسائه وندمائه يستوضح منهم مصدره فأجابوه بلا، إلا أن عبد الله بن محمد الأمين ذكر مصدره وتسلسل انتقاله من شخص لآخر، وذكر بأنه قد أعطي لأبيه الأمين وهو صبي وأنه كان على رأس القضيب طائر ياقوت

---

[1]- بزيون بالضم للسُندس وهو رقيق الديباج، انظر ابن منظور، المصدر نفسه، ص402.

[2]- البازي هو أشد الجوارح تكبراً وأضيقها خلقاً، انظر القزويني، العجائب، ص359.

[3] - الطبري، مصدر سابق، ج8، ص321-322. الذهبي، العبر، ج1، ص236-237.

قيمته مائة ألف دينار رغم انه لم يره لحظتها كما يتذكره ووصفه حتى توعد المعتصم بقتل الخُزّان[1] إن لم يحضروه من ساعته فجاءوا به إليه[2].

يتضح لنا من هذه الرواية عدة أمور منها :

أ) إن مسألة مهاداة ملوك الهند للخليفة هارون الرشيد تدل على أن العلاقة بين الدولتين طيبة .

ب) إن تواترها على لسان عبدالله بن الأمين دليل على صدق وقوعها، ودليل آخر على الاستذكار الطيب من قبل أبناء الخلفاء لتلك العلاقة.

ج) إن هذه الهدايا كانت تعد بمثابة التراث الذي لابد أن يتناقلها أفراد الخلافة العباسية مع ضمان بقائها في حدود دار الخلافة، وهذا معناه أن الهدية قد تكون شخصية لا تدخل ضمن خزينة الدولة.

د) حرص الخليفة المعتصم بالله الشديد على المحافظة على هذا التراث وعلى بقائه كما كان دون تغيير أو نقصان .

هـ) إن هناك مكاناً خاصاً يتم فيه الاحتفاظ بالهدايا التي تصل إلى الخليفة وان هناك قائمين وحراساً يشرفون عليه، وتستوجب فيهم الأمانة.

و) إن الهدية في حد ذاتها مثلت دولة طالما تباهت بخيرات بلادها من الياقوت وغيره، وقد يرمز القضيب المزين والمزخرف بالجواهر وما غلا ثمنه، بكرسي الخلافة أو عمود الحكم وأساس الملك وكأن الملك المرسل أراد بذلك بيان عظمة حكمه الذي تحيط به الخيرات وتتقل به الثروات

---

[1]- يقصد بهم الخزنة أو القائمين على حفظ ما في خزينة الدولة أو الخليفة.

[2]- القرماني، مصدر سابق، ج3، ص270. عبد اللطيف، مرجع سابق، ص131-132.

القيمة، وقد يكون المعني بالأمر في هذه الحالة الخليفة الرشيد بملكه إعظاماً له ولمكانته في عيني ملك الهند، أو تباهي ملك الهند بنفسه وملكه وخيرات بلاده.

ز) عمق العلاقات الودية الاجتماعية مع ملوك الهند.

11. تلقى الخليفة عبد الله المأمون هدية من ملك التبت بعد إسلامه على أن يبعث بها إلى الكعبة، وكانت الهدية عبارة عن (صنم من ذهب كان يعبده قبل إسلامه، وكان الصنم في صورة إنسان، وعلى رأس الصنم تاج من الذهب، مكلل بخرز الجوهر، والياقوت، الأحمر والأخضر، والزبرجد، وكان على سرير مربع مرتفع من الأرض على قوائم، والسرير من فضة، وكان على السرير فرشة الديباج، وعلى أطراف الفرش أزرار من ذهب وفضة مرخاة بالأزرار على قدر الكرين في وجه السرير)[1].

نخرج من تفاصيل الهدية التي تلقاها الخليفة المأمون بعدة أمور منها :

أ) تعد الهدية مشروطة من قبل ملك التبت إلى المأمون لكونه قد بعثها قاصدا بها الكعبة.

ب) كانت الهدية تمثل ملامح حضارة بلاد التبت وما كانوا عليه من الديانة.

ج) رغبة ملك التبت إن كان هو من اشترط أن تكون الهدية للكعبة في إظهار انتصار وعز الإسلام وإذلال الشرك والكفر ، واكتساب الإسلام لهذه المفاخر.

---

[1]– ابن دحية ، أبو الخطاب عمر بن أبي علي، كتاب النبراس في تاريخ بني عباس، تعليق مديحه الشرقاوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2001م، ص50. أبو الطيب الفاسي، محمد بن احمد بن علي (ت832هـ/1428م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، د.ط، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج1، ص116-117.

د) لم يقدم الإمبراطور إلى الخليفة المأمون صنم الذهب إلا بعد معرفته بالدين الإسلامي وتحريمه عبادة أي شي غير الله تعالى، كما يحرم اقتناء الأصنام ، وللخليفة أن يأمرّ باستغلال الذهب المصنوع منه ذلك الصنم في أشياء أخرى.

هـ) ضمان الخليفة المأمون إسلام شعب الإمبراطور، على اعتبار أن المؤتمين يتبعون الإمام فلابد لهم من السير وراء ملكهم في ديانته.

و) إن هذه الهدية قد تكون إشارة من ملك التبت لنشاط التبادل التجاري بين البلدين.

12. بعث ملك الهند (دهمي) إلى الخليفة المأمون هدايا عبارة عن (كتاب عرف بصفوة الأذهان، فضلا عن جام[1] ياقوت احمر، فتحه شبر في غلظ الإصبع مملوءا بالياقوت والدر –زنة كل درة مثقال وهي مائة درة – وفرشا من جلد حية تكون في وادي الديبراج تبتلع الفيل، وشي جيدها بنقط سود كالدراهم في وسطها نقط بيض لا يتخوف من جلس عليه السل؛ وان كان به سل وجلس عليه سبعة أيام برئ، ومصليات ثلاثا بوسائدها من جلد طائر يقال له (السمندل)[2] موشى إذا طرحت في النار لم تحترق فراوزها در، ومائة ألف مثقال عود هندي يختم عليها فتقبل الصورة، وثلاثة آلاف منا من كافور محبب، كل حبة اكبر من اللوزة، وجارية سندية طولها سبعة اذرع، تسحب شعرها، حسنة البشرة)[3].

---

[1]- يقصد به الصندوق.

[2]- السمندل طائر مجهول أو خرافي بالهند لا يحترق بالنار. انظر الجوهري، مصدر سابق، ج1، ص615. وانظر الشذر، طيبة صالح، الألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، د.ط، دار قباء لطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص541.

[3]- ابن دحية، مصدر سابق، ص52.

13. رد الخليفة المأمون على هذه الهدايا بهدايا أخرى حيث أرسل كتاب بعنوان (ديوان الألباب وبستان نوادر العقول بالإضافة إلى جام زجاج فرعوني غلظه إصبع، وفتحة شبر ونصف في وسطه صورة أسد نابت وأمامه رجل برك على ركبتيه، وقد أعرق السهم في القوس نحو الأسد، كذلك أرسل فرسا بفارسه وجميع آلاته من عقيقا، ومائدة جزع فيها خطوط سود وحمر وخضر على أرض بيضاء، فتحتها ثلاثة أشبار، وغلظها إصبعان، قوائمها ذهب، وثمانية أصناف فيها مائة قطعة من كل صنف، بياض مصر، وخز السوس، ووشي اليمن، وملحم خراسان، والديباج الخسرواني، وفرش قرمز، وفرش سوسنجرد، ومائة طنفسة [1]حيرية بوسائدها) [2].

ويمكننا أن نستنتج من تبادل الهدايا بين ملك الهند دهمي والخليفة المأمون:

أ) إن على رأس هدايا كل طرف للطرف الآخر قيمة علمية يتفاخر بها كلا الجانبين حيث يبرز اهتمام الجانب الهندي والجانب العباسي بالناحية العلمية والثقافية في تبادل الكتب كهدايا، وبشكل خاص نعلم ما للخليفة المأمون من صدى واسع في كتب التاريخ والأدب عن اهتمامه بالعلم، وبذله الأموال الكثيرة في سبيل الحصول عليه، والتعرف على الحضارات الأخرى والاستفادة منها، وما ألفه علماؤها مما يفيد ديار الإسلام في الوقت نفسه، كما يعكس الاهتمام المماثل من جانب ملك الهند كون المبادرة الأولى جاءت من طرفه هو وليس من طرف الخليفة المأمون.

ب) تفاخر الهند بعلومهم التي تحتويها كتبهم وعدم تعاليهم عن الإفادة والاستفادة في علاقاتهم مع الدولة العباسية ، وبالتالي تحقيق صلات حضارية راقية بين الطرفين.

---

[1]– البسط والثياب والحرير من سعف عرضه ذراع، الزبيدي، مصدر سابق، ج4، ص181.

[2]– ابن دحية، مصدر سابق، ص53. قارن مع أطهر المباركبوري، مرجع سابق، ص44-47.

ج) إن ما قدمه ملك الهند من العود والذهب إنما هي من حاصلات بلاده ويؤكد المسعودي ذلك بقوله " أما مملكة دهمي فحاصلاتها العود والذهب والفضة "[1].

د) إن ما قدمه الخليفة المأمون إلى ملك الهند كان مضاعفا بشكل يدل على مدى اتساع ثروات بلاد المسلمين وغناها.

هـ) إن الشكل الذي اتخذته هدية الخليفة المأمون إلى الملك دهمي والمتمثلة في الأسد والرجل الراكع وهو مسدد للسهم في صدر الأسد إشارة ودلالة على أن المسلمين حريصون أشد الحرص للدفاع عن أنفسهم ودينهم وبلادهم .

و) أما الهدية المتمثلة في الفارس وآلاته المصنوعة من العقيق قد تحمل دلالة العزة لدار الإسلام وإنه وعلى الرغم من أن دار الخلافة في بغداد بدأت قوية، إلا أن المشاكل التي قد تحيط بها كالخطوط المتعددة الألوان والمتفاوتة في حدتها وصعوبة إيجاد الحلول لها تزيدها قوة لأنها تقف على أساس ثابت وقوي.

ز) إن تعدد مصادر الهدايا التي أرسلت إلى ملك الهند دهمي من مختلف الولايات مثل خراسان والحيرة واليمن وغيرها، يبرز براعة وشهرة هذه الولايات في صناعتها، ويعد ذلك ترويجا لمنتجات العالم الإسلامي.

14. إعتاد خلفاء بني العباس الإجابة على كل هدية تصلهم سواء أكان الهدف منها إيجابي أو سلبي لان الهدية أحيانا تكون اختباراً يمتحن بها صاحبها والمقدمة إليه بشكل أكبر؛ لأنه إما أن

---

[1]- المسعودي، مروج، ج1، ص171. العسكري، سليمان إبراهيم، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، د.ط، مطبعة المدني، القاهرة، 1972م، ص156.

يرد عليها بمثلها أو بأرقى منها ومن ذلك أن إمبراطور الروم أهدى للخليفة المأمون هدية فيها مائتا رطل مسك ومائتا جلد سمور فقال الخليفة : " أضعفوها له ليعلم عز الإسلام ".[1] وقد تصرف الخليفة المتوكل كذلك بنفس الأسلوب تجاه هدية إمبراطور الروم[2].

15. بعث إمبراطور الروم تيوفيل إلى الخليفة المعتصم سفيراً يحمل معه هدية، وقد ذكر إمبراطور الروم نوعها في صلب رسالته للمعتصم، وكانت الهدية عبارة عن (أربعين ثوباً من الديباج المذهب طول كل ثوب منها أربعين ذراعا في عرض عشرين)[3].

نخرج مما سبق بما يلي:

أ) أن هدايا ملوك الروم غالبا ما تذكر في صلب الرسالة من حيث نوعها وما هو وارد وفقا للرواية المذكورة.

ب) يتوقف قبول الهدية في حالة الحرب على بعض الأمور منها مدى لباقة السفير في عرضه فبعض الهدايا تفقد معناها إذا ما أساء تقديمها وعرضها بالشكل الصحيح.

ج) إن الدلالة التي تحملها الهدية قد تشير إلى الرغبة في تهدئة الأوضاع وتلطيف الجو المشحون بين مملكة الروم والخلافة العباسية.

16. أرسل الخليفة المتوكل إلى إمبراطور الروم في عام (246هـ/860م) هدية عبارة عن (نحو ألف نافجه[4] مسك[1]، وثياب حرير وزعفران كبير وظرائف) وقد أعلن الإمبراطور قبوله للهدية

---

[1]- السيوطي، مصدر سابق، ص368.

[2]- اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص345.

[3]- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص64. ابن الفراء، مصدر سابق، ص68. إبراهيم، مرجع سابق، ص92.

[4]- كلمة فارسية معرّبة وهي كالآلة يوضع فيها المسك. انظر الجوهري، مصدر سابق، ج2، ص592.

بعد أن ترجم له الثلاثة تراجمه ما قاله السفير وبعد أن ارتضى مهارة وكياسة السفير في عدم إطناب المترجمين على كلامه أو الزيادة فيه[2].

إن دلالة الهدية هنا تعطي معنى الرغبة بالمسالمة، خاصة أن الخليفة المتوكل واجه العديد من المشاكل والأزمات التي كانت تدفعه في كثير من الأحيان إلى الحروب، ثم إن المسك في اغلب الأحيان دلالة على طهارة الروح والنفس ثم أن وجود مثل هذه الروائح الطيبة المتمثلة في المسك والزعفران يهدئ انفعال النفس البشرية فكأن الخليفة المتوكل أراد بذلك إظهار حسن النية وطهارة نفسه من جهة الروم، كذلك تعد هذه الهدية جزءا من خيرات بلاد المسلمين التي أخرجت من مستودعاتها لتكون هدية لإمبراطورية الروم. كذلك إن قبول الهدية كما ورد في الرواية يتم قبل بدء السفير بطرح موضوع السفارة، حيث يعتبر الأسلوب الراقي في عرض الهدية مرآة طيبة لتحقيق هدف الرسالة.

17. وقد ورد أنه " مما اهدي للبد الحرام من هذا القبيل في عهد الازرقي[3] أو بعده بقليل طوق من ذهب مكلل بالزمرد والياقوت وغير ذلك من ياقوتة خضراء كبيرة ذكره الفاكهي لأنه قال واسلم ملك من ملوك السند[4]

---

[1]- من الطيب فارسيّ معرب كانت العرب تسمه المشموم، وهو من أقوى الأشياء العطرية له خاصية غريبة في تقوية القلب وإزالة الحزن والفزع، انظر الجوهري، مصدر سابق، ج2، ص496. وانظر جهامي، مرجع سابق، ج2، ص1399.

[2]- سالم، مرجع سابق، ص224.

[3]- هو الإمام أبو الوليد الازرقي صاحب كتاب أخبار مكة. الازرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ط3، بيروت، دار الأندلس، 1983م.

[4]- ناحية بين الهند وكرمان وسجستان. انظر القزويني، مصدر سابق، ص94.

في سنة تسع وخمسين ومائتين فبعث إلى الكعبة بطوق من ذهب فيه مائة مثقال مكلل بالزمرد والياقوت والألماس وياقوتة خضراء وزنها أربعة وعشرون مثقالا فدفعها إلى الحجبة وجعلوها في سلسلة من ذهب وجعلوها في وسط الطوق ما قبلة الياقوت والزمرد فجاء الكتاب من أمير المؤمنين بتعليقها مع معاليق الكعبة في سنة تسع وخمسين ومائتين"[1].

على الرغم من أن هذه الهدية لم تكن مبعوثة إلى دار الخلافة العباسية بغداد مباشرة، إلا أنها جاءت من طرف طالما سطر التاريخ علاقاته الودية وتبادله للهدايا مع الخلفاء العباسيين، فهي هدية من أحد ملوك الهند الذين اسلموا واعتنقوا الدين الإسلامي بفضل علاقاتهم السابقة مع الخلفاء، أو بسبب تبصير العرب لهم بالدين الجديد.

نلاحظ كما ورد في ذكر التفاصيل حول هذه الهدية أنها قدمت في عهد الإمام الازرقي الذي عاش في القرن الثالث الهجري، وأنها جاءت بالتحديد في سنة تسع وخمسين ومائتين، وان أمير المؤمنين وصل كتابه الذي احتوى على أمر اتخذه للتصرف بالهدية وهو تعليقها مع معاليق الكعبة ومن ذلك يمكن أن نستنتج:

أ) إن السنة التي أرسلت فيها الهدية هي عام (259هـ/872م)، وتتوافق هذه السنة مع عهد الخليفة العباسي أبو العباس احمد المعتمد على الله الذي حكم (256-279هـ/870-892م)

ب) ورود اسم أمير المؤمنين يقصد به خليفة المسلمين العباسي لان المنطقة بأكملها كانت تحت سلطان بني العباس، والدليل على ذلك أن الأمر بالتصرف فيها قد جاء بأمر وبرسالة من أمير المؤمنين.

---

[1]- أبو الطيب الفاسي، مصدر سابق، ج1، ص117. أطهر المباركبوري، مرجع سابق، ص286.

ج) أن الهدية قصد بها مكان مقدس وهو الكعبة تعبيراً عن الامتنان من جانب ملك الهند الذي اسلم، ورغبة منه في تقديم رمز طيب لها.

د) تحمل الهدية في مضمونها الرغبة بتوثيق أواصر الصداقة مع الخلافة العباسية ليس فقط في مركزها وإنما في الأماكن المقدسة الواقعة تحت سلطانها وهي تعبر عن امتنان وشكر حمله ملك الهند في صدره، تجاه المكان المقدس الذي أراد أن يشارك في إكرامه وإضفاء لمسة طيبة من قبل بلاده علي فما احتوته الهدية هو بعض مما تزخر به مستودعات وأراضي بلاد الهند من الخيرات والنعم.

هـ) أما الطوق المكلل بالزمرد والياقوتة الخضراء الكبيرة فهو تعبير عما يحيط الكعبة المقدسة من الكرامات، ويرمز ما حولها إلى قيمتها وأهميتها وقداستها التي تشع منها إيمانا كما يشع الحجر الكريم.

18. أهدى يعقوب بن الليث الصفار حاكم خراسان، إلى الخليفة المعتمد على الله هدية من جملتها مسجد فضة برواقين يصلي فيه خمسة عشر إنسان، ومائة منّ مسكاً، ومائة منّ عوداً.

أما عن المُهدي فهو أبو يوسف يعقوب بن الليث الصفار (ت265هـ/879م)، مؤسس الدولة الصفارية بخراسان ، وقد حكم(254-265هـ/868-879م)، استولى على سجستان (247هـ/ مــ)، وتغلب على الترك فهابه الأمراء، وبسط حكمه على كرمان وشيراز وفارس واستولى على نيسابور عام (259 هـ/872مــ)، هاجم بغداد فهزمه الخليفة المعتمد بقيادة أخيه الموفق.

يبدو أن السنة التي أرسلت فيها الهدية غير مذكورة ولكن على الرغم من ذلك نجد أن قيام دولة جديدة واستقلالها عن الدولة العباسية بحد ذاته يعني قيام مناوئات ومواجهات بين الطرفين وهو ما وضح لنا عندما هاجم أبو يوسف يعقوب بن الليث بغداد وواجهه الخليفة

المعتمد، ويبدو أن الهدية تهدف إلى تخفيف حدة التوتر القائم بين الطرفين. وإن كانت الهدية بحد ذاتها تثير العجب؛ لأن تقديم أي هدية يعتمد على نقلها من بلاد المُهدي إلى بلاد المهدّى إليه فكيف يتم نقل مسجد كامل من الفضة، إلا إن كان البناء من الأساس سيتم في الدولة العباسية وما يتم نقل هو المادة الخام والمعرّقة في الهدية بالفضة. كما أن هذه الهدية تحمل دلالة دينية وأخرى عمرانية، فضلا عن أن المسك والعود من الاطياب التي تقرب النفوس وتوددها إلى بعضها البعض.

19. وصل الخليفة المقتدر في عام 301هـ/913م هدايا من صاحب عمان وفيها ببغاء بيضاء ونمر اسود[1]. وأنواع من القرود جاءت في سلاسل عظام، وكان في القرود لحى وسبال كبار وشيوخ وشبان، شديدو الشبه بالإنسان[2].

إن مسألة التهادي بالحيوانات أمرا مألوفا بين ملوك الدول، وهذا يعد إظهارا للثروة الوطنية التي تحتويها تلك الدول، وهذا بدوره يعكس ما تزخر به تلك الدول ويقوي علاقاتها بالدول الأخرى.

20. في سنة 305هـ/917م وصل الخليفة المقتدر من صاحب عمان أحمد بن هلال سفيراً يحمل هدايا وفيها أنواع من الطيب ورماح وطرائف من طرائف البحر وطائر أسود يتكلم بالفارسية والهندية، وهو افصح من البغبغاء، وضباء سود[3].

---

[1]- المسعودي، مروج، ج1، ص196. ابن الجوزي، مصدر سابق، ج7، ص439.

[2]- المسعودي، مروج، ج1، 197. العسكري، مرجع سابق، ص165.

[3]- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج8، ص8. العش، محمد أبو الفرج، النقود العمانية من خلال التاريخ الإسلامي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، العدد54، 1984م، ص18-19.

وتشير بعض الكتب الحديثة[1] إلى أن الخطيب البغدادي قد ذكر ورود سفير عماني من صاحب عمان احمد بن هلال إلى الخليفة المقتدر في بغداد عام 305هـ/917م، وعندما راجعنا الخطيب وجدنا انه قد ذكر أبو جعفر محمد بن هارون الضبي[2]، إلا انه لم يشر إلى انه كان سفير أحمد بن هلال إلى الخليفة المقتدر، ولا نعلم علامَ تم الاعتماد في ذلك، ويبدو انه قد تم الجمع بين وصول الهدية للخليفة من صاحب عمان عام 305هـ/917م، وبين اتجاه محمد بن هارون من عمان إلى بغداد في نفس العام، لذلك اعتبرته بعض المصادر على انه السفير العماني الممثل لأحمد بن هلال في البلاط العباسي[3].

أما عن الهدايا فهي تحمل معنى الافتخار والرغبة في اطلاع الدولة العباسية على عجائب وطرائف عمان، وهذا أيضا من باب إعمال المكانة لعمان في نفس خلفاء الدولة العباسية.

21. يبدو أن العلاقات العباسية الكارولنجية لم تقتصر على عهد الخليفة الرشيد والملك شارلمان والدليل على ذلك أن ابن الزبير يشير في مؤلفه الذخائر والتحف إلى هدايا قيمة بعثت من قبل حفيدة شارلمان الملكة برتا بنت الاوتاري إلى الخليفة المكتفي بالله عام 293هـ/906م، وكانت عبارة عن (خمسين سيفاً، وخمسين ترساً، وخمسين رمحاً فرنجية، وعشرين ثوباً منسوجة بالذهب، وعشرين خادماً، وعشرين جارية، وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع، وسبعة بزاة،

---

[1]- أبو عزة، عبد الله. الخليج العربي في العصر الإسلامي دراسة تاريخية وحضارية، مكتبة الفلاح، ط1، الكويت، 2001م، ص152-153.

[2]- الحموي، معجم الأدباء، ج3، ص58.

[3]- الخطيب البغدادي، أبي بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463 هـ، د.ط، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د.ت، ج14، ص33

وسبعة صقور، وعشرين ثوباً معمولة من صوف معمول من وبر حيوان يخرج من قعر البحر، يتلون في كل ساعة من ساعات النهار، وثلاثة طيور تكون ببلاد الفرنجة إذا نظرت إلى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحاً منكراً، وصفقت بأجنحتها حتى يعلم ذلك، وخرز تجتذب النصول بعد بناء اللحم عليها بغير وجع).[1]

وعلى الرغم من أن هناك إشارة إلى أن الهدية لم تصل إلى الخليفة- دون أن يرد سبب لذلك- إلا أننا نستطيع أن نخرج من هذه الهدية بدلالة واحدة، ألا وهي أنها هدية إيجابية، هدفت إلى استجلاب مودة الخليفة وإكرامه، كما تعد رغبة صريحة بتعزيز واستمرار أواصر الصلات التجارية والعلاقات الطيبة مع الدولة العباسية والتي كانت قائمة سابقا منذ عهد جدها الملك شارلمان.

22. كذلك وردت إلى الخليفة الراضي أبو العباس احمد (322-329هـ/934-940م) هدية رومية من الإمبراطور البيزنطي رومانوس[2]، ذكرت في نص الرسالة التي حملها السفير مع طلب التماس الصلح والهدنة والفداء وكانت تتكون من (ثلاثة أقداح من ذهب مجرى فيه الجواهر، وجرة قدسية مذهبة مجرى فيها الجوهر، وجرة أخرى فضة، لها أذنان، مذهبة، مرصعة باللؤلؤ وألوان الجوهر، صندوق صغير فضة ذي ثمانية أركان، مذهبة، مجرى فيها الجوهر، وغطاؤه مستطيل مرصع بالجوهر واللؤلؤ، ثلاث عمائم قز، منقوشة الأطراف بالذهب، سكّينان نصبهما جوهر، مغرقة باللؤلؤ والجوهر، وغلافهما مرصع بزمرد ولؤلؤ سواد، والقراب ذهب مغرق

---

[1]- مصدر سابق، ص48 – 52. القرماني، مصدر سابق، ج3، ص270. المسري، مرجع سابق، ص342.

[2]- إمبراطور روماني صاهر الإمبراطور قسطنطين، للتفاصيل انظر العريني، مرجع سابق، ص199.

باللؤلؤ، سبع سفر ديباج، عشرة أثواب حمر سقلاطون، وعشرة أخرى بنفسجية، وخمسة ملونة، وعشرين مخططا، أربع فروات الأولى تسمى كبك، والثانية ثعلب ابيض، عشرة أثواب سندس، عليها صور مختلفة)[1].

لا يمكننا تجاهل ما ورد من إشارات حول تبادل الهدايا القيمة ما بين الخلفاء العباسيين وملوك وأباطرة الدول الأخرى مثل الهدايا التي أرسلها الخليفة المنصور إلى الملك بيبين القصير[2]، والتهادي الذي ذكر من الإمبراطورة ايريني إلى الأمير الرشيد بالتحف الملوكية سنة (165-166هـ/782م)، وكذلك هدايا إمبراطورة الروم تيودورا إلي الخليفة المتوكل[3]، أو ما تورده فيها بعض المراجع التي اطلعت على مخطوطات تتحدث عن تاريخ السندباد، والتي أورد فيها قيامه بدور وسيط تجاري يحمل الهدايا المتبادلة بين الخليفة هارون الرشيد وحاكم الهند في جزيرة سرنديب[4]، وكل ذلك نجده له في المقام الأول دلالة واضحة على استخدام الهدايا كوسيلة تودد بهدف الوصول عن طريقها إلى أهداف عديدة ومتنوعة قد تخدم الجانب السياسي من حيث توثيق علاقة أو إنشاء تحالف، وقد تخدم الجانب التجاري في الترويج للمنتجات الوطنية النفيسة والتباهي بها وتسهيل أنشطة التبادل التجاري بين الدولتين.

---

[1]- ابن الزبير، مصدر سابق، ص60-65. المنجد، مرجع سابق، ص128.

[2]- التابعي، محمد السفير، السفارات في الإسلام، د.ط، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997م، ص58.

[3]- مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص575-576.

[4]- القوصي، عطية، تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، د.ط، الكويت، وحدة البحث والترجمة، 1980م، ص17.

وفي الختام يمكن القول أن الهدايا المرسلة لم يكن اختيارها من قبل الملوك أو القائمين على الأمر جزافا، وإنما كانت تختار بحرص شديد، أولا لما تحمله هذه الهدية من معنى يود المرسل إيصاله إلى المرسل إليه، ثانيا لأنها بلا شك تدل على مكانة المرسل إليه عند المرسل منه إن كانت عظيمة أو ذليلة، هذا فضلا عما قد تحمله الهدايا في بعض الأحيان من الندرة واللطافة في ديار المرسل مما قد يثير انبهار وعجب مشاهديها في بلاد المرسل إليه، وبالتالي يعطي صورة واضحة عن الخيرات والعجائب التي تزخر بها تلك البلاد، وكأن الهدية في هذه الحالة تمثلا عاملاً حيوياً وأساسياً في الدعاية والإعلام للبلاد مصدر الهدايا، خاصة إذا أحسن اختيارها.

كذلك يتضح لنا مدى العلاقات القائمة بين الدول آنذاك ومدى ما تتمتع به الدولة المرسلة من غنى أو فقر والتي تظهر بقيمة الهدية، كما تعطينا الهدية فكرة جيدة عن القوة السياسية التي وصلت إليها الدولة المرسلة خاصة إذا كانت الهدية تحمل معنى التحدي أو الرغبة بالمواجهة العسكرية، أو التقليل من شأن الدولة المرسل إليها، بالإضافة أو مدى الضعف السياسي والاقتصادي للدول والذي ينعكس في دلالة الهدية المرسلة، كذلك يمكن من خلالها إبراز حسن علاقة الصداقة وأواصر المودة بين الدول من جهة، كما تخدم المصالح التجارية والاقتصادية من جهة أخرى.

الفصل الثالث

أغراض السفارات

من الأمور المسلم بها أن مسألة تبادل السفارات الدولية لا تكون إلا في ظل استقرار وسلام تنعم به هذه الدول، وبالتالي فإن حل المشاكل الداخلية لأي دولة لابد أن يكون مقدماً على علاج المشاكل الخارجية، حتى تأمن الدولة زوال الخطر من داخلها، وتضمن حصانة أجهزتها الداخلية التي قد تكون عامل بناء كما قد تكون عامل هدم، وبالتالي تتفرغ لمناوئة أعدائها في الخارج بشتى الوسائل التي تجدها ضرورية، والتي قد تكون من ضمنها استخدام الدبلوماسية السياسية بإرسال سفاراتها وتهدئة الأوضاع، أو تغيير المواقف العدائية إن أمكن ذلك.

إلا أن الدول قد تضطر إلى تبادل السفارات مع أعدائها وهي في قمة مراحل حروبها معها لإحلال السلام المرغوب، من هنا يبدو أن كل دولة تختلف في أسبابها ودوافعها حول تبادل السفارات مع غيرها من الدول، وإذا ما تأملنا وضع الخلافة العباسية خلال فترة الدراسة وأردنا التوصل إلى الدوافع والأسباب التي دفعتها في أغلب الأحيان إلى تبادل تلك السفارات سنجدها عديدة ولا تقع تحت نطاق واحد فهي ليست اقتصادية فقط، كما أنها ليست سياسية فقط، وإنما سنجد هناك أسباباً قد تنوعت في جوانبها السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، وسنجدها تختلف في مراحل قوتها وضعفها.

إن الوضع الداخلي للدولة العباسية لم يكن مستقراً بشكل تام، فقد كانت الاضطرابات الداخلية تطل برأسها في مختلف مراحل الدولة العباسية مع اختلاف حدتها في كل عهد، فهي كما لاحظنا عندما استعرضنا الأحوال السياسية للدولة العباسية أنها كانت في شدة توترها في بداية

نشأتها، وهي لم تنطفئ أبدا وان قلت في بعض العهود، إلا أن خلفاء بني العباس وخاصة الأوائل منهم نتيجة ما امتازوا به من القوة والشدة في الإمساك بزمام الأمور كانت لهم القدرة على إخماد مثل تلك الفتن، والاضطرابات الداخلية، وتسيير أمور الدولة على أفضل ما يكون أي أنهم حققوا الجانب السلمي الداخلي بدرجة كبيرة أهلتهم لمواجهة المشاكل الخارجية من جهة، وساعدتهم على تعزيز علاقاتهم الدولية التي حققوا من خلالها نتائج كانت فوائدها على الدولة العباسية واضحة.

أما العهود اللاحقة والتي نستطيع أن نصفها بعهود الضعف، فقد كانت أيضاً لها دور هام في توجّه دولة بني العباس إلى جانب السلم وتبادل السفارات التي كان لها دوافع داخلية وأخرى خارجية.

أولاً: دوافع تبادل السفارات في الدولة العباسية:

(أ) اتساع حدود الدولة الإسلامية وترامي أطرافها شرقاً وغرباً حتى روي عن خليفتها هارون الرشيد أنه مرت به سحابة فقال لها: " أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك ". وهذا معناه أن سعة أملاك الدولة العباسية قد ضمنت حصولها على ضريبة أي ارض تهطل عليها الأمطار وينمو فيها الزرع؛ لأنها لابد وأن تكون تحت سلطانها إما بالملك أو بالتبعية، وهذا جعلها إحدى أكبر القوى السياسية التي وصلت بنفوذها إلى أواسط آسيا وسور الصين العظيم، وقد تحقق لها جل

ذلك بفضل سابقيهم من بني أمية الذين قد تركوا أغلب هذه التركة من جراء الفتوح التي اشتهروا بها[1].

(ب) وترى بعض المراجع الحديثة أن حاجة الدولة العباسية للحفاظ على ذلك الإرث وتأمين سلامة أرجائها بصورة تفوق حاجتها إلى الفتح والاستمرار فيه، خاصة مع تواجد عناصر أخرى غير عربية في كيان الدولة العباسية، والتي قد تطمع في الاستيلاء على الثروة العباسية، فيكون الضعف الداخلي معيناً للضغط الخارجي وفي غير صالح الدولة العباسية، لذلك كانت سياستهم دفاعية اكثر منها هجومية، حيث نجدهم قد نقلوا عاصمتهم من دمشق إلى بغداد ليبعدوا أنفسهم عن الدولة البيزنطية وعن خوض الحروب التي غالبا ما يكون المبادر فيها هم البيزنطيون، وعندما همت الدولة العباسية للذود عن نفسها، ووصلت بجيوشها إلى حدود القسطنطينية كما حدث في عهد الخليفة المهدي والخليفة المعتصم، لم يدفعهم الأمر إلى فتحها وضمها إلى ممتلكات الدولة العباسية، وإنما اكتفت بتأديبهم وإرهابهم وتذكيرهم بوجود دولة قوية في الشرق هدفها حماية ممتلكاتها، والحفاظ عليها[2].

(ج) يستنتج الكتاب المحدثين أن قصور اهتمام الدولة العباسية عن إنشاء أسطول بحري قوي في البحر المتوسط تقارع به أعدائها، إلى جانب تزايد قوة هذا العدو المتمثل في الإمارة الأموية في الأندلس بزعامة عبد الرحمن الداخل، الذي اتخذ من قرطبة عاصمة لدولته، وتشكيلها تهديداً

---

[1]- الربداوي، محمود، دراسات في اللغة والأدب والحضارة، القسم الأول، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م، ص285. فتح الباب، حسن، السفارات الإسلامية في عهد الدولة العباسية، مجلة الخفجي، المملكة العربية السعودية، المنطقة الشرقية، ع6، م 28، 1998م، ص23.

[2]- صقر، مرجع سابق، ص29. فتح الباب، مرجع سابق، ص23.

مباشراً لبني العباس وتحدياً لسلطاتهم في شمال أفريقيا[1]، خصوصا بعد الفشل الذريع الذي مني به الجيش العباسي الذي أرسله الخليفة أبو جعفر المنصور على أيدي قوات عبد الرحمن الداخل، والذي جعل من مسألة المواجهة الحربية المباشرة من الطرفين أمراً صعباً، فقد كانت هذه المواجهة قابلة للتحقيق بأسلوب آخر يعتمد على تقبل المبادرة السفارية من جانب حليف آخر اقرب جغرافياً للأندلس[2]، ويشترك مع بني العباس في وضع الطرف المعادي للجانبين في حالة انشغال دائم بالمشاكل، أو تهديده بالقضاء عليه إن أمكن بذلك التحالف ، فكان هذا الحليف هو دولة الفرنجة[3].

(د) الرغبة في كسب قوة دولية جديدة مثل دولة الفرنجة التي بدأت تتزعم أمم الغرب وتكتسح العالم الأوروبي بتأييد من البابوية، على حساب الإمبراطورية البيزنطية ذات العلاقة العدائية مع الدولة العباسية، والنتيجة تقليل حدة الهجوم البيزنطي على الحدود العباسية، وكان ذلك بمثابة عامل جديد ساهم في إذكاء التجاذب السياسي بين دولتين احداهما في الشرق والأخرى في الغرب، خصوصا أن المبادرة المبدئية كانت من الجانب الإفرنجي والذي بدأ في عهد بيبين القصير إمبراطور الفرنجة والخليفة أبو جعفر المنصور، واستمرت في عهود من تلاهم[4].

---

[1]- الغفاري، مرجع سابق، ص 64.

[2]- فوده، مرجع سابق، ص 24. الغفاري، مرجع سابق، ص64.

[3]- الربداوي، مرجع سابق، ص285-287. عطا، مرجع سابق، ص66.

[4]- عطية، عزيز سوريال. العلاقات بين الشرق والغرب (تجارية-ثقافية-صليبية)، ترجمة فيليب صابر سيف، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1972م، ص23. عنان، مرجع سابق، ص368.

(هـ) ظهور اتجاه ينزع نحو اللامركزية خاصة في أواخر فترة الدراسة الحالية من عهد الخلافة العباسية، يتمثل في انفصال بعض الأقطار والأجزاء عن جسم الدولة العباسية، حيث لم تعد الدولة تملك السلطة التي كانت عليها في بداية عهدها، بل تأثرت صورتها وخاصة في القرن الثالث الهجري، وبرزت في المقابل صور لدويلات عديدة، فكان ذلك دافعاً للدولة العباسية لتوسعة علاقاتها الخارجية السلمية من خلال سفاراتها ذات الاتجاهات المتشعبة في القسطنطينية، وروما، ومملكة البلغار[1]، ودولة الفرنجة، والهند، والصين[2].

(و) السعي نحو توثيق الصلات بين مركز الخلافة ببغداد وبين السلاطين والأمراء المحليين في الولايات لتقوية نفوذ الخليفة، ودعم سلطانه عند الضرورة مثل وفد الأغالبة من تونس والذي رافق سفارة الرشيد إلى شارلمان[3].

(ز) إن ما تزخر به الدول الأخرى من العلوم والفنون أثار ولع بعض خلفاء بني العباس، ورغبتهم الأكيدة في الاستفادة من أبحاث وخبرات علماء كانوا قد ألفوا الكتب في شتى مختلف العلوم والمعرفة في الدول الأخرى، فدعت الحاجة لدى الخلفاء وخاصة الخليفة المأمون إلى ترجمتها لمصلحة الدولة الإسلامية بشكل عام، وكانت السفارات هنا دافعها علمياً وثقافياً، وقد ساهمت هذه الغنيمة العلمية، والزخم الثقافي الذي حظيت به الدولة العباسية بفضل تشجيع خلفائها

---

[1]- بُلغار بالضم والغين معجمة: مدينة الصقالبة ضاربة في شمال الدولة البيزنطية وهي شديدة البرد لا يكاد الثلج يقلع عن أرضها صيفا ولا شتاءاً. انظر الحموي، معجم، ج1، ص485-488.

[2]- اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص456-457. السيوطي، مصدر سابق، 522. صقر، المرجع نفسه، ص31.

[3]- محمود، مرجع سابق، ص135.

في مبادرة الدولة الأخرى بإرسال سفاراتها للاستفادة بدورها، كما كان من قبل دولة الفرنجة التي كانت أقل مستوى إن لم تعتبر جاهلة[1].

(ح) اهتمام العباسيين بدول الشرق الأقصى، كالهند والصين، وذلك لعقد معاهدات تجارية معها من جهة، ومحاولة التعرف على أحوالها الداخلية، لأن ذلك بحد ذاته يساعد الدولة العباسية في معرفة من تركن إليه من الدول عند الحاجة إليها من جهة أخرى[2].

(ط) جانب المسالمة الذي اتبعته الدولة العباسية أخذاً بقول الله تعالى:" وإن جنحوا للسلم فاجنح لها "[3]، لذلك كلما سنحت الفرصة لعقد هدنة أو صلح أو معاهده لفداء أو تبادل الأسرى الواقعين في كلا الطرفين من جراء الحروب التي كانت تشتعل في أغلب الأوقات بين الجانب العباسي والجانب البيزنطي، أصبح أمر تحقيقها يعتمد على وجود سفراء يقومون على إتمام هذه المهام، إلى جانب السماح لهم بمعرفة أحوال الأسرى[4].

(ي) ضرورة نشر الدين الإسلامي، وهي رغبة دينية وهدف نبيل، ميز الدولة الإسلامية عن غيرها من القوى المنافسة الأخرى، وخصوصاً من وجهة نظر الروم الذين وجدوا حسن المعاملة لأسراهم في يد المسلمين أكثر مما وجدوها لدى البلغار والفرنجة، إذن فالسفارات التي نجمت في أوقات الحروب وضحت دوافع وأهداف بني العباس عند دخولهم لأراضيهم، وأظهرت الجانب الحسن في نوايا بني العباس.

1- الغفاري، مرجع سابق، ص65.

2- الصيني، مرجع سابق، ص187.

3- القرآن الكريم، سورة الأنفال، آية61.

4- التابعي، مرجع سابق، ص58-59.

ثانياً: أغراض السفارات:

انتهجت الدولة العباسية دبلوماسية واضحة في علاقاتها السياسية والاقتصادية مع الدول الأخرى، ساعدتها في الدعوة إلى الدين الإسلامي، وتبادل المعرفة، والارتقاء بالجانب العلمي والثقافي على المستوى العام والخاص، ما انعكس على الجوانب العلمية والحضارية للدولة العباسية، فضلاً عن تحقيق مصالحها المشتركة مع تلك الدول.

هذا وقد كان للدبلوماسية دور فعال في تنظيم ما ينجم عن الأمور الحربية كالمفاوضات، وعقد الهدن، وفداء الأسرى، والى جانب ذلك حققت الدبلوماسية بعض الأمور الشخصية المتعلقة بخلفاء الدولة العباسية، وقد تمثلت هذه الدبلوماسية في السفارات ذات الأغراض المتعددة والتي لم تنل اهتماماً كبيراً من جهة المؤرخين، حيث اقتصرت مؤلفاتهم على ذكرها بصورة مختصرة، كما قد يتخلّلها أخطاء في التوقيت الزمني لها، حيث كان هناك تباين بين المؤرخين، إلا أننا نستطيع من خلال الإحاطة بما توافر منها وما كتب عنها أن نطرح لأهم السفارات هذه السفارات وأغراضها.

(1) التهنئة:

عادة ما تكون التهاني لأمور طيبة كانتصار، أو تولي حكم، أو فتح، أو شفاء من مرض. ومن السفارات التي قامت لغرض التهنئة سفارة الخليفة المنصور إلى الإمبراطور الصيني سوجونغ (139–145هـ/756–762م) لتقديم التهاني له بمناسبة الانتصار الذي حققه على التمرد العسكري، وقد لقيت السفارة استقبالاً حافلاً وحفاوة كبيرة اعترافاً بالجميل[1].

---

[1]– الصيني، مرجع سابق، ص38–39.

من السفارات التي هدفت إلى التهنئة بتولي الخلافة سفارة إمبراطور الروم إلى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور[1]. ولم ترد معلومات كافية عن هذه السفارة في المرجع الذي ذكرها باستثناء أن مصدره هو ابن الفرا[2]، وعندما رجعنا لابن الفرا لم نجد ما يفيد أن هذه السفارة كانت بغرض التهنئة.

كذلك ورد أنه عندما انتهى الخليفة المنصور من بناء مدينة بغداد (149هـ/766م) قدم عليه بطريق من بطارقة الروم سفيراً من عند الإمبراطور، فأمر الخليفة المنصور أحد ثقاته وهو الربيع بن الفضل بمرافقة السفير ليريه فخامة ما ابتنى، ثم طلب الخليفة رأي السفير الرومي فيما شاهد من مبانيه وممالكه، فأجابه السفير كل ما رأيت جليل نبيل، إلا ثلاثة أشياء. النفس خضراء ولا خضرة لك، والماء حياة ولا حياة لك ، وعدوك معك – يعني السوقة[3]– وكانت السوق مخالطة لقصره. فأجابه الخليفة المنصور: أما الخضرة فأني خلقت للجد لا للهزل، وأما الماء فحسبي منه ما بل الشفة وروى العطش، وأما مجاورة العوام، فما أبالي أن يطّلع على سرّي خاصتي وعامتي، فلما انصرف السفير تعقب الرّأي وتبيّنه، فعلم أن الصواب فيما قاله السفير.

---

[1]– فودة، مرجع سابق، ص145.

[2]– رسل الملوك، ص75–76.

[3]– السوقه: عوام الناس يقع على الواحد والجماعة يقال رجل سوقة ورجال سوقة، تفاصل انظر الخوارزمي، مصدر سابق، ص77.

وقد أمر الخليفة أن تُمّد قناتين من دجلة، وتُغرَس الأشجار، وتنقل السوق من داخل السور إلى الارباض[1].

ويبدو أن إمبراطور الروم المقصود هنا هو قسطنطين الخامس الذي عاصر فترة خلافة أبي جعفر المنصور، كذلك لا نستطيع أن نحدد هدف السفير من إعطاء وجهة نظره الصحيحة للخليفة المنصور الذي أظهر تجاهلاً لها أمامه، في حين أخذ بها بعد رحيل السفير، إذ لم يكن حفظ الأمن من الشغب، والتجسس في الدولة العباسية أمراً يحرص عليه السفير البيزنطي، ولعلّ السبب يتمثل في رغبة السفير تسكين نفس الخليفة وتهدئتها من جهة بيزنطة التي كانت منشغلة في حروبها مع أعدائها في أوروبا، وبالتالي لم تكن مستعدة لفتح جبهة عداء مع العباسيين[2].

ونود الإشارة إلى أن هناك آراء تفسر تصرف الخليفة المنصور عندما أمر ببناء الأسواق خارج المدينة، وانه لم يتخذ تلك الإجراءات بسبب نصيحة السفير الرومي، وان الأمر متعلق بطبيعة بغداد التي بنيت في البداية على أنها قلعه حصينة في حاجة إلى كل المستلزمات داخلها، وان التصميم قد تم على هذا الأساس، ومع مرور الزمن ازداد السكان وضاقت بهم القلعة فلم يكن بالإمكان زيادة حجم الأسواق داخلها، فبنيت الأسواق خارج سور بغداد[3].

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج7، ص653. الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ج1، ص78، 80-81. عثمان، مرجع سابق، ج2، ص397.

[2]- فوزي، الخلافة، ج1، ص348. عبد اللطيف، مرجع سابق، ص89.

[3]- الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان، المعرفة والتاريخ، تحقيق: اكرم ضياء العمري، د.ط، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1976م، ج1، ص144..نوري، مرجع سابق، ص342.

وبالتالي فإن كان الغرض الظاهري للسفارة هو التهنئة باكتمال بناء مدينة بغداد، فإن هذا الغرض كان من باب المجاملة التي تخفي بين طياتها الرغبة في ضمان أمن الجانب العباسي خلال فترة ظروف بيزنطة السيئة هذا من جهة، ومن جهة أخرى تتضح لنا دبلوماسية السفير البيزنطي في إجابته التي لقيت استحساناً من قبل الخليفة المنصور وإن لم يظهر ذلك أمامه مباشرة، وهذا يبين لنا دقة ملاحظة السفير للأمور التي قد يستغلها لصالح سفارته.

وننوه إلى أننا لا نستطيع الجزم بأن كلتا السفارتين المذكورتين في عهد الخليفة المنصور هما سفارة واحدة، وذلك لأن الأولى للتهنئة بتولي الخلافة عام 136هـ/753م، أما الثانية فقد جاءت بعد الانتهاء من بناء بغداد أي في حوالي عام 149هـ/766م، وليس من الممكن أن يتأجل هدف السفارة الأولى أربعة عشر عاماً، فإن صحّت كلتا السفارتين فقد كانا لغرض التهنئة مع الاختلاف الزمني والنوعي لها.

كذلك سفارة الإمبراطور البيزنطي إلى الخليفة العباسي المهدي ليهنئه بتوليه الخلافة سنة 158هـ/774-775م، حيث ضمت السفارة وفداً كاملاً تباسط فيه رئيس السفارة[1] مع الخليفة المهدي في الكلام، واعلمه عن سبب قدومه حيث قال له:" **إني لم أقدم على أمير المؤمنين لمال ولا غرض، وإنما قدمت شوقاً إليه والى النظر إلى وجهه، لأنا نجد في كتبنا أن الثالث من أهل بيت نبي هذه الأمة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً** ". فاستحسن الخليفة المهدي قوله، حتى أنه وافق على مطلب

[1]- كان بطريقا ويدعى طارث بن الليث بن العيزار بن طريف، كان أبوه ملكاً من ملوك الروم في أيام معاوية بن أبي سفيان. الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص92. المنجد، مرجع سابق، ص147.

البطريق الذي أدخل الربيع كوسيط فيه، وهو إمداده بخمسمائة ألف درهم ليبني بها مستغلاً[1]، بل زاد على طلبه أن أكرمه بخمسمائة ألف درهم أخرى، وأمر بإرسال الغلّة إليه إذا ما رحل إلى بلاده حتى آخر عمره[2].

يتضح أن الإمبراطور البيزنطي المعني بهذه السفارة وهو الإمبراطور ليو الرابع الذي خلف والده الإمبراطور قسطنطين الخامس سنة 158هـ/774-775م. ونلاحظ على الصعيد العباسي أن هذه السنة تمثل بداية عهد الخليفة المهدي الذي اتسم بالاستقرار والأمن النسبيين، وذلك بعد أن قضى والده أبو جعفر المنصور على الأخطار الرئيسة، وتوطيده لدعائم الدولة العباسية.

أما على الصعيد البيزنطي فنلاحظ استمرار الاضطهاد الديني، وسياسة اللاأيقونية، والنزاع على السلطة في القسطنطينية من جهة،وانشغال بيزنطة بحروبها مع الجبهة الأوروبية من جهة أخرى. بالتالي فإن قيام مثل هذه السفارة كان يصب في صالح الإمبراطور البيزنطية. ولكن هذا لا يعني غياب الفائدة التي تعود على الدولة العباسية من هذه السفارة ، وقد يكون تصرف الخليفة لغاية في نفسه تحقق فيما بعد فائدة غير مباشرة للدولة العباسية، حتى وان كان

---

[1]- المستغل قصد به البطريق مكان يصلح لبناء رحى على نهر سريع الجريان. انظر نوري، مرجع سابق، ص343.

[2]- الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ص91-92. عبد اللطيف، مرجع سابق، ص129-130.

تصرف السفير وطلبه الذي تقدم به للخليفة مما لا يجب أن يتصف به السفير.كما أننا لا ندري مدى صحة ما ذُكِرَ عن مسألة إرسال الغلّة إلى السفير في بلاده حتى وفاته.

(2) الإخبار بتولي الحكم:

تُعد مسألة تولي الحكم أمراً يستوجب إرسال السفارات إلى الدول الأخرى. ومن السفارات التي مثلت هذا الغرض سفارة يوحنا النحوي العالم الذي كان على معرفة باللغة العربية، حيث قدم إلى بغداد لإعلام الخليفة العباسي عبد الله المأمون، بارتقاء تيوفيل العرش الإمبراطوري في بيزنطة (214-228هـ/829-842م)، حاملاً معه هدايا ثمينة لإظهار البذل والسخاء[1].

وهناك بعض الآراء التي ترى أن هناك غرضاً خفيّاً آخر من هذه السفارة، ألا وهو إعادة القائد البيزنطي مانويل الذي لجأ إلى الدولة العباسية بعد هروبه من بيزنطة، ويبدو أن هروبه كان لاقترافه أمراً ما استدعى من يوحنا الاتصال السري به في بغداد أثناء سفارته، وتأكيد عفو الإمبراطور عنه، حيث أعطاه خطاب الأمان المختوم بخاتم ذهبي، فضلاً عن الصليب الذي يضعه الإمبراطور على صدره كدليل على العفو الصادر بشأنه[2].

ويبدو أن مثل هذا الإعلام يقصد من ورائه إبراز عظمة الدولة بعظمة حاكمها، وإخبار حكام الدول الأخرى بأن تعاملهم سيكون مع إمبراطور جديد قد تكون له سياسة مختلفة عمن

1- الخطيب البغدادي ، مصدر سابق، ص91. نوري، مرجع سابق، ص311-313.

2- حسن، مرجع سابق، ص121.

سبقه، هذا فضلاً عن كون هذا الإعلام منشوراً رسمياً يُلزم الاعتراف به بين الدول بمجرد الإعلام عنه.

أما ما يتعلق بالغرض الخفي للسفارة فقد تكون سياسة جديدة قائمة على الصفح والعفو ببداية العهد الجديد للإمبراطور تيوفيل، كما أن هذا القائد الذي لجأ إلى العباسيين كانت له مكانة عظيمة في البلاط البيزنطي استوجب تكليف هذا السفير لاسترجاعه بعد العفو عنه.

(3) التهديد والوعيد:

أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور سفيره عمارة بن حمزة إلى إمبراطور الروم في عام 155هـ/771م، وحمّل السفير رسالة إلى الإمبراطور تضمنت التهديد والوعيد بالخيل والرجال، فأحسن إمبراطور الروم استقبال السفير وبعث معه رسالة إلى الخليفة المنصور يطلب فيها الصلح ويعرض الإتاوة، فوافق الخليفة، ووُقّعت المعاهدة[1].

يبدو أن إمبراطور الروم المقصود في هذه السفارة هو الإمبراطور قسطنطين الخامس (123-159هـ/740-775م)؛ ولقد جاء رد الفعل الرومي هذا نتيجة الأوضاع الداخلية المتردية للإمبراطورية البيزنطية، فهي لم تكن قادرة على الدخول في حروب مع الدولة العباسية الفتية.

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص46.

وتشير رواية أرمنية إلى أن الخليفة المهدي أسفر إلى الإمبراطور البيزنطي سفيراً يحمل مكوكين من حب الخردل الأسود، بالإضافة إلى كتاب يقول فيه" سأرسل لك جيشاً بعدد الحبّ الذي تراه"[1] .

إن صحّت هذه السفارة رغم أنها لم تذكر في المصادر العربية، فمن المتوقع أن تكون من الإمبراطور البيزنطي ليو الرابع الخزري (159-164هـ/775-780م) وأنها كانت في عام 158هـ/775م لأن الخليفة المهدي قام بحملة انتقامية في العام التالي نتيجة هجوم بيزنطي سابق عليهم، وهذا يعطينا إشارة إلى تنفيذ إمبراطور الروم تهديده للعباسيين.

أرسل إمبراطور الروم تيوفيل رسولاً يحمل كتاباً إلى الخليفة المأمون عام 217هـ/832م، وكان ظاهر الكتاب طلب الصلح، إلا أن عباراته مشوبة بالتهديد، حيث قال السفير الرومي للخليفة المأمون بعد لقائه به " إن الملك يخيرك بين أن يرد عليك نفقتك التي أنفقتها في طريقك من بلدك إلى هذا الموقع، وبين أن يخرج كل أسير من المسلمين في بلد الروم بغير فداء، ولا درهم، ولا دينار، وبين أن يعمر كل بلد للمسلمين مما خربت النصرانية، ويرجع من غزواته "[2] لذلك رفض الخليفة المأمون ذلك العرض[3].

---

[1]- الأرمني، فاردان. التاريخ العام، نسخة فرنسية مترجمة بعنوان الحكم العربي في أرمينية. د.ط، نشر مويلد رمانز، باريس، 1927م، ص110. نقلا عن مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص302.

[2]- للتفاصيل انظر الطبري، مصدر سابق، ج8، ص629-630. المسعودي، مروج، ج4، ص50. الفاسي، مصدر سابق، ص496.

[3]- ابن خلدون، تاريخ، ج1، ص469. عبد اللطيف، مرجع سابق، ص104- 106.

كذلك أرسل إمبراطور الروم إلى الخليفة المعتصم بالله رسولاً يحمل كتاباً في مضمونه تهديداً ووعيداً له، فأمر الخليفة المعتصم بالله بالرد عليه بكتاب أجابه فيه بقوله " **بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار**"[1].

إن ملك الروم المقصود هنا هو تيوفيل بن ميخائيل[2]، ويبدو أن هدف الخليفة المعتصم بالله من هذا الجواب هو زعزعة الثقة في نفس الإمبراطور الرومي.

(4) الاستنجاد وطلب العون:

أرسل بعض الملوك سفارات إلى خلفاء الدولة العباسية يطلبون مساعدة عسكرية لدفع عدو خارجي أو تثبيت ملك داخلي، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى سفارة تتوافق وهذا الغرض، وهي سفارة أمير الشاش (طشقند) إلى الخليفة العباسي الأول أبي العباس في عام 132هـ/750م، يطلب منه نجدتهم من خطر النفوذ الصيني الذي يهددهم، فاستجاب الخليفة للطلب، وكلف أبو مسلم الخراساني والي خراسان بتولي المهمة، وهو بدوره كلف زياد بن صالح لمواجهة جيش الصين الذي كان بقيادة (كاوشيان كى) على نهر طراز، وحقق الجيش العباسي الانتصار لصالح أمير الشاش[3].

ولقد حقق هذا بدوره عُلواً للدولة العباسية في بداية نشأتها بين الدول الأخرى، وبدت تبرز كدولة يحسب لها حساب.

---

[1]– ابن الفراء، مصدر سابق، ص82.

[2]– انظر ابن الفرا ، مصدر سابق، ص67، حاشية (3).

[3]– الطبري، مصدر سابق، ج7، ص460 عبد اللطيف، مرجع سابق، ص82.

كما أسفر الإمبراطور الصيني (هزوان ت سنغ Hswan T sung) سفارة إلى الخليفة المنصور عام 139هـ/756م، لإنقاذ حكم ابنه (يونغ جونغ) من الثورة الداخلية التي قام بها (آن لوشان[1] Anlu-Shan) عام 134هـ/751م، فأعان الخليفة المنصور إمبراطور الصين وساعده على استرجاع عاصمته (سنيفو) و (هوننفو) من أيدي الثوار[2].

هناك شك حول قيام مثل هذه السفارة وخاصة في عهد الخليفة المنصور، حيث يشير الصيني إلى أن هذه الإشارة وجدت في كتاب (صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار) للشيخ بيرم التونسي المتوفي سنة 1889م، إلا انه لم يذكر المصدر الذي استقى منه الخبر، كما لم يذكر عدد القوات التي أرسلها المنصور.

ومن ناحية أخرى نلاحظ أنه وفقاً للظروف السيئة التي مرت بها خلافة المنصور، والاضطرابات والمشاكل التي واجهها في فترة خلافته لم تكن لتسمح للخليفة بمد يد المعونة العسكرية، وأن الثورة التي قام بها آن لوشان كانت في السنة التي تولى فيها الخليفة المنصور الخلافة أي سنة 136هـ/754م، وقضي على الثورة عام 139هـ/757م[3].

---

[1]- كان حاكما على مدينة صغيرة اسمها (يون تشو) ثم ارتقى لمنصب المحافظ بولاية (هاتونغ) عام 133هـ/750م فكثر اتباعه من التتار وبدأ يشكل خطورة على حكومة الصين، ثم دخل عاصمة المدينة عام 137هـ/754م واعلن ثورته. انظر الصيني، مرجع سابق، ص83.

[2]- عبد اللطيف، مرجع سابق، ص84.

[3] – الصيني، مرجع سابق، ص38.

في حين هناك آراء تفيد بأن تلك الثورة كانت في فترة سابقة لعهد الخليفة المنصور[1]، وبالتالي لا يمكن للجيش العباسي أن يتوزع إلى وحدات متفرقة في تلك الظروف، كما أن التضارب حول من طلب النجدة إن كان ملك الصين أو ابنه (سوت سونج SuTsung) يجعل الأمر مثار شك وتساؤل[2].

كل ما سبق لا ينفي إمكانية قيام السفارة لأن المعونة طلبت في سنة 139هـ/756م وهي سنة كان الخليفة المنصور قد فرغ فيها من مشاكله الداخلية، ولم تكن قد ظهرت مشاكل أخرى، خصوصاً إذا كان في الأمر ما يستحق كمقابل لتلك المساعدة، كما لا ينفي وجود مساعدة كبيرة للصين من العرب وغير العرب[3].

كذلك سفارة الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة عام 309هـ/921م، استجابة لطلب الأخير المتمثل في معونة وحماية الخليفة المقتدر له ولدولته، وتحصينها ضد الخزر- اليهود والوثنيين المجاورين لهم-، ولقد كانت السفارة برئاسة العالم أحمد بن فضلان[4]، ورافقه أعداد كبيرة من العلماء، والأطباء، والمهندسين، والعمال؛ لتحقيق ما طلب منها بصورة مرضية[5]

---

[1]- مصطفى، مرجع سابق، ص97.

[2]- الصيني، مرجع سابق، ص36 وما بعدها.

[3]- الصيني، المرجع نفسه. مصطفى، مرجع سابق، ص98.

[4]- انظر ملحق رقم (8)

[5]- ابن فضلان، احمد بن العباس بن راشد، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان، ط2، دمشق، 1978م، ص101.

(5) عقد الهدنة والصلح :

قال الله تعالى: " **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها** "[1] يعد هذا الأمر نتيجة طبيعية ترتبت على الحروب التي قامت بين العباسيين والبيزنطيين وما خلفته من أسرى في كلا الطرفين، كانوا بحاجة إلى إجراء مفاوضات من شأنها تخفيف حدة الصراعات القائمة بين الدولتين، وبالتالي النظر في مصير هؤلاء الأسرى من خلال خطوتين وهما عقد الهدن والتي غالباً ما يطالب بها الجانب الأضعف، و فداء الأسرى وما يتطلبه من معرفة عدد الأسرى، ومكان الفداء، والشكل الذي ستكون عليه المفاداة، وبالتأكيد فإن هذه المفاوضات كانت تتم من خلال تبادل السفراء بين الطرفين[2].

وأول هذه السفارات سفارة الخليفة المنصور التي كانت برئاسة عمارة بن حمزة، والتي عادت إلى بغداد تحمل رسالة إمبراطور الروم التي يطالب فيها بالصلح ويعرض أن يدفع الإتاوة للدولة العباسية، حيث تم توقيع المعاهدة بعد موافقة الخليفة عليها [3].

كذلك مهادنة ايريني إمبراطورة الروم للخليفة المهدي، حيث رافقت الأمير هارون الرشيد الذي كان على صائفة من قبل أبيه الخليفة المهدي عام165هـ/781م، والتي عادت إلى بغداد في عام 166هـ/782م، وكانت الهدنة تنص على ما يلي:

- تعقد هدنة لمدة ثلاث سنوات.

---

[1]- قرآن كريم، سورة الأنفال، آية61.

[2]- رشاد، عبد المنعم، أحوال الأسرى المسلمين في الدولة البيزنطية، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ، بحث غير منشور، ص1.

[3]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص46.

- تدفع الملكة ايريني للعباسيين جزية سنوية قدرها تسعون أو سبعون ألف دينار.
- تسليم جميع ما لدى الروم من أسرى مسلمين.
- إقامة الأدلاء والأسواق في طريق عودة الجيش العباسي عبر الأناضول إلى بلادهم[1].

إن توفرت لدى الإمبراطورة ايريني الأعذار التي دفعت بها للمبادرة إلى الصلح والمتمثلة كما يراها البعض في ثورة صقلية تارة، والخيانة التي منيت بها من قبل أحد قوادها (تاتزيت) تارة أخرى، والنزاع العقائدي حول عبادة الايقونات تارة ثالثة، فقد كان لذلك نتائجه الطيبة لصالح الجانب العباسي ليتفرغ الخلفاء لمواجهة الخزر الذين هاجموا المسلمين في أرمينية عام 183هـ/799م، والمشاكل الداخلية مع البرامكه[2].

سفارة إمبراطور الروم تيوفيل إلى الخليفة المأمون عام 216هـ/831م بعد دخول الأخير إلى بلادهم وشعورهم بالخطر، واقترحت السفارة الهدنة وفقا للشروط التالية وهي:

- هدنة لمدة 5 سنوات.
- الانسحاب من الحصون الرومية التي احتلها العباسيون.
- أن يدفع الروم 100 ألف دينار.
- أن يعيد الروم جميع الأسرى المسلمين ويقدر عددهم بسبعة آلاف أسير.

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص152-154. ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص66. بينز، مرجع سابق، ص361-362.

[2]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص270. مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص306-307.

وقد رفض الخليفة المأمون الصلح رغم محاولات إمبراطور الروم بسفارة لاحقة عام 218هـ/833م[1].

من الجدير بالذكر في هذا الصدد أن جنوح إمبراطور الروم إلى الصلح لم يكن لرغبته في السلام، وإنما كان لهدف آخر سعى لتحقيقه بهذه المبادرة ألا وهو توجيه قوته واهتمامه التام لاسترداد صقلية، نظراً للأهمية الكبرى التي يحتلها موقع صقلية بالنسبة للروم كحاجز يلغي وجودها، ويسد الجهة الغربية للبحر المتوسط عنها، وفي المقابل فإن رفض الخليفة المأمون مثل هذا الصلح، قد تعود أسبابه إلى الأسلوب الذي اتبعه إمبراطور الروم في مخاطبته إياه، والمشوب بالتهديد، فضلاً عن رصيد الانتصارات التي حققها الخليفة في السنوات الثلاث الأخيرة ضد الروم[2].

وقد أوفد تيوفيل إمبراطور الروم وفدا من قبله إلى الخليفة المعتصم يطلب منه المهادنة والصلح، بعدما اعتدى الروم على زبطرة في عام 223هـ/837م، حيث ورد في كتابه الذي أرسله مع الوفد قوله:" **إن الذين فعلوا بزبطرة ما فعلوا تعدوا أمري، وأنا أبنيها بمالي ورجالي، وأرد من أخذ من أهلها وأخلي جملة من في بلد الروم من الأسرى وابعث إليك بالقوم الذين فعلوا بزبطرة على رقاب البطارقة**"،

---

[1]- اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص 327-330. الطبري، مصدر سابق، ج8، ص629. فوزي، الخلافة، ج1، ص 352-353.

[2]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص629-630. الفاسي، مصدر سابق، ص496.

لكن الخليفة رفض الصلح، لأنه قد وصل حدا من الضيق بالروم جعله يرى أن الصلح معهم ليس في صالح الدولة العباسية[1].

أرسل إمبراطور الروم بعد عام 225هـ/840-841م وفداً إلى الخليفة المعتصم بالله يطلب المهادنة، وقد تقبل الخليفة هذه المهادنة؛ نظراً للظروف الداخلية التي تمر بها الدولة العباسية[2] . بعثت الإمبراطورة زوى[3] سفارة باسم ابنها الإمبراطور قسطنطين السابع حيث كانت وصية عليه إلى الخليفة المقتدر بالله في بغداد عام 305هـ/971م، وقد تفاوض ممثلا السفارة حول عقد هدنة بين الطرفين، ولقي الوفد استقبالاً حافلاً من جانب الخليفة المقتدر وأكرمهم[4].

وقد أسفر إمبراطور الروم إلى الخليفة المقتدر سفارة في عام 312هـ/924م لطلب الهدنة، وقد قدم مع السفارة عامل العباسيين على الثغور أبو عمر بن عبد الباقي، ولقد قبل الخليفة بطلب السفارة [5].

---

[1]- اليعقوبي، مصدر سابق، ج2 ، ص334. المسعودي، مروج، ج4، ص58-59. ابن الفرا، مصدر سابق، ص44. مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص566

[2]- مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص571- 572.

[3]- إمبراطورية رومية حكمت الإمبراطورية البيزنطية فترة من الزمن وفي آخر عمرها انصرفت إلى صنع الروائح العطرية بقصرها ، توفيت عام1050م. انظر جوزيف، مرجع سابق، ص192.

[4]- مسكويه، مصدر سابق، ج1، ص53-55. حسين، صابر محمد دياب، أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري، د.ط، دار النهضة العربية، مصر، 1978م، ص151.

[5]- مسكويه، مصدر سابق، ج1، ص139. ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص157.

في أيام المقتدر سنة 315هـ/927م ورد إلى بغداد رسول إمبراطور الروم ومعه كتاب من وزيره إلى الوزير علي بن عيسى يلتمس فيه الهدنة [1] .

أسفر ملوك الروم رومانوس وقسطنطين واسطفانس إلى الخليفة الراضي سفارة تحمل كتاباً رومياً مكتوباً بالذهب والترجمة العربية بالفضة، يطالبونه فيها بالهدنة مع بعض الهدايا وقد رد عليهم الخليفة الراضي بالموافقة على ما طلبوا[2]. ويبدو أن الخليفة الراضي وجد القبول هو الحل الأفضل لكلا الطرفين. ويتضح لنا من هذه السفارة أنها حملت الكتاب باللغتين الرومية والعربية من عند الروم للخليفة العباسي وهو ما لم يرد ذكره في سفارات أخرى اقتصرت على مترجمين إما من نفس الدولة التي قدم منها السفير أو مترجمين متولجدين في الدولة العباسية.

(6) فداء الأسرى وتبادلهم:

أما السفارات التي عالجت مسألة الأسرى أخذاً بقول الله تعالى:" **وإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فإما منّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها** "[3] ، فإننا نوردها وفقاً لنوع الفداء الذي تم اتباعه.

(أ) فداء الأسرى بالمال: يقصد به إطلاق سراح الأسير مقابل مبلغ مالي، وقد كان هذا هو أول الأشكال التي اتبعتها الدولة العباسية في عام139هـ/756-757م.

ومن أمثلة السفارات التي انتهت بهذا النوع من الفداء سفارة الخليفة المنصور لإفتداء المتبقين من أسرى قاليقلا[1]، ويذكر الطبري أن هذه السفارة كانت في عهد الإمبراطور قسطنطين

---

[1]- مسكويه، مصدر سابق، ج1، ص161. المنجد، مرجع سابق، ص149.

[2]- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج6، ص293. حسن، مرجع سابق، ص86-87.

[3]- قرآن كريم، سورة محمد، آية4.

الخامس بعد غزوه الأخير لأراضي آسيا، ودخوله مدينة ملطية عنوة وتخريبه سورها، وقد عمل الخليفة على إعادة بناء ملطية، ثم حدث الفداء[2].

وتشير رواية الاصبهاني إلى أن الخليفة المنصور لم يوافق على فداء الأسرى أول الأمر حتى كتب له الإمام عبد الرحمن بن عمرو أبو عمرو الاوزاعي[3] رسالة مطولة جعلته يوافق[4]، وإن صح هذا الرأي فهذا معناه أن السفارة كانت موجهة من الإمبراطور الرومي إلى الخليفة العباسي وليس العكس.

وقد أسفر الخليفة المهدي مولاه (صغير) لاستنقاذ أسرى سميساط من يد الروم في عام 159هـ/775-776م بالأموال[5]، ولم تورد لنا المصادر معلومات حول مقدار الفدية التي كانت تدفع عن كل أسير، وما إذا كانت القيمة موحدة عن كل أسير بغض النظر عن نوعه وسنه ومكانته الاجتماعية[6].

---

[1]- اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص466. الطبري، مصدر سابق، ج8، ص143. مصطفى، مرجع سابق، ج1، ص368.

[2]- الطبري، مصدر سابق، ج7، ص497. ابن الأثير، مصدر سابق، ج5، ص488.

[3]- عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي، انظر الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1970م، ج1، ص178.

[4]- الاصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ/1038م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط5، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1987م، ج6، ص135. حسن، مرجع سابق، ص208.

[5]- اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص282.

[6]- نوري، مرجع سابق، ص318.

وقدم وفد من الروم في سنة 170هـ/786م على الدولة العباسية ليفتدوا أسراهم الذين وقعوا بأدي العباسيين عام 169هـ/785م، بعدما سيطروا على مدينة أشنة[1]، وقد دفع الروم مبالغ كثيرة في سبي هذا الفداء، وعادوا لبلادهم بعدما أقاموا بين المسلمين عاماً تقريباً، تعلموا فيه الدين الإسلامي[2] .

(ب) **تبادل الأسرى:** وهو الشائع ذكرا وتباعا في الخلافة العباسية، كونها تحدث بصورة دائمة ومتعاقبة على نهر اللامس[3]، وإن أطلقت عليه المصادر مسمى فداء إلا أنه يُعد في طريقته تبادل للأسرى.

ومن السفارات التي أدت هذه المهمة سفارة الخليفة هارون الرشيد إلى نقفور إستبرق إمبراطور الروم، وكانت السفارة برئاسة القاسم بن الرشيد الذي كان متواجداً في دابق، ومعه أبو سليم فرج خادم الرشيد، وسالم البرنسي البربري مولى بني العباس، وكان ذلك في عام 189هـ/804-805م، حيث تم الاتفاق على مفاداة كل أسير مسلم بأرض الروم من ذكر وأنثى على نهر اللامس، ولم يبق بيد البيزنطيين أحد من المسلمين إلا وجرت مبادلته[4]، وقد بلغ عدد من تم فدائهم من المسلمين ثلاثة آلاف وسبعمائة نفس خلال اثنا عشر يوماً، في حين استغرقت

---

[1]- لم أجد لها تعريفا في المعاجم الجغرافية ويبدو أنها مدينة صغيرة.

[2]- ابن خياط، مصدر سابق، ص297. الملحم، مرجع سابق، ص623.

[3]- يتواجد على شط بحر الروم من ناحية ثغر طرسوس. انظر الحموي، معجم، ج5، ص8.

[4]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص 318. رشاد، مرجع سابق، ص2.

الاستعدادات كلها حوالي أربعين يوماً من مدة مقام الناس باللامس[1]. ويبدو أن الأربعين يوماً كانت عبارة عن هدنة طالب بها البيزنطيون لتخوفهم من الأعداد الكبيرة للمسلمين إذا ما قورنت بأعداد البيزنطيين فوافق العباسيون على عقد هدنة خلال فترة تكفيهم لضمان عودتهم إلى بلادهم بعد الانتهاء من الفداء[2]. كما لا يجب أن تثير الأعداد الكبيرة للأفراد من الجانب العباسي ممن يحضرون الفداء الغرابة لأن أعداداً كبيرة منهم يشكلون أبناء مناطق الثغور العسكرية التي يتم فيها عمليات الفداء وهم بالتالي يحضرون لمشاهدة عمليات الفداء، أو استقبال أبنائهم المفتدين[3].

وقد ذُكر أن هناك سفارة رومية سبقت هذا الإجراء، وتكونت السفارة من ثلاثة من كبار رجال الدين، وهم المطران سينادا Synnada ، ورئيس دير جولياس Gulaias، وأسقف أماستريس Amastris، ولم يورد ما حدث مع السفارة[4]، إلا أن المصادر العربية ذكرت أن العملية تمت على يد ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي أمير الثغور الشامية على اللامس أو على البدندون[5] في عام 192هـ/807-808م، حيث فودي بأكثر من ألفين وخمسمائة أسير من ذكر وأنثى خلال سبعة أيام من بداية الفداء[6].

---

[1]- المسعودي، التنبيه، ص187. المقريزي، أبو العباس احمد بن علي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987م، ج2، ص191.

[2]- صقر، مرجع سابق، ص127.

[3]- المرجع نفسه، ص126.

[4]- الملحم، مرجع سابق، ص640

[5]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص338.

[6]- المسعودي، التنبيه، ص177. مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص335.

وقد أرسل إمبراطور الروم تيوفيل وفد يرأسه البطريق (باسيل) إلى الخليفة المعتصم يحمل إليه هدايا ورسالة ورد فيها " إن الملوك لم تزل يغزو بعضها بعضا، ويعلوّ بعضها على بعض، وربما أتيت من وزراء السوء، وقد كان بيننا بزبطرة ما كان وتبينت وجه الخطأ فيه، وقد كلت لي بالصاع أصوعا فيما فعلت بعمورية، وأنا أسألك بالطينة المباركة التي أنت منها أن تنعم علي بإطلاق بطارقتي وقوادي فإنهم مائة وخمسون بطريقا، وأنا افتدي كل واحد منهم بمائة من المسلمين" [1].

ونود الإشارة في هذا المقام إلى أن هذه السفارة جاءت بعد سقوط عمورية بيد المسلمين عام 223هـ/838م، وكان من ضمن الأسرى الذين طالب بافتدائهم إمبراطور قائد الحامية ياطس[2].

وبادر إمبراطور الروم ميخائيل بن تيوفيل (ميشيل الثالث) بإرسال سفير إلى الخليفة العباسي الواثق بالله في سامراء عام 231هـ/845م لتبادل الأسرى، ففوض الخليفة الواثق أمر التفاوض مع الوفد البيزنطي إلى وفد عباسي يرأسه محمد بن عبد الملك بن الزيات، وتوصل الطرفان إلى القبول بتبادل كل الأسرى بمن فيهم الأطفال والمسنين، وذلك بعد تشدد الطرف العباسي في ضرورة أن يتم الأمر بهذه الصورة، فوجّه الخليفة الواثق سفيراً من عنده وهو أحمد ابن أبي قحطبة إلى القسطنطينية، بهدف إحصاء عدد الأسرى المسلمين الذي سيتم مبادلتهم مع أسرى الروم في الأراضي العباسية، فوجدهم السفير ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة لمرأة، ولقد اتفق الطرفان على تبادل الأسرى على نهر اللامس، وقد بلغ عدد من فودي به أربعة آلاف

---

[1]- الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ج1، ص99-105. ابن الفرا، مصدر سابق، ص68.

[2]- مرسي الشيخ، مرجع سابق، ص165.

وثلاثمائة واثنين وستين ذكراً وأنثى من المسلمين في عشرة أيام[1]، وهناك اختلاف في المصادر حول عدد من فودي بهم[2]، وقد أشرف على الأمر من جهة العباسيين القائد خاقان الخادم التركي، والى جانبه أحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلي والي الثغور الشامية والعواصم، في حين حضر من الجانب البيزنطي القائدان (انقاس ولمسنوس)[3] ، وكان من جملة من افتدي مائة نفس من أهل الذمة في هذا الفداء[4].

يبدو أن السبب الذي دفع الخليفة الواثق إلى قبول الفداء هو ما خلفته الحروب السابقة بين الدولتين من متاعب وخسائر، إلى جانب المشاكل الداخلية فساد الإدارة وتسلط الجند الترك واستئثارهم بالحكم، وإثارة قضية خلق القرآن بالنسبة للعباسيين عام 212هـ/827م[5]، ومشاكل صقلية وكريت بالنسبة للروم، كما أن مسألة إشراف الخاقان على الفداء جاءت موافقة للأمور لأنه قد وصل إلى الخليفة مع وجوه من أهل طرسوس يشكون صاحب مظالم كان عليهم يكنى أبا وهب فبقي الخاقان في سامراء بعد انتهاء مهمته، فوجد الخليفة فيه شخصاً مناسباً ليسند إليه هذه المهمة. وقد كان الخاقان والوالي أحمد بن سعيد الباهلي على اتصال دائم بالخليفة الواثق، حيث

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص141-145. رشاد، مصدر سابق، ص2.

[2]- ابن خياط، مصدر سابق، ص319. اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص339. 482. فازيليف، مرجع سابق، ص175-178.

[3]- المسعودي، التنبيه، ص177. مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص335. فوزي، الخلافة، ج1، ص356.

[4]- ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص24-25. رستم، أسد. الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ط1، مكتبة الجامعة الأردنية، الاردن، 1955م ، ج1، ص334.

[5]- القلقشندي، مآثر الإنافة، ص312. القرماني، مصدر سابق، ج2، ص97.

أرسلوا له وفداً من وجوه الأسرى الذين أطلق سراحهم وعلى رأسهم محمد بن عبد الله الطرسوسي وحملوهم بالأخبار[1]، حتى يكون الخليفة على دراية بما يجري على ارض الفداء وعلى اطلاع بآخر التطورات والاتفاقات بين الجانبين المفوضين بالأمر.

ويُلفت انتباهنا في هذا الفداء موقف يعد حالة استثنائية لا نستطيع تعميمه، وهو موقف السفير الرومي الذي اشترط ألا يأخذ في الفداء امرأة عجوزاً ولا شيخا ولا صبيا مقابل من في أيديهم من أسرى المسلمين[2]، ولعل السبب هو حاجتهم للقادرين على القتال من الشباب وليس لمن يلزمهم بتوفير احتياجاتهم ويشكل عبئا عليهم، وهذا عكس موقف السفير العباسي الذي أصرّ على ضرورة إتمام التبادل دون تفرقة.

وبادر الروم في إرسال سفارة أخرى لتبادل الأسرى، عندما أرسلت الإمبراطورة تيودورا (تذورة أم ميخائيل تيوفيل) سفيرها جورجس قريافس إلى الخليفة العباسي المتوكل على الله في عام241هـ/855-856م، فأجاب الخليفة بإرسال سفيره نصر بن الأزهر بن فرج الطائي الشيعي إلى البلاط البيزنطي؛ لمعرفة عدد أسرى المسلمين هناك، والاطمئنان على أحوالهم، وقد تولى المهمة من الجانب العباسي شنيف الخادم مولى المتوكل[3]، ومعه جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القاضي، وعلي بن يحيى الأرمني صاحب الثغور الشامية، وفودي في خلال سبعة أيام

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص141. صقر، مرجع سابق، ص124-125. رشاد، مرجع سابق، ص7.

[2]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص142. حسن، مرجع سابق، ص211.

[3]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص202. المسعودي، التنبيه، ص178. فوزي، الخلافة ج1، ص356.

بسبعمائة وخمسة وثمانين رجلاً ومن النساء مائة وخمس وعشرين امرأة[1]. ونود الإشارة هنا إلى أن اليعقوبي يختلف في ذكر السنة التي تم فيها الفداء، فيرى أنها عام 240هـ/854م[2]، وقد تكون المبادرة الأولى قد بدأت في نهاية هذا العام، وعلى اعتبار ما تتخذه الإجراءات من زمن يمكن حدوث الفداء بشكل رسمي بدخول العام الجديد، أي عام 241هـ/855م.

إذا قارنا هذا العدد مع العدد الذي ذكره الطبري وهو عشرون ألفاً سنجد الفرق شاسعاً، وربما فسرت رواية الطبري هذا الفرق الكبير عندما ذكر مقتل عدد كبير من أولئك الأسرى المسلمين الذين رفضوا التنصر بعد خروج السفير العباسي من القسطنطينية بأمر الملكة تيودورا أو الخصي التابع لها (قنقلة)[3].

كذلك أرسل إمبراطور الروم لغثيط إلى أهل لؤلؤة بهدف تسليمها له مقابل ألف دينار لكل رجل من أهلها، فسلم أهل لؤلؤة مدينتهم والبطريق الرومي إلى العباسيين، وهنا بادر إمبراطور الروم إلى المطالبة بفداء البطريق مقابل ألف رجل مكانه من المسلمين[4]. إذن المبادرة هنا جاءت لصالح فرد واحد لعله مثّل أهمية كبرى لدى البلاط الرومي.

وفي عام 246هـ/860م أرسل الإمبراطور ميخائيل تيوفيل وفداً برئاسة اطروبليس إلى الخليفة المتوكل مطالبا بتبادل الأسرى، فوجّه الخليفة المتوكل سفارة يرأسها للمرة الثانية نصر بن الأزهر بن فرج الطائي ومعه علي بن يحيى الأرمني صاحب الثغور الشامية إلى القسطنطينية

---

[1]- ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص76-77.

[2]- اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص599.

[3]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص 202. رشاد، مرجع سابق، ص2.

[4]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص218.

للتفاوض في الأمر، وقد ماطل الإمبراطور البيزنطي الوفد العباسي واستبقاه فترة طويلة في بلاطه؛ لأنه علم بتمرد أهل لؤلؤة ورغب في استمالتهم، لأن حصنهم له أهمية حربية حيث يقع في الطريق الفاصل بين ارض المسلمين في أعالي بلاد الشام وارض الروم في آسيا الصغرى والذي كان من قبل تحت حماية المسلمين، إلا أن الأمر قد فشل فسارع عندها الإمبراطور إلى استكمال الاتفاق وتنفيذه مع السفارة العباسية خلال سبعة أيام على نهر اللامس، وكان عدد من فودي به من المسلمين ألفان وثلاثمائة وسبعة وستين[1]. ولم يحقق هذا الفداء نتائج سياسية لأنه لم تعقد هدنة بعد هذا الفداء كالمعتاد[2].

وفي سنة 253هـ/867م أسفر الخليفة العباسي المعتز بالله شفيع الخادم ليقوم بفداء الأسرى من الروم، وكان على الروم آنذاك باسيل[3].

لم يذكر الكثير عن هذا الفداء بالنسبة للأسرى وأعدادهم، ويبرز لنا إمبراطور الروم من موقفه أنه يجعل من مصلحة دولته فوق كل اعتبار حتى وان كان على حساب التراجع عن عقد أو اتفاق مع العباسيين، فرغم انه كان المبادر الأول بالمهادنة مع العباسيين والذي على أساسه قدم سفير الخليفة المتوكل إلى بلاط القسطنطينية لاستكمال الإجراءات، إلا أن الإمبراطور أجل

---

[1]- الطبري، المصدر نفسه، ج9، ص219- 220. ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص93. نوري، مرجع سابق، ص327.

[2]- مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص580. حسن، مرجع سابق، ص225.

[3]- المسعودي، التنبيه، ص179. المنجد، مرجع سابق، ص98.

إتمام الأمر لظنه بأن هناك أمراً آخر قد يغنيه عن هذه المهادنة وتقلب الميزان لصالحه، لكن ما إن علم بفشل الأمر سارع بإتمام ما كان قد عزم عليه سابقا من المهادنة.

وأرسل الخليفة العباسي المعتمد على الله سفارة إلى إمبراطور الروم في سنة 270هـ/883-884م لأمر الفداء، وقد تم الفداء على يدي يازمان أو مازمار، وخصّ به أهالي ساتيذَما أو سنديّة وحدهم[1].

كما أسفر احمد بن طُغان أمير الثغور الشامية وإنطاكية في خلافة المعتضد بالله في عام 281هـ/894م من قبل صاحب مصر وأجناد الشام خمارويه بن أحمد بن طولون إلى إمبراطور الروم ليون باسيل في أمر الأسرى الذي نفّذ في أيام جيش بن خمارويه عام 283هـ/896م، وذلك بعد وفاة والده، وقد بلغ الفداء ألفين وأربعمائة وخمسة وتسعين نفساً خلال عشرة أيام[2]. في حين يرى ابن الأثير أن جملة من فودي بهم كانوا ألفين وخمسمائة وأربعة مسلمين[3].

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص666. ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص411.

[2]- المسعودي، التنبيه، ص178.

[3]- الكامل، ج7، ص 479. المنجد، مرجع سابق، ص99.

إن العلاقة كانت حسنة بين الأمير خمارويه والخليفة المعتضد بالله الذي أقرّه على البلاد الواقعة بين العراق شرقاً وبرقة غرباً، وهذا يعني التبعية للخلافة العباسية[1].

وفي عام 290هـ/902م أرسل إمبراطور الروم ليون باسيل إلى الخليفة المكتفي بالله في بغداد سفيرين يحملان الهدايا ويسألانه الفداء للأسرى، وقبل الخليفة المكتفي الأمر، وخلع على السفيرين[2]، إلا أنّ هذا الأمر لم يتم تنفيذه إلا في عام 292هـ/904-905م، حيث اشرف على الأمر رستم بردو الفرغاني أمير الثغور الشامية على نهر اللامس، وقد فودي بحوالي ألف ومائتي مسلم، ولقد تميز هذا الفداء بمسمى خاص عرف لدى المؤرخين ألا وهو فداء الغدر؛ وذلك لأنه أول فداء يقع فيه الغدر من جهة البيزنطيين في أثناء عملية الفداء، فبعد أن فودي بحوالي ألفا ومائة وخمسة وخمسين أسيراً خلال أربعة أيام، نقضت الروم العهد وعادت ببقية الأسرى دون أن تستكمل المراسم المعهودة في تبادل الأسرى لدى الطرفين[3]، ولا نعرف سبباً واضحا لذلك.

بعث إمبراطور الروم إلى الخليفة المكتفي مرة أخرى عام 294هـ/906م مضطراً لطلب الفداء بعدما تمرد البطريق (اندرونقس) على الإمبراطور ولجأ للعباسيين في بغداد مع عدد كبير من اتباعه، وكانت سفارة إمبراطور الروم فيها خال ولده وبسيل الخادم، وقد وصلوا إلى

[1]- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق جمال محمد محرز وفهيم محمد شلوت، د.ط، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1971م، ج3، ص53. علي، وفاء محمد، الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988م، ص61.

[2]- المسعودي، مروج، ج4، ص314. ناجي، مرجع سابق، ص218.

[3]- المسعودي، التنبيه، ص179. ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص537.

باب الشماسية على مشارف بغداد، ولقد تمت الإجراءات التي تشمل جمع الأسرى من كلا البلدين بعد موافقة الخليفة المكتفي، وتم الفداء عام 295هـ/907م لثلاثة آلاف أسير[1]، في حين تورد مصادر أخرى أن الفداء كان لألفين وثمانمائة واثنين وأربعين أسيرا من ذكر وأنثى وكان على يد الأمير رستا بردو[2].ويشير هذا العدد الكبير خلال فترة ثلاث سنوات من الفداء الأخير إلى أنه يدل على حدة الهجمات البيزنطية على الأراضي العباسية، حتى تمكنت من الحصول على مثل هذا العدد من الأسرى.

ولقد استمرت السفارات التي عالجت جانب الفداء فنجد في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله تبادل للسفارات بينه وبين إمبراطوري الروم قسطنطين ليون وارمانوس، كان غرضها البت في أمر الفداء وكان ذلك في عام 305ه/917م حيث أسفر من الجانب العباسي كل من القائد مؤنس الخادم والقائد بشرى الخادم الافشيني أمير الثغور الشامية وأبو عمير عدي بن احمد بن عبد الباقي التميمي، وتم الفداء على اللامس خلال ثمانية أيام لحوالي ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستة وثلاثين أسيرا من ذكر وأنثى خلال ثمانية أيام[3].

ويذكر مسكويه أن إمبراطور الروم قسطنطين أرسل سفيراً إلى الخليفة المقتدر في بغداد في عام 312ه/924م ومعه عامل العباسيين على الثغور أبو عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي -الذي ورد السفارة الأولى سنة 305ه/917م- وبعد أن قدم للخليفة هدايا الإمبراطور التمس

---

[1]- ابن الأثير، المصدر نفسه، ج8، ص13. ناجي، مرجع سابق، ص 218-219.

[2]- المسعودي، التنبيه، ص179-180. حسن، مرجع سابق، ص228.

[3]- المسعودي، التنبيه، ص180. ابن الأثير ،مصدر سابق، ج8، ص107. رشاد، مرجع سابق، ص2.

الهدنة والفداء، فوافق الخليفة المقتدر وخلع عليهما[1]، غير أن الفداء حدث في عام 313هـ/925م[2]، وكان القائم بالأمر من جهة العباسيين مفلح الخادم الأسود المقتدري، وبشرى الثملي، على نهر اللامس خلال تسعة عشر يوماً، وبلغ عدد من أُفتدوا ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثة وثمانين أسيراً من ذكر وأنثى[3].

وفي عام 326هـ/937م أسفر الخليفة الراضي بالله سفارة برئاسة ابن ورقاء الشيباني، وبشرى الثملي أمير الثغور الشامية إلى بلاد الروم، حيث تم الفداء هذه المرة على اللامس لستة آلاف وثلاثمائة أسير تقريباً في ستة عشر يوماً[4]. وتكررت للمرة الثانية مسألة عودة الروم ببقية الأسرى المسلمين، ولكن هذه المرة ليس غدراً وإنما لعدم تماثل أعداد أسرى المسلمين بأسرى الروم، حيث استبقي حوالي ثمانمائة رجل مسلم في الجانب البيزنطي، وتأجل افتدائهم لوقت آخر على نهر البذندون في مرارشتي[5].

ويلاحظ أن هناك عمليات تبادل للأسرى أشار إليها المؤرخون باختصار، واحتاجت بطبيعة الحال إلى سفراء يقومون بالتفاوض لإتمام هذه العملية، كالتبادل الذي كان في عهد الخليفة المهدي على يد النقاش الانطاكي عام 158هـ/774م، وفداء عام 167هـ/783م على

---

[1]- مسكوية، مصدر سابق، ج1، ص139.

[2]- الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ج1، ص100-105. ناجي، مرجع سابق، ص244 .

[3]- المسعودي، التنبيه، ص180. حسن، مرجع سابق، ص231.

[4]- ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص352.

[5]- المسعودي، التنبيه، ص468،180. المنجد، مرجع سابق، ص 100. رشاد، مرجع سابق، ص1.

يد عبد الحميد الضحاك[1]، وتبادل عام 181هـ/797م في عهد الخليفة الرشيد على يد عياض بن سنان أمير الثغور الشامية[2]، وتبادل عام 184هـ/800م الذي أسفر فيه الخليفة الرشيد صالح بن بيهس الكلابي إلى القسطنطينية، ليتفاوض حول تبادل الأسرى[3]، كذلك من بين عمليات التبادل التي عدها المسعودي تبادل عام 194هـ/809م، الذي اشرف عليه ثابت بن نصر في أيام الخليفة الأمين، وتبادل عام 201هـ/816م أيام الخليفة المأمون، فضلا عن تبادل 247هـ/861م الذي ذكر أنه على يد محمد بن يحيى أيام الخليفة المتوكل، وتبادل عام 258هـ/871م أيام المعتمد على الله، والذي اشرف عليه شفيع ومحمد بن علي[4].

(ج) إهداء الأسرى تمهيداً لعقد اتفاق للصلح بين الطرفين: كانت المبادرة عموماً في هذا الأسلوب من الجانب البيزنطي، وذلك لأن البيزنطيين أرادوا تهيئة الأجواء لقبول عروض خاصة بهم لدى العباسيين، أو لاثبات حسن نيتهم في عروضهم، حيث غالباً ما يأتي نقض الصلح من الطرف البيزنطي.

---

[1]- ابن خياط، مصدر سابق، ص289.

[2]- المسعودي، التنبيه، ص182.

[3]- ابن خياط، مصدر سابق، ص302.

[4]- المسعودي، التنبيه، ص 182. رشاد، مرجع سابق، ص2.

ومن السفارات التي توافقت مع هذا الأسلوب سفارة الإمبراطور تيوفيل إلى الخليفة المأمون عام 216هـ/831م، والتي وجه فيها مع رسله خمسمائة أسير مسلم، ليفتح بذلك باب المفاوضات مع الخليفة، ويصل منها إلى اتفاق للصلح[1].

كذلك سفارة ميخائيل تيوفيل إلى الخليفة المتوكل، برئاسة شيخ يدعى أطروبِيْلس، ومعه سبعة وسبعون رجلاً من أسرى المسلمين، جاعلاً منها عرضاً لتبادل الأسرى[2].

كانت السفارات التي قامت بهذا الأسلوب محدودة جدا، فهي لم تكن تنل بشكل دائم موافقة الدولة العباسية كما حدث في عهد الخليفة المأمون، وعهد الخليفة المعتصم[3]، ثم أن دولة الروم لم تكن تقدم عددا كبيرا من الأسرى المسلمين في مثل هذه المبادرات[4].

(د) إطلاق الأسرى ثمنا للصلح بين الطرفين:

من أمثلة ذلك إطلاق نقفور سراح ثلاثمائة وعشرين أسيراً مسلماً، مقابل فك القاسم بن الرشيد حصاره عن قرة وسنان، في عام 187هـ/802-803م[5]، وكان هذا العرض حينما شعر نقفور أن دخولهم في حرب مع العباسيين الذين كانوا على أتم استعداد ليس في صالحهم، كما سيؤدي إلى استسلام المدن البيزنطية وضياعها من الإمبراطورية، خصوصاً

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص625 .

[2]- الطبري، المصدر نفسه، ج9، ص213.

[3]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص629. ابن الفراء، مصدر سابق، ص 34-35.

[4]- نوري، مرجع سابق، ص332.

[5]- الطبري، مصدر سابق، ج8، 307. نوري، مرجع سابق، ص332-333.

أنه يعلم بشدة وطأة الجيش العباسي من جهة، ورغبتهم في استعادة أسراهم من أيدي الروم من جهة أخرى، لذلك آثر نقفور الصلح[1].

وفي عام 215هـ/830م، أطلق أهل قرة ما كان بحوزتهم من أسرى مسلمين بعد محاصرة الخليفة المأمون لهم مقابل منحهم الأمان، فتم لهم ما أرادوا [2].

وفي عام 293هـ/906م أرسلت ملكة الفرنجة (برتا فيليا لوتاري) حفيدة شارلمان إلى الخليفة المكتفي بالله سفيراً عربياً كان في خدمتها، وكان قبلها في خدمة الاغالبة قبل أن يقع في الأسر، وهو يحمل منها كتاباً مكتوباً بالفرنجية، والكثير من الهدايا، فلما وصل السفير ترجم له أحد كتّاب الخليفة من الفرنجية إلى الرومية، ثم ترجم له اسحق بن حنين من الرومية إلى العربية، ومضمونه طلب قبول الهدايا والصداقة والصلح معه والعون منه، كما تبدي فيه استعدادها لإطلاق سراح جميع الأسرى المسلمين الذين بحوزتها، فأجاب الخليفة المكتفي بالقبول، ووصل الرسول بالمال وأنفذ الكتاب معه[3]

تعطينا هذه المبادرة بالسفارة تأكيداً على استمرار العلاقات الودية المتبادلة بين الدولة العباسية وإمبراطورية الفرنجة، حيث لم تنقطع بعد عهد الخليفة الرشيد والإمبراطور

---

[1]- ابن خياط، مصدر سابق، ص303. اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص297. ابن الجوزي، مصدر سابق، ج5، ص503-504.

[2]- ابن اعثم، مصدر سابق، ج8، ص 334. نوري، مرجع سابق، ص333 .

[3]- ابن الزبير، مصدر سابق، ص48- 59. ناجي، مرجع سابق، ص220 .

شارلمان، كما نلاحظ أن الهدايا المرسلة كانت تهيئة لنفس الخليفة من اجل تقبل الصلح الذي لم يكن نتيجة لحروب طاحنة بقدر ما هو تصفية للأجواء السائدة بين الطرفين.

في عام 331هـ/942م بادر إمبراطور الروم بإرسال سفير إلى الخليفة المتقي بالله أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر (329-333هـ/940م-944م) عرض عليه إطلاق سراح مائتي أسير مسلم لديه مقابل أخذه منديلاً مقدساً لديهم يقال بأن السيد يسوع المسيح مسح به وجهه فصارت صورة وجهه فيه، وهو موجود في كنيسة الرها، فاستفتى الخليفة المتقي وزيره أبو الحسن بن مقلة، فأشار عليه بجمع القضاة واستشارتهم في الأمر، ورغم معارضة البعض إلا أن الخليفة أخذ برأي المؤيدين من باب أفضلية خلاص المسلمين من الأسر والضرر، وتم لهم ذلك في عام 334هـ/944م وسط احتفال كبير، وحمل الروم المنديل إلى بلاط القسطنطينية[1].

ويُذكر أن المنديل يعود إلى أيام تبادل الرسائل بين السيد المسيح والملك الابجر الخامس ملك الرها (4 ق.م-50م)، وأن هذا المنديل تصدر منه معجزات عظيمة وقوى خارقة تتعلق بشفاء المرضى لوجود صورة وجه السيد المسيح عليه[2]. وبالتالي إن سلّمنا بصحة رواية الانطاكي وابن العبري فكيف لمنديل أن يبقى طوال تلك الفترة دون أن يتضرر أو يبلى، خاصة والفترة الزمنية التي يعود لها المنديل ليست بقليلة.

---

[1]- الانطاكي، مصدر سابق، ص41-43. ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص127-128. ابن العبري، مصدر سابق، ص165. القرماني، مصدر سابق، ج2، ص149.

[2]- حسن، مرجع سابق، ص245.

(7) التجسس والتحقيق:

إن تكليف السفير بمهمة محددة من جانب دولته لا يعني بالضرورة غض الطرف عما يمر به وما يحدث أمامه في الدولة المسفر إليها، فقد تكون معرفة حالة الطريق إلى تلك الدولة، ونوعها، وأماكن تواجد المروج والحشائش للعلف، وأماكن تواجد الحصون والحاميات العسكرية، والحالة التي يعيشها الملك، وحالة مملكته من حيث العمران وازدهاره، والحالة الاجتماعية لجنده واتباعه والناس في دولته، وسيرة الملك بين اتباعه والمحكومين في دولته، وكل صغيرة وكبيرة قد ترد أمام السفير أو يستعلم عنها بطريقته، من الأمور المهمة التي غالباً ما تكون في صالح الدولة التي قدم منها السفير.

ومثال ذلك تجسس السفير الرومي الذي قدم على الخليفة المنصور وأمر أن يطاف به في بغداد، حيث أخذ السفير ينظر حال الناس على الجسر، فرآهم من ذوي الزملة والعاهة، يطلبون الصدقة ويسألون، فسئل الربيع بن يونس الذي كان قد أوكل له مهمة مرافقته:" **ما في مُلك صاحبك عيب غير أمر هؤلاء الزّمني، وقد كان يجب أن يراعي أمرهم حتى لا يجتمع عليهم – مع الزّمانة– الفقر والمسألة، فقال الربيع بن يونس: لم يذهب ذلك عنه، ولكن بيوت الأموال لا تتسع لذلك** "[1]، وعندما علم الخليفة المنصور بأمر الحوار غضب على الربيع بن يونس ولمّا اجتمع بالسفير قال له:" **بلغني مقالك للربيع آنفاً، وليس الأمر على ما أجابك به، وقد كان في مالي ما يسعهم ويوفي على سد فقرهم، ولكن أمير المؤمنين فكّر في أمرهم، فأحبّ ألا يستأثر على سائر رعيته ممن صحح الله جسمه، وبسط يده بملك**

[1] – ابن الفرا، مصدر سابق، ص77.

الدنيا والآخرة وثوابها، فترك لهم سبيلا إلى الصدقة واصطناع العُرف، ونصيباً في ابتغاء الثواب بالافضال، فأومئ السفير إلى الأرض وقال: " فالون فالون "[1].

ويبدو أن وجود الربيع بن يونس مع السفير ومرافقته له كانت من باب التكريم للسفير، ولعدم ترك السفير بمفرده، ومنعه من اجتماعه بالناس وإفساده لهم فلعل السفير على معرفة باللغة العربية، وحرصاً على حفظ خصوصيات الدولة العباسية، وأيضاً إبعاده عن التجسس أو التعرض لأي مخاطر قد تصيبه أثناء تجواله، لذلك نجد السفير يسأل الربيع عن وضع الناس، فهو يقصد إفاضة الربيع له بما يجهله هو، ومن ثم فإن تصرف الخليفة المنصور كان في محلّه عندما صحّح للسفير الصورة التي رسمها له الربيع بإجابته له، وذلك لأن الموقف بأكمله يمسّ الخليفة كونه يمثل رأس الخلافة العباسية آنذاك.

وقد يكون ابتعاث السفراء أحياناً لمعرفة قوة الدول المجاورة، أو الدول المعادية، ومعرفة دروب ومسالك بلادهم، فيعودون وقد تأكد لديهم صحة ما يريدون معرفته وبشكل يجعلهم قادرين على توقع ما قد تطالب به تلك الدول وفقا لموقفها، كما تساعد مثل هذه السفارات في الاطمئنان على حسن نية تلك الدول، وابتعادهم عن أي خدع توجب القتال، فضلاً عن التحقق من أوضاع الأسرى، وكيفية معاملتهم من قبل الدولة الآسرة لهم، ومن ذلك السفارة التي أرسلها الخليفة المأمون للروم في مهمة مماثلة، طلب فيها السفير الالتقاء بالأسرى، فسألهم عن أخبارهم، وأعلموه بالحال التي هم عليها ثم انشده أسيراً من بغداد شعراً وسأله أن يوصله إلى الخليفة المأمون وهو:

---

[1]- معناها في الرومية جيد. ابن الفرا، مصدر سابق، هامش ص77.

خرجنا من الدنيا فلسنا من أهلها ولسنا من الأحياء وفيها ولا الموتى[1]

كما قامت سفارة الخليفة العباسي الواثق بالله إلى البلاط البيزنطي برئاسة أحمد بن أبي قحطبة عام 231هـ/845م، بعدما ورد إليه سفير رومي ليفاوضه في أمر الفداء، وقد أوكلت للسفير ابن أبي قحطبة مهمة التأكد بشكل دقيق من أعداد الأسرى المسلمين المتواجدين في أيدي الروم، واستعدادات الروم بصفة عامة[2].

ومن خلال ما سبق من سفارات تناولت الأسرى وفدائهم يمكننا التوصل إلى جملة من الملاحظات على النحو التالي:-

1. إن أغلب المبادرات بطلب الفداء وتبادل الأسرى تكون من جانب البيزنطيين، إلا أنها تتفق مع مصالح الدولة العباسية كذلك، لان ظروفها في تلك الفترة لم تكن هي الأخرى سهلة، لذلك كانت اغلب تلك المبادرات البيزنطية تجد صدى في نفوس الخلفاء العباسيين، ثم انهم كانوا يؤمنون بأهمية السياسة السلمية وضرورتها في تلك المرحلة لذلك نجدهم قد أولوا موضوع الفداء أهمية كبيرة .

2. اختيار نهر اللامس كموقع ثابت لأغلب عمليات فداء الأسرى وتبادلهم ليتم الامر بصورة منظمة ودقيقة، باستثناء فداء عام 326هـ/937م كان على نهر البذندون إلى جانب اللامس.

---

[1]- انظر ما سبق، ص101.

[2]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص141-145. فازيليف، مرجع سابق، ص175.

3. اعتمدت عمليات الفداء على أسلوب واضح في إجرائها، متفق عليه من كلا الجانبين العباسي والبيزنطي، يقوم وسط احتفال يبرز فيه كلا الطرفين مظاهر القوة، وأفضل ما لديهم من سلاح وعدة وزي حربي.

4. إن إرسال سفراء لمعاينة الأسرى يتضمنها حمل الموافقة الرسمية من الدولة العباسية على الفداء بهدف الإعداد للأمر من جانب الدولة البيزنطية وجمعها الأسرى من أماكن متفرقة.

5. إن اغلب الفداءات كانت مدتها تتروح ما بين 7–19 يوما وهذا يدل على أن أعداد الأسرى كبيرة، وان قلت أيام الفداء عن ذلك فهي لظروف معينة قد يكون نقض العهد من جانب الروم أحد الأسباب كما حدث في فداء عام 292هـ/904-905م .

6. قد يصادف وجود عدد من النصارى المأسورين من بلاد الإسلام بيد الروم، كما حدث في فداء عام 241هـ/855-856م، وبما أن الفداء لا يقع شرعا على نصراني ولا ينعقد، فقد أعطى الروم مكانهم عدة أعلاج[1] ليضمنوا إطلاق سراحهم[2].

7. إن عملية فداء الأسرى وتبادلهم، كانت اكثر جوانب العلاقة نجاحا بين الدولتين، لأنها تتخذ الحل الإنساني وهو إنقاذ الأسرى، لإعادتهم إلى حياتهم الطبيعية في بلادهم[3].

---

[1]– العلج: الحمار، وحمار الوحش، والرغيف الغليظ ، وعلج بالكسر هو الرجل من كفار العجم، والجمع علوج وأعلاج، الزبيدي، مصدر سابق، ج2، ص75.

[2]– اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص345. المنجد، مرجع سابق، ص101.

[3]– نوري، مرجع سابق، ص333.

8. لم تشر المصادر إلى عدد أسرى البيزنطيين في التبادل أو الفداء بالمال، إلا أننا نتوقع أن يكون مساوياً لعدد أسرى المسلمين إذا قامت العملية على أساس تبادل نفس بنفس، إلا في بعض الحالات والتي عرضنا لها سابقاً، كذلك لم تشر إلى اتخاذ البيزنطيين احتياطات حربية كالعباسيين، باستثناء القوات التي رافقت أسرى المسلمين، وقد يعود السبب إلى ضمان البيزنطيين للعباسيين من ناحية المسالمة، والوفاء بالعهد، ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن عمليات الفداء يحضرها الكثير من أهل الثغور والأمصار، ويرتدي الجنود أحسن ما لديهم من الأزياء[1].

9. اشتراك عمال الثغور في اغلب السفارات التي تتولى أمر التفاوض في الفداءات لأن العملية تجري ضمن منطقة أعمالهم[2].

10. المساواة التي لقيها أهل الذمة في الأراضي العباسية مع المسلمين، حيث تمت مبادلتهم مع الأعلاج من الدولة البيزنطية لضمان رجوعهم إلى الدولة العباسية حالهم في ذلك حال المسلمين[3].

11. إن الزيادة التي نلاحظها في الجانب البيزنطي لعدد الأسرى المسلمين لا يعني تغلب الروم على جنود الدولة العباسية وأسرهم لهم، إذ أن تلك الزيادة لا يشترط ارتباطها بالحروب بين الطرفين ، فقد تواجد الشيوخ والكهنة والنساء والأطفال ضمن من تم المبادلة بهم، وهذا دليل على

---

[1]- المسعودي ، التنبيه، ص 176-177. نوري، مرجع سابق، ص 319-320.

[2]- نوري، مرجع سابق، ص330.

[3]- ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص24-25.

انهم كانوا يأخذون من ضمن ما يتم أسره وامتلاكه في أثناء المناوشات أو الغارات الفجائية وليس على ارض المعركة[1].

12. إن جعل فترة الهدن مع البيزنطيين قصيرة كانت برغبة من العباسيين، حتى يُشعروا البيزنطيين بهيبة الدولة العباسية، واستعدادها الدائم لهم، وهذا يبين الطرف الأقوى في تلك الفداءات، رغم أن نقض الهدنة غالباً ما يأتي من طرف الروم ما أن يجدوا في أنفسهم القوة[2].

13. كانت تقوم بعض السفارات بالفداءات بهدف تخليص الأسرى من الضنك وسوء المعاملة التي يلقونها في ارض العدو، وكان المسؤولون في الدولة العباسية يتابعون أوضاع الأسرى العرب عند الروم ويعملون كل ما من شأنه أن يحسن أوضاعهم وأحوالهم ويطمئن نفوسهم، كذلك بالنسبة إلى الأسرى الروم ومتابعة أوضاعهم وصناعاتهم في الدولة العباسية[3].

(8) تدعيم الروابط الثقافية :

تطالعنا المصادر عن سفارات غرضها الأساسي تدعيم الروابط الثقافية بشتى أنواعها، ويمكن أن نستعرض عدداً من هذه السفارات على النحو التالي:

النوع الأول: سفارات بعثتها الدولة العباسية إلى دول غير مسلمة من جانب الخليفة نفسه أو بناءً على طلب من ملوك تلك الدول، بهدف الدعوة إلى الإسلام أو توضيح ما يحمله الإسلام من عبادات، ومعارف ثقافية، وروحيه، واجتماعية.

---

[1]- رشاد، مرجع سابق، ص1.

[2]- صقر، مرجع سابق، ص127.

[3]- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي، الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، ط1، د.د، بيروت، 1978م، ج1، ص145. رشاد، مرجع سابق، ص7.

ويعد هذا النوع من أول السفارات التي ارتبطت ببداية الدولة الإسلامية بشكل خاص، وحاز على اهتمام كبير من جانبها، كونها عنت بنقل الدين الإسلامي الذي يدّعو إلى طلب العلم والمعرفة إلى الدول غير الإسلامية.

ومن السفارات التي وافقت هذا النوع السفارة التي أوفدها أمير فرغانة إلى العرب في عهد الخليفة المنصور، وكان السفير أحد كبار النبلاء ويدعى باتيجور (او بايجور)، وقد عرض الإسلام على هذا السفير ولكنه أبى الدخول فيه، ولقد حُبس حتى عهد الخليفة المهدي، وقد كان رد السفير انه لا يخون الملك الذي وجّهه[1].

يساورنا الشك حول قيام مثل هذه السفارة، إذ أن المعروف في تاريخ الدولة الإسلامية ومنذ قيامها بداية من عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – انه لم يتعرض سفير للإهانة أو العقاب بالسجن حتى وان ارتكب إثما، كما أن الدعوة للإسلام لا تكون على هذه الصورة من التهديد والعقاب فهو دين يسر لا دين عسر، والمعهود أن الخلفاء يدعون الناس للدخول في الإسلام بالموعظة الحسنة فان قبلوا به كان خيرا ، وان رفضوه عليهم دفع الجزية فان رفضوا حُق عليهم مقاتلتهم حتى يفصل الله بينهم. من هنا ليس من المعقول أن يسعى خليفة كالمنصور إلى سجن سفير وفد عليه.

وأرسل الخليفة المهدى رسله إلى ملوك الهند يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم منهم خمسة عشرة ملكاً، منهم ملك الصغد[2]الاخشيد، وملك أسروشنة الافشين، ملك التبت، وملك الشاش[1]،

---

[1]– اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص479.

[2]– كورة بين بخارى وسمرقند. انظر الحموي، معجم، ج3، ص409. وانظر القزويني، مصدر سابق، ص543

وملك الصين بغيور[2]، وملك الهند وابراج وهوفور[3]. ولقد اعتبر ملوك الدول الكبرى كالهند والصين قدوم الرسول عاملاً لإقامة علاقات طيبة خاصة انه جاء من طرف الخليفة المهدي الذي عُرف عنه انه مُهدي العالم[4].

لم تردنا معلومات تفصيلية حول تلك السفارات وعما إذا حققت هدفها الذي سعت إليه مع كل أولئك الملوك.

كما أسفر الخليفة الرشيد إلى قسطنطين إمبراطور الروم سفيراً يحمل رسالة طويلة كتبها أبى الربيع محمد بن الليث، وقد كان مضمون الرسالة الدعوة إلى الدين الإسلامي، ولم تردنا معلومات عن جواب الإمبراطور على الرسالة[5]، لو استجاب علمنا!!.

---

[1]- الشاش: بلاد بما وراء نهر سيحون، متاخمة لبلاد الترك وكانت أكبر ثغر في وجه الترك. انظر الحموي، معجم، ج3، ص308. وانظر القزويني، مصدر سابق، ص538.

[2]- بغ بمعنى الملك ويور هو الابن بالسندية والصينية والفارسية المحضة. انظر الخوارزمي، مصدر سابق، ص73.

[3]- اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص279. أطهر المباركبوري، مرجع سابق، ص247. بارتولد، فاسيلي فلاديمير. تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان، د.ط، الكويت، 1981م، ص323.

[4]- مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص279-280.

[5]- الارمنازي، نجيب. الشرع الدولي في الإسلام، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، دت، ص 202-203

يبدو أن تلك الرسالة التي حملها السفير لم تجد صدى مرغوباً في نفس إمبراطور الروم، ولم تحق الهدف منها إلا أن نهاية ما ورد في الرسالة يعطينا تصوراً عن إمكانية عقد هدنة أو صلح بين الطرفين على اعتبار تخويف الخليفة الرشيد للإمبراطور قسطنطين من نقض العهد. وهناك سفارة قامت في عهد الخليفة المأمون، وكانت جواب على سؤال ملك البرغر[1] عن أمور الإسلام والتوحيد[2].

نلاحظ أن هذه السفارة قامت جواباً لطلب، وهذا يوضح لنا اهتمام الخليفة المأمون بنشر الإسلام في الأراضي التي تجهل هذا الدين كما يبين لنا أهمية الدين الإسلامي كدين وثقافة تجر الدول الأخرى إلى معرفتها والإيمان بها.

كذلك سفارة قامت في عهد الخليفة المعتمد على الله عام 270هـ/883م من عامله في السند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز[3] إلى ملك (الرا أو الور) الذي يدعى (مهروك رايق[4]) أحد اكبر ملوك الهند، الذي يحكم المملكة الواقعة بين قشمير الأعلى وقشمير الأسفل[5]، بناءً على طلب

---

[1]- إقليم في الهند ولعله البلغار، أو بلغاريا. انظر فروخ، عمر. المأمون ومكانته في السياسة والفكر والعلم، ع2، مجلة الباحث، بيروت، 1982م، ص18، هامش1.

[2]- ابن النديم، محمد بن إسحاق(ت380هـ/990م)، الفهرست، تحقيق مصطفى الشويمي، ط1، تونس، الدار التونسية، 1985م، ص129 . المنجد، مرجع سابق، ص 138.

[3]- ليس ابن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز.

[4]- من ملوك الور، بلدة قديمة في السند على ساحل نهر مهران. انظر أطهر المباركبوري، مرجع سابق، ص248

[5]- ناحية بأرض الهند متاخمة لقوم من الترك. انظر القزويني، مصدر سابق، ص104.

الملك؛ ليفسر لهم الشريعة الإسلامية بالهندية، فكانت السفارة بزعامة رجل من أصل عراقي اسمه عبد الملك، يعرف لغة أهل الهند، وقد أقام السفير مدة من الزمن فسّر لهم فيها القرآن إلى سورة ياسين عند قول الله تعالى: "من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم"[1]، فتأثر الملك الذي كان جالسا على سرير من ذهب مرصع بالجواهر والدر الثمين، فنزل عن سريره، ووضع خده على الأرض المروية بالماء، وبكى حتى تلوث وجهة بالطين، وقال: "هذا هو الرّب المعبود، والأول الذي لا يشبهه أحد"[2]. ويذكر السفير أن الملك بنى لنفسه بيتاً يصلي فيه سرّاً، ولم يظهر إسلامه خوفاً من ذهاب ملكه وأمره[3].

ويتضح لنا من هذه السفارة أن التفسير يعني به الترجمة من العربية إلى لغة أهل الهند، ويرجح أن تكون اللّغة السندية أو الملتانية، وقد تكون هي أول ترجمة للقرآن في الإسلام في القرن الثالث الهجري. كما يلفت انتباهنا ما فعله الملك والسرّية التي تقبل بها الإسلام واعتناقه له، حيث يطرح في هذا الصدد تساؤل حول ما إذا كان هذا الملك قد ساعد على نشر الإسلام بين أفراد شعبه، أم أنه اتبع السرّية في إسلامه في البداية فقط وحتى يقوى ويكثر معتنقيه من شعبه، رغم أن الشعوب كما يقال غالباً على دين ملوكها.

---

[1]- قرآن كريم، سورة يس، آية78 .

[2]- شهريار الناخذاه، بُرزك (ت ق4هـ/10م)، عجائب الهند، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، د.ط، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000م، ص 2-4. نقلاً عن المنجد، مرجع سابق، ص137-138.

[3]- أطهر المبّاركبوري، مرجع سابق، ص247-248.

كما نود الإشارة إلى أن السفارة وُجّهت بناءً على طلب الملك الذي يعد من كبار ملوك الهند، فما الداعي الذي يضيّق الخناق على الملك ويجعله يكتم أمر إسلامه إلا أن تكون هناك قوة أكبر منه ذات نفوذ وسطوة تمنعه من إعلان إسلامه.

كذلك أرسل ملك الصقالبة (المش شلكي يلطوار) سفيراً اسمه عبد الله بن باشنو -لأنه كان يعرف العربية - إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة 309هـ/921م يحمل كتاباً، يسأله فيه أن يبعث إليه من يعرّفه شرائع الإسلام، ويبني له مسجداً وينصب منبراً، ليقيم عليه الدعوة للخليفة في جميع بلاده، كما يسأله أن يبني له حصناً يتحصن فيه من الملوك المخالفين له- يقصد بهم الخزر اليهود الذين يعتدون عليهم ويفرضون عليهم الضرائب-، فأرسل له الخليفة سفارة تُحقق ما طلبه الملك بدقة متناهية، مكونة من أربعة أفراد، رأسها ابن فضلان الذي تولى قراءة كتاب الخليفة، وتسليم الهدايا إلى الملك، والإشراف على الفقهاء والمعلمين والمرسلين، وسوسن الرسّي مولى نذير الحرمي صاحب الخليفة، والذي كان يعرف الروسية إلى جانب تعلمه العربية بعد إسلامه، وتكين التركي الذي كان يجيد لغات الأتراك التي يمر ببلادها الوفد وهو في طريقه إلى الفولغا، وبارس الصقلابي[1]، وقد وصلت السفارة في سنة 310هـ/922م حيث كان الملك وأخوته وأولاده في استقبال أعضاء الوفد، وقد أُنزلوا في أحد قصور الملك، واحتفل بهم بحضرة الملك يلطوار وأفراد مملكته، ثم أعلن الملك إسلامه، وأقيمت الخطبة باسم الخليفة المقتدر بالله[2].

---

[1]- ابن فضلان، مصدر سابق، ص31، 98. المنجد، مرجع سابق، ص138- 139 .

[2]- ابن فضلان، مصدر سابق، ص 143. متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980م، ص143

لابد وان هذه السفارة كان لها فضل في نشر الإسلام بين الصقالبة البلغار في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حيث أن ما أتّخذ من إجراءات للإيفاء بالمطالب من جانب الخليفة العباسي لصالح ملك الصقالبة، ترك أثراً طيباً كلّل بالنجاح، وتحقيق الهدف المنشود.[1]

النوع الثاني: سفارات تهدف إلى نقل الثقافات الأجنبية والفنون العمرانية إلى الدولة العباسية، والتي قد تتمثل في الكتب التي يحملها السفراء الأجانب كهدايا إلى خلفاء الدولة العباسية، أو ما قد يطلبه الخلفاء من مؤلفات في مختلف العلوم.

من أمثلة ذلك السفارة التي بعث بها الخليفة المنصور إلى إمبراطور الروم في القسطنطينية لطلب كتب التعاليم وأخرى يونانية في الفلسفة والطب والكيمياء، فعاد العلماء ومعهم مختارات الكتب النادرة كان من بينها كتاب اوقليدس الذي يعنى بمجال الهندسة، وبعض كتب الطبيعيّات[2].

نخرج من هذه السفارة بالاهتمام الثقافي الذي أولاه خلفاء بني العباس أوائل عصرها والذي يعطينا يقيناً بأن الحروب التي وقعت بين العباسيين والبيزنطيين لم تكن لتمنع أي علاقة أخرى ترمي إلى الإفادة والاستفادة لذلك لم يتوان الخليفة المنصور طلب تلك الكتب التي تتواجد في دار العدو.

وقدمت سفارة إلى الخليفة المأمون من جانب ملك الهند دهمي، يحمل فيها السفير هدية فاخرة من ضمنها كتاب ترجمة عنوانه (صفوة الأذهان)، فقبلها الخليفة وأعاد الرسول مع رسول

---

[1] – المنجد، مرجع سابق، ص139.

[2] – الدينوري، مصدر سابق، ص401. ابن خلدون، مقدمة، ص456.

من عنده يحمل لملك الهند هدايا فيها كتاب اسمه (ديوان ذوي الألباب وبستان نوادر العقول)[1]، وقد يكون هو نفسه كتاب ديوان ذوي الألباب الذي ألّفه أحمد بن محمد بن حمادة أبو الحسن الكاتب[2].

ونلاحظ أن كتاب صفوة الأذهان يتكلم عن الفلسفة، والكتاب المقابل له ديوان الألباب أيضا يعد كتاباً فلسفياً، وهذا معناه أن العرب لم يكونوا أقل شأناً، وهي هدية بحد ذاتها تحمل معنى يشير إلى التبادل الحضاري، وأن التراث الإسلامي لم يكن منغلقا على نفسه بل تأثّر وأثّر في المسيرة الحضارية البشرية على امتداد أزمانها وتنوع ثقافاتها.

وعندما عقدت هدنة بين الخليفة المأمون وحاكم قبرص أرسل إليه يطلب كتباً من خزانة اليونان لديه، وقد كانت تلك المجموعة من الكتب لا يظهر عليها أحدا أبدا، فجمع بطانته وذوي الرأي واستشارهم في حمل الخزانة إلى المأمون فرفضوا جميعاً، إلا مطرانا واحداً، نصحه بأن يعجل بإرسالها إليه حيث قال : ما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية إلا أفسدتها، وأوقعت بين علمائها. لذلك أرسلها إلى الخليفة المأمون الذي اغتبط بها[3].

---

[1]- ابن دحية، مصدر سابق، ص52. ابن الزبير، مصدر سابق، ص21- 28.

[2]- لم تذكر المصادر تاريخ وفاته. انظر الحموي، معجم الأدباء، ط3، دار الفكر للطباعة والنشر، د.م، 1980م، ج3، ص230-231. الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، كتاب الوافي بالوفيات، د.ط، د.م، 1983م، ج7، ص388.

[3]- ابن نباته، مصدر سابق، ص137. المنجد، مرجع سابق، ص141. فراج، عز الدين. فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978، ص37.

نستنتج من موقف بقية البطانة أن تحقيق أهداف السفارة قد لا تتم دائما كما تتوقعها الجهة المرسل لها، فهي تحتمل القبول كما تحتمل الرفض، وليس من الحاكم بقدرّ ما قد تكون من وزرائه ومستشاريه وبطارقته.

وعندما تغلب الخليفة المأمون على إمبراطور الروم (ميخائيل الاول) فرض عليه غرامة نصف مليون دينار، ثم عرض الخليفة المأمون على إمبراطور الروم أن يبعث إليه ما يختار من العلوم القديمة المخزونة في سراديب بلاد الروم لتناقض العلم والفلسفة فيها لديهم مع العقيدة النصرانية، مقابل تنازل الخليفة عن الغرامة، فأجاب الإمبراطور بعد امتناع، عندها أسفر الخليفة المأمون سفارة كان من بين أعضائها الحجاج بن مطر، وابن البطريق، وسلماً وصاحب بيت الحكمة، فأخذوا مما وجدوا واختاروا، فلما حملوه إليه أمرهم بترجمته تحت إشراف قسطا بن لوقا البعلبكي[1] إلى اللغة العربية[2].

يتضح لنا أن موافقة الإمبراطور ميخائيل الأول بمجرد طرح الخليفة للاقتراح الذي سيعفيه من دفع مبلغ كبير وهذا يعد مكسباً له، أما الاستفادة العظمى في الأمر فكانت من نصيب الخليفة المأمون، كونه ظفر بثروة لا تثمّن بمال، حيث أتاح هذا فرصة التعرف على ما تحتويه كتب الإغريق[3].

---

[1]- طبيب عربي، أبدع في الفلسفة والهندسة والحساب والموسيقى، اشتغل في صنع الآلات الفلكية وترجم من اليونانية إلى العربية. هونكة، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال الدسوقي وراجعه مارون الخوري، ط6، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981م، ص405

[2]- ابن خلدون، مقدمة، ص465. عبد اللطيف، مرجع سابق، ص145.

[3]- ابن النديم، مصدر سابق، ص243. فروخ، مرجع سابق، ص17.

وهناك إشارة تفيد بإرسال الخليفة المأمون إلى الإمبراطور الروم سفيراً يحمل إليه بعض الكتب[1].

النوع الثالث: سفارات كانت غايتها طلب علماء أجانب للحضور إلى الدولة العباسية، للإفادة من علمهم، أو السماح لعلماء الدولة العباسية بإجراء كشوف علمية في الديار الأجنبية.

لقد عبر الخلفاء العباسيون عن اهتمامهم بهذا النوع من الاتصال الثقافي مع الدول الأخرى، عندما اهتم الخليفة الواثق بالله بأمر الكهف الذي سمع بوجوده بين عمورية ونيقية، يذكر بأنه كهف أصحاب الرقيم[2] الذين ذكرهم الله في قوله:" أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا"[3]، أراد الخليفة أن يتحقق من ذلك، فأرسل إلى الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث يطلب منه أن يسمح للسفارة التي كانت برئاسة العالم الرياضي محمد بن موسى المنجم بزيارة الكهف، فوافق الإمبراطور، وصحبها دليل من الإمبراطور، ولقد استعلم الجغرافي ابن خرداذبه عن خبر السفارة من السفير محمد[4].

ويبدو أن أعضاء الوفد أصيبوا بخيبة أمل حيث لم يجدوا ما تمنوا أن يجدوه، فقد اكتشفوا عدم صحة ما وصلهم من أخبار حول أصحاب الكهف، ومن جهة أخرى كشفوا دليل الإمبراطور على حقيقته وأنه كان يكيد لكل من يرغب برؤية أصحاب الكهف، ويبدو انه كان يأخذ كسباً مادياً من الإمبراطور بغض النظر عن مدى معرفة الإمبراطور بما يفعله دليله أو عدم معرفته

---

[1]- المسعودي، مروج، ج2، ص295. ابن قتيبة، مصدر سابق، ج1، ص81-82.

[2]- المسعودي، مروج، ج1، ص326-328.

[3]- قرآن كريم، سورة الكهف، آية9.

[4]- للتفاصيل انظر ابن خرداذبه، مصدر سابق، ص141-145. رستم، مرجع سابق، ص347.

به. كما يتضح لنا اهتمام الخليفة الواثق بتوجيه العلماء إلى موضوعات جديدة تستحق الدراسة والبحث هذا عدا رغبتهم في تتبع أخبار القصص القرآني[1].

ومن السفارات التي قامت لهذا الغرض الثقافي سفارة الخليفة الواثق للكشف عن سد الصين- وهو سد الاسكندر- ومعرفة شكله، وتمت مكاتبة صاحب أرمينية (إسحاق بن إسماعيل)، وبدوره كاتب (طرخان[2]) صاحب بلاد اللان الذي كاتب صاحب الخزر، وملوكاً عدة، وهم الملوك الذين سيمر الوفد في بلادهم، وكان رئيس الوفد هو سلاّم الترجمان، فوصل الوفد إلى السد بعد ستة عشر شهراً، ثم عاد في اثني عشر شهراً، وحدّث سلاّم بما رآه وشاهده ابن خردانبة، ثم أملاه عليه من التقرير الذي قدمه للخليفة الواثق عن رحلته[3].

وتشير مسألة المكاتبات بين الملوك والتوصية بالسفارة التي ستمر ببلادهم إلى مدى الاهتمام الذي يظهره ملوك تلك الدول لسفارة الخلافة العباسية، وهذا يعني الأهمية والمكانة الكبرى التي تحتلها الدولة العباسية لديهم، كما تدل على الترابط الواضح بين تلك الدول في كل أمر قد يعني بالناحية الثقافية.

النوع الرابع: سفارات كان الهدف منها مناظرة كلامية بين السفير وشخص آخر من الدول الأخرى سواء كان الملك أو فيلسوف أو عالم أو شاعر.

---

[1]- المسعودي، مروج، ج4، ص77-83.

[2]- الطرخان هو الشريف والجمع طراخنة. الخوارزمي، مصدر سابق، ص73.

[3]- ابن خرداذبه، مصدر سابق، ص106. المنجد، مرجع سابق، ص145-146. فازيليف، مرجع سابق، ص159

من أمثلة ذلك ما أُورد حول طلب ملك الهند من الخليفة الرشيد بأن يبعث إليه عالماً مسلماً لمناظرة علمائه في الدين، وكان الخليفة خلال تلك الفترة قد منع الكلام وحبس أهله، فأرسل إليه محدثاً فخسر المناظرة، فلما كتب ملك الهند إلى الخليفة في بغداد بذلك غضب الخليفة الرشيد وقال: " أما لهذا الدين من يدافع عنه "، وأتوه بعلماء الكلام، واستطاع صبي منهم أن يجيب على المسألة التي فاتت المحدث، عندها يذكر أن الخليفة قد عمد إلى توجيهه هو أو أحد من العلماء إلى الهند. ويُذكر أن الفيلسوف الهندي حين علم أن القادم إليه من المتكلمين دس إليه من سمّه. وهناك من يشكك في مصداقية هذه الحادثة كونها تدعم موقف المتكلمين، كما تكشف عن وجود العلاقة الكلامية الجدلية بين فلاسفة الهند ومتكلمي الإسلام في تلك الفترة، وأنهم كانوا يتناقشون وأن بعض المسلمين كانوا يستدعون من العراق بعض الرجال خاصة للمناظرة والدعوة إلى الإسلام[1].

كذلك أرسل إمبراطور الروم سفيراً إلى الخليفة الرشيد يسأله أن يوجّه إليه بالشاعر أبي العتاهية[2] على أن يقدم له مكانه من العروض ما قد ترضيه، كأن يأخذ مقابله من أراد من الرهائن، وقد ألح السفير الرومي على الخليفة الرشيد في طلب الإمبراطور الذي كان قد وصله من سفير سابق له يحسن العربية خبر إعجابه بشعر أبي العتاهية، فأجّج ذلك في نفس

---

[1]- ابن المرتضى، احمد بن يحيى، طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنة ديفيلد- فلزر، د.ط، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1960م، ص 54 – 55، ص58 – 59. مصطفى، مرجع سابق، ج2 ، ص274.

[2]- هو إسماعيل بن القاسم بن سود العنزي، شاعر عباسي نشأ في الكوفة وسكن بغداد، اتصل بالخلفاء بدءا بالمهدي حتى المأمون العباسي، كان يميل إلى الفلسفة في شعره وهو من الزهاد، توفي 211هـ/826م. ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص219.

الإمبراطور الرغبة في إسفار سفير لطلبه، حتى عرض الخليفة الرشيد الأمر على أبو العتاهية، بعد ما وجد من إلحاح السفير، إلا أنه استعفى من الخليفة، وأبى الذهاب مع السفير إلى بلاد الروم [1].

يبدو أن انجذاب السفير لشعر أبو العتاهية من منطلق انه شعر زهد يحاكي الفكر الرهباني والديري لديهم[2]، كما يتبين لنا الرغبة في تبادل أفكار وآراء وإثراء الكلام في اللغة والأدب، كما يتبين لنا كيف أن الروم كانت تستهويهم بعض مظاهر الحضارة العربية الإسلامية.

(9) طلب أدوية:

إذا عدنا للخلفية التاريخية لطلب العود من جانب خلفاء بني العباس واشتهار استعماله بينهم، سنجد أن الخليفة المنصور قد استحسن العود الذي عرضه عليه الحسين بن برمك، والذي احضره معه من الهند إلى بغداد، فأمر المنصور بالكتابة إلى ولي الأمر بالهند لحمل كميات كبيرة منه، وكان يسمى (العود المندلي) وكان هذا من اشهر أنواع العود زمن العباسيين، لذلك غلا ثمنه كونه يتداوى به كما يستخدم لقتل القمل ويمنع تواجده بالثياب[3]، وهذا يعطينا صورة واضحة عن العلاقات التي كانت قائمة بين الدولتين منذ وقت مبكر.

---

[1]- الأصفهاني، مصدر سابق، ج3، ص179. أمين، مرجع سابق، ج1، ص279-280.

[2]- مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص341.

[3]- العسكري، مرجع سابق، ص161.

نود التنويه في هذا المقام إلى أن الوزراء كذلك كانت لهم جهود في هذا المجال فمثلاً يحيى بن خالد البرمكي وزير الخليفة الرشيد، أوفد إلى بلاد الهند رجلاً ليأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم[1]. ولم يذكر إن أرادها بشكل شخصي أم للمصلحة العامة للدولة العباسية.

كذلك أرسل الخليفة المتوكل سفيراً إلى ملك الهند لجلب العود الذي كان قد وصفه الأطباء له كدواء ليتبخر به ويتعافى وشدّد عليه بأنه لا يقبل بغير العود مكافأة على الهدايا التي أرسلها مع سفيره بقيمة عشرة آلاف دينار، وذكر أن الملك قال للسفير بعدما عرف سبب وفوده عليه، أن ما بعث به من العود سابقاً كان في زمن والده، وأرسل الملك للخليفة مائة وخمسين رطلاً من العود[2].

نستنتج مما سبق أن الخلفاء كانوا يطلبون ذلك العود وأغلب الظن لشخصهم أي للتداوي، ويعدّ العود من السلع النادرة التي كان يتم استهلاكها في بلاط الدولة العباسية، فكان يتم انتقاء الأجود منها نوعاً ولوناً من الهند، وهذا الطلب معناه أن النوع الجيد لا يتواجد إلا في خزينة ملك الهند، أي انه من إنتاج الهند نفسها، وانه لا يتواجد إلا بها كونها مصدر الإنتاج الرئيسي له هذا من جهة.

كذلك أوصى ملك الصقالبة أحد أعضاء سفارة الخليفة المقتدر بالله في عام 309هـ/921م وهو نذير الحرمي أن يحضر إليه بعض الأدوية[3].

---

1 – ابن النديم، مصدر سابق، ص 484. عبد اللطيف، مرجع سابق، ص 144.

2 – ابن الزبير، مصدر سابق، ص32.

3 – ابن فضلان، مصدر سابق، ص100.

يفسّر لنا ذلك ما وصلت إليه الدولة العباسية في مجال الطب، وصناعة العقاقير الطبية من مستوى راقٍ ومتقدم، كدليل على الرقي الحضاري.

(10) سفارات لأسباب صحية:

تعد هذه السفارة غير رسمية لأنها لم تتخذ الإجراءات الرسمية في إرسال السفارة فهي لم توجه إلى ملك أو إمبراطور دولة أخرى بل إلى فرد من أفراد مجتمع آخر، فقد أسفر الخليفة المنصور سفيرا إلى جند يسابور[1] في طلب أشهر أطبائها (جورجيس بن يختيشوع) ليعالجه من اضطراب في المعدة عجز أمامه أطبائه، وكان ذلك عام 149هـ/765م، فترك هذا الطبيب أمر إدارة المستشفى لابنه (بختيشوع)، وصحب معه تلميذان له واتجه إلى بغداد، وعالج الخليفة المنصور بعد أن حاوره وفهم منه أسباب علّته، ولقد منعه الخليفة من الرجوع إلى بلده وأكرمه[2].

يدل هذا على الرغبة الشديدة لدى الخليفة المنصور للاستفادة من الخبرات الأجنبية بما يسهم في تنشيط الحركة العلمية وحركة الترجمة على وجه الخصوص في مختلف فروع العلم وبخاصة العلوم العقلية.

كذلك بعث الخليفة الرشيد سفارة شخصية إلى طبيب في الهند يقال له مَنْكَه؛ ليعالجه بعدما فشل الأطباء لديه في علاجه من علته، حيث أشار عليه رجل يقال له أبو عمر الأعجمي باستقدام هذا الطبيب، وقد وصف له مهارة الطبيب الهندي وصيته الذي انتشر، وأنه كان أحد

1- مدينة بخوزستان، انظر الحموي، معجم، ج2، ص171.

2- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص59. عبد اللطيف، مرجع سابق، ص142.

الفلاسفة في الهند[1]. وقد عالج الطبيب الخليفة وبرئ من علّته فكافأه الخليفة بأن أجرى له الأرزاق والأموال.

وليس من المعقول أن يترك الخليفة طبيباً ماهراً دون أن يسعى لحث وتشجيع الأطباء في بغداد للاستفادة من خبرته، ومن ثقافة الهند في مجال الطب، وقد دفع هذا الأمر الخليفة لاستقدام الأطباء من الهند فيما بعد[2] وكل ذلك دليل على التوجه الحضاري الكبير للخلافة العباسية، حتى وإن كانت الأهداف شخصية في بدايتها.

(11) ابتياع جواهر:

وُجّه الخليفة هارون الرشيد سفيراً شخصياً يدعى الصباح الجوهري إلى ملك سرنديب، ليبتاع له من جواهر سرنديب، ولقد قوبل السفير بالترحاب والكرم الذي وصل بصاحب سرنديب حداً أطلعه فيها على خزانة جواهره الشخصية، فأعجب السفير بياقوت أحمر فريد في نوعه فأظهر إعجابه به حتى امتحنه الملك بأمر تقويم[3] الياقوت الذي عجز عنه الكثيرون، وأظهر نجابة رفعت شأنه في عين الملك، فأنعم عليه بالجواهر الرائقة وخلع عليه[4] من باب التكريم له وللخليفة الرشيد.

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص352. عبد اللطيف، مرجع سابق، ص143.

[2]- مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص273-274.

[3]- بمعنى تقدير قيمة الياقوت، حيث أن هذا التقييم لا يعتمد على قانون ثابت بسبب تأثره بالأمزجة والأهواء والخلو من العيوب وشكل الفص ووزنه وصقالته، انظر الوائلي، عبد الحكيم، موسوعة الأحجار الكريمة، ط1، دار أسامة، د.م، 2001م، ص146-147.

[4]- البيروني، مصدر سابق، ص62-63 .

ويكمن السبب الذي دفع بالخليفة الرشيد إلى طلب الجواهر من سرنديب بالذات دون غيرها وهو أنها موطن الياقوت الأحمر الذي يتواجد في جبالها، وينحدر مع السيول والأمطار إلى المنحدرات، ثم يتم التقاطه من المنحدرات.[1]

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن هناك فص ياقوت احمر نادراً يضئ بالليل كضياء المصباح، حتى انه ليضيء بيتاً كاملاً لا مصباح فيه، ويُرى فيه تماثيل في الليل تلوح، وان هذا الفص نُقِشَ من قديم الزمان وتداوله ملوك الأكاسره في اللبس الملكي، وان كل ملك يملكه يقوم بحك النقش، حتى إذا وقع بيد عظماء الملوك عملوا على نقشه ، وذُكر أن هذا الفص قد اشتراه الخليفة الرشيد بأربعين ألف دينار، ونقش عليه اسمه احمد، وقد احتفظ به في خزانة الدولة وأخرجه منها الخليفة المستعين بالله عام 248هـ/862م[2]، وما أود الإشارة إليه في هذا الصدد إمكانية أن يكون هذا الفص الياقوتي الأحمر هو نفسه الذي قوّمه السفير الجوهري من ملك سرنديب حتى ظفر به للخليفة الرشيد.

(12) التحالفات:

داخلت فترات الحروب بين الدولة العباسية وغيرها من الدول فترات سلمية، سعت فيها الدول إلى إيجاد صلات ودية فيما بينها، إلا أن ما يتعلق بالصلات العباسية الكارولونجية يأخذ جانب الصمت من جانب المصادر العربية، ولا تشير إليها سوى عدد من المصادر لاتينة، هي (الأخبار الملكية الفرنجية) و (سيرة الإمبراطور) وشارل الكبير (شارلمان) لاينهارد الذي كان

---

[1]– الحموي، معجم، ج3، ص216.

[2]– المسعودي، مروج، ج4، ص192.

مؤرخاً في البلاط الفرنجي، وكتابات الراهب سنت كول St. Goll.[1]، مما يجعلنا نتحرز في الأخذ بما ورد فيها من معلومات حول تلك التحالفات.

إن حقيقة وقوع مثل تلك السفارات التي تشير إليها بعض الكتب غير معروفة وغير مؤكدة، حيث اتخذت المعلومات التي وردت عنها طابعاً أسطورياً غامضاً أبعد عن الوضوح وإمكانية التصديق من جانب الكتّاب المحدثين، مما جعلها محوراً للعديد من المناقشات من جانبهم، فهناك من يرى بأن السفارات بين الطرفين كانت منذ أيام الخليفة العباسي الثاني (أبو جعفر المنصور) والإمبراطور بيبين القصير(741–768م) في عام 147هـ/764م، وأن المبادرة فيها كانت من الجانب الفرنجي، حيث عادت السفارة بعد ثلاث سنوات مصحوبة برسل الخليفة المنصور ومعهم الهدايا للإمبراطور بيبين، وأن الهدف منها تأكيد التقارب المشترك بينهما من قضية العداء للدولة الأموية في الأندلس، ويعلق المؤرخ ميور على أمر هذه الوفود بأنها لم تؤد إلى نتيجة معينة باستثناء ما ولدته في نفس عبد الرحمن الداخل من خوف بشأن إمكانية الاتفاق على دولته[2]. مع العلم أن الكتابات الحديثة التي أشارت إلى هذه السفارات لم تذكر مصادرها التي اعتمدت عليها في ذلك، كما لم يرد في المصادر العربية ما يشير إلى هذه السفارة. وبالتالي فإن صحت هذه السفارة فان الدافع الاقتصادي ومحاولة عقد صلات تجارية مباشرة بين الموانئ

---

[1]– فوزي، الخلافة، ج1، ص348.

[2]– مصطفى، مرجع سابق، ج1، ص381. عبد اللطيف، مرجع سابق، ص99.

العربية الإسلامية في مصر وأفريقيا وبين جنوب الدولة الكارولونجية دون وساطة البيزنطيين[1] يستحق مثل تلك الوفادات، وإن كان ما تحقق منها لا يعدو تبادل للهدايا والتحيات الودية ليس إلا.

إن الإشارات الواردة في المراجع حول تبادل السفارات بين الخليفة الرشيد والإمبراطور شارلمان في عام 181هـ/797م، وعام 183هـ/799م وذكر أسماء السفراء لانتفريد وسيجموند وإسحاق اليهودي المترجم[2]، لا يعني بالضرورة حدوث تحالف سياسي بين الطرفين، وهو ما لم تثبته المصادر العربية.

وهناك إشارة إلى أن الخليفة الرشيد استجاب لهذه السفارة وبعث بعلم ومفتاح كنيسة القيامة ببيت المقدس إلى شارلمان، وغدا شارلمان بذلك في نظر المسيحيين هو حامي الديانة المسيحية في نظر الحجاج المسيحيين الذي يذهبون إلى بيت المقدس لأداء فريضة الحج، وأن اغلب السفارات التي تم إرسالها من جانب الإمبراطور شارلمان لم يكن الهدف منها سوى التوسط لصالح المسيحيين في الشرق، وترى تلك الكتابات اللاتينية أن النتائج التي تحققت كانت أكبر مما خطط لها الإمبراطور شارلمان نفسه[3]، إلا أن هذه الآراء وجدت معارضة من جانب كتّاب محدثين لم يجدوا فيما روي عن نتائجها سوى روايات مضطربة وغامضة[4]، حيث أن ما أورده هؤلاء المؤرخون المحدثون من أن الخليفة هارون الرشيد سلم مفاتيح كنيسة القيامة ببيت المقدس إلى شارلمان، وانه قد حمله إليه راهبان من طريق بيت المقدس، وهما (فيلكس) من دير

---

[1]- مصطفى، مرجع سابق، ج1، ص382.

[2]- الربداوي، مرجع سابق، ص285-287. عطية، مرجع سابق، ص24. عطا، مرجع سابق، ص66.

[3]- ديفز، مرجع سابق، ص202.

[4]- فوزي، الخلافة، ج1، ص349.

القدس سابا، (واجبالد) من دير جبل الزيتون، يصحبهما زكريا الكاهن، وكان ذلك في عام 184هـ/800م، الأمر الذي رفع من شأنه أمام شعبه وأمام البابا على الإمبراطورية الرومانية[1]، هو أمر غير مقبول تاريخياً لعدم وروده في مصادر عربية أو حتى مصادر أوربية موثوقة عدا ما كتب اينهارد، وبالتالي فليس من المعقول أن يترك الخليفة الرشيد أمر الأراضي المقدسة بمن عليها في يد شارلمان.

وعليه فإن هذه الروايات مشكوك في صحتها، وهو ما توصل إليه عدد من المؤرخين، مثل كان دي ريان الذي كان أول من بنى دراسته على المصادر اللاتينية وعارضه فيها المؤرخ الروسي بارتولد الذي استبعد قيام تلك المفاوضات بين الخليفة الرشيد والإمبراطور شارلمان وما بني عليها من أحقية الحماية مستندا في ذلك على صمت المصادر العربية والمسيحية الأخرى عن ذكرها، وأن الأمر لا يعدو مصالح تجارية من قبل اليهود، وعليه قامت عدة ردود وآراء معارضة ومؤيدة من قبل فاسيليف، وبربيه، وبكلر، ورنسيمان، بالإضافة إلى مجيد خدوري الذي أسهب في دراسة تلك الفرضيات دراسة علمية مسهبة أكد فيها مبالغة المصادر اللاتينية المعاصرة في ذكر طبيعة الصلات العباسية الكارولونجية (الفرنجية)[2].

ورغم ما كانت تمر به كلا الدولتين من ظروف تجعل من تحالفهما قوة سياسية عسكرية لكل منهما إلا أن الغموض من جانب المصادر العربية في عدم ذكر معومات حول هذا الأمر من جهة، وسياسة التشدد التي عرف بها الخليفة هارون الرشيد بشأن الامتيازات، مع الأهمية الدينية

---

[1]- اينهارد، مصدر سابق، ص105. الارمنازي، مرجع سابق، ص204

[2]- لمزيد من التفاصيل انظر اينهارد، مصدر سابق، ص106. فوزي، الخلافة، ج1، ص348-352.

والسياسية التي تحتلها الأراضي المقدسة في فلسطين لدى الخلفاء من أيام بني أمية والإصلاحات التي حظيت بها مساجدها من قبل العباسيين، إلى جانب مرحلة التفكك الإداري وانفصال الولايات التي كانت تعاني منها الدولة العباسية في عهده من جهة أخرى، تجعل من مسألة التفكير في إجراء مثل ذلك التحالف مع الإمبراطورية الكارولونجية لاستعادة الأندلس أمرا صعباً لا يتفق مع ادعاءات وفرضيات المصادر اللاتينية[1].

ويمكن القول أن هذه السفارات تعكس بشكل عام طابع الرغبة في تعميق أواصر الصداقة بين البلدين ليس إلا.

لعلنا نلاحظ أن مسألة تعزيز التبادل التجاري بين الدولة العباسية والدول الأخرى سواء في أوروبا أو في آسيا تأتي كعملية لاحقة لسفارات وضمن أهدافها، حيث لم تورد لنا المصادر سفارات رسمية قامت لهدف تجاري، غير أن البعض يرون أن ثمة وفوداً قامت مثلا بين الخليفة الرشيد وملك الصين ذات صبغة تجارية ثقافية أكثر من كونها سياسية، ويعللون ذلك برغبة العباسيين معرفة أحوال تلك البلاد النائية، والتعرف على ما فيها من بضائع وتحف، وكذلك التعرف على أحوال الجاليات التجارية العربية والإسلامية هناك[2]. من هنا يصعب علينا إفراد غرضاً تجارياً للسفارات العباسية.

---

[1]– فوزي، الخلافة، ج1، ص351.

[2]– فوزي، المرجع نفسه، ص359.

ثالثاً: النتائج المترتبة على السفارات:

من خلال استعراضنا للسفارات التي تبودلت بين الدولة العباسية والدول الأخرى، والدوافع التي قامت من أجلها مثل تلك السفارات، نستطيع الخروج بعدد من النتائج، ولعل من أهم تلك النتائج ما يلي:

1. كان لبعض السفارات التي طرح فيها السفراء آراءهم حول أمر معين خاص بالدولة العباسية صدى في نفس الخليفة، خاصة إن كانت في صالح الخلافة بطبيعة الحال، فإن صحت سفارة الرسول البيزنطي إلى الخليفة المنصور، فان الملاحظة التي أبداها السفير قد وجدت صداها في نفس الخليفة، فأمر ببناء سوق مدينة بغداد بعيداً عن قصر الخلافة وخارج أسوار المدينة[1].

2. إن ما نقله السفير عمارة بن حمزة للخليفة المنصور بشأن ما رآه في قصر إمبراطور الروم، وكيفية استخلاص الذهب بألوان مختلفة، والتطور الذي لمسه في ذلك الأمر، كل ذلك حدا بالخليفة المنصور إلى الاستعانة بكتب علم الكيمياء من الروم والاهتمام بهذا العلم بصورة تتيح الإفادة منه بشكل أوسع[2].

3. نخرج من بعض السفارات التي كان يحمل فيها السفير رسالة خطية تؤكد غرضه أنها في منظورها العام لها هدف واحد إن تم هذا الهدف وتحقق قد يترتب عليه أهداف أخرى غالباً ما تكون في صالح الطرفين وتشمل نواحي سياسية وأخرى تجارية واجتماعية، مثل سفارة إمبراطور الروم تيوفيل إلى الخليفة المأمون عام217هـ/832م، والتي ناشده فيها الموادعة بين

---

[1]- الحموي، معجم، ج4، ص448.

[2]- ابن الفقيه، مصدر سابق، ص131.

الشعبين وتبادل التجارة وفك الأسرى وتأمين الطرق[1]، على الرغم من أن الغرض من تلك السفارة كان المهادنة والصلح، وهذا يعطينا إشارة إلى أن تلك المظاهر هي من نتائج الصلح.

4. لا يشترط أن تكون وجهة النظر البيزنطية في الفداء واردة في نص مكتوب أو رسالة بهذا الشأن فقد تكون شفوية لأن المصادر العربية وكذا الأجنبية لا تحوي جميع المراسلات التي تمت بهدف الفداء من بدايته إلى نهايته على الرغم من أن الوفد غالبا ما يكون ذا مستوى عالٍ ويمتلك صلاحيات للقيام بالمفاوضات وإبداء بعض الآراء ثم الاتفاق في النهاية.

5. إن السفارات التي تولت عمليات الفداء تبرز لنا أن الغرض من الفداء يحمل في حد ذاته رغبة المبادرة في عدم الحرب بين المعسكرين ووقف كل العمليات على الحدود بين الدولتين، أي تصفية الوضع على الحدود، كما أنها محاولة لإظهار النوايا الحسنة تمهيداً لتحسين العلاقات مع العباسيين وإبعاد شبح الحرب وضمان فترة سلام على الحدود لأن الظروف البيزنطية الداخلية والخارجية تحتم عليهم ذلك، وينطبق الأمر نفسه على الظروف العباسية.

6. إن السفارات التي عنيت باسترجاع الأسرى كانت تعود بفائدة عظيمة على الدولة العباسية، حيث أن الأسرى خاصة من يمكثون زمناً في الدولة البيزنطية يكون لهم القدرة على معرفة مداخل ومخارج دولة العدو في حالة الحرب، وأماكن الضعف فيها، وبالتالي فعودتهم للدولة الإسلامية تعني إفادة الدولة بما يعرفون، ليساعد في التغلب على العدو، من ذلك فداء مسلم بن أبي مسلم الجرمي المتوفى في طرسوس عام 240هـ/854م، والذي كان في الأسر البيزنطي فترة طويلة نسبياً، وكان على معرفة بالثغور وأراضي الدولة البيزنطية، حتى انه صنف مؤلفات

---

[1] - الطبري، مصدر سابق، ج8، ص629. مرسي الشيخ، مرجع سابق، ص147.

في أخبار ملوك الروم، وبلادهم، وطرقهم، ومسالكهم، وأوقات الغزو إليهم، ورغم أن ما وصلنا من تلك المصنفات يعد جزءا بسيطا عالج التقسيمات الإدارية الخاصة للدولة البيزنطية، إلا أن الفائدة العظيمة التي تحتويها تغطي الجانب الجغرافي والاقتصادي، الأمر الذي يسهّل للدولة العباسية أي عملية عسكرية على أراضيها[1]، وهذا ما يجعل بعض الجهات تعتقد بأن مسألة وقوع أبو مسلم الجرمي مسألة مخطط لها مسبقا من الدولة العباسية[2].

7. إن ما تحقق من أهداف للسفارات وخاصة المتعلقة بالأسرى والهدن والمعاهدات والتي اتبع فيها نظاما خاصا، قد ترتب عليه إفراد اهتمام خاص بها، وكتبا سميت بكتب السير والتي تتناول أحكام الجهاد والحرب والصلح والأمان ومعاملة الأسرى، واشهر من كتب في ذلك الإمام الاوزاعي (ت157هـ/773م) في (كتاب السير) والقاضي أبو يوسف في (الرد على سير الاوزاعي) لاختلاف المذاهب، وتبعهم في ذلك محمد بن الحسن الشيباني[3] في كتاب (السير الصغير) وكتاب (السير الكبير) الذي اعتمد كمنهج سارت عليه الدولة العباسية فيما يجد عليها من أحكام وأمور، وهذا شبيه بما يسمى القانون الدولي[4].

8. عكست بعض السفارات أثناء القيام بمهام الفداء لقضايا دينية أثرت في السياسة العباسية مثل قضية خلق القرآن الكريم[5]، وهي قضية نادى أصحابها وعلى رأسهم الخليفة المأمون بالقول أن

---

[1]– المسعودي، التنبيه، ص178. عثمان، مرجع سابق، ج3، ص268.

[2]– رشاد، مرجع سابق، ص9.

[3]– انظر الفهرست، مصدر سابق، ص203.

[4]– مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص263. فازيليف، مرجع سابق، ص18.

[5]– القلقشندي، مصدر سابق، ص213.

القرآن الكريم مخلوق، حتى صار مذهباً للدولة العباسية، وعوقب كل من خالف المذهب، مثل احمد بن حنبل الذي أصر على انه كلام الله، واستمر كل من الخليفة المعتصم والخليفة الواثق على سيرة المأمون في أمر خلق القرآن، حتى أمر الخليفة الواثق بامتحان الأسرى في هذه القضية قبل فدائهم[1].

9. لم تصل العلاقات بين الدولة العباسية والإمبراطورية الفرنجية لحد التحالفات وإنما كانت علاقات ودية تجارية فقط.

10. ازدهرت الترجمة كنتيجة للزخم الثقافي الكبير المتوفر في الكتب التي وصلت إلى الدولة العباسية من خلال سفاراتها لمختلف الدول، فاعتبر بنو العباس العلم مقوماً أساسياً لبناء الدولة، وتطوير أجهزة الحكم الإسلامي فيها، وشجعوا نخبة كبيرة من المترجمين أمثال حنين بن اسحق[2]، على ترجمة أمهات الكتب الهندية والفارسية واليونانية بفنون الطب والهندسة والفلك

---

[1]- الطبري، مصدر سابق، ج9، ص141-144. المسعودي، التنبيه، ص178. فوزي، الخلافة، ج1، ص283-284.

[2]- هو حنين بن إسحاق العبادي، ولد بالحيرة سنة 194هـ/890م، طبيب من قبيلة عباد النصرانية درس الطب في بلاد الروم ودرس الفلسفة في الإسكندرية وفارس، ودرس اللغة العربية في البصرة ترجم كتب من اليونانية إلى السريانية والعربية، ذهب بلاد الروم وجاء بطرائف الكتب والمصنفات في الفلسفة والطب وغيرها، وله مؤلفات كثيرة وتوفي عام 260هـ/873م. انظر هونكه، مرجع سابق، ص186. ابن أبي اصيبعه، احمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط4، دار الثقافة، بيروت، 1987م، ج2، ص171، 244. الجميلي، رشيد، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، د.ط، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986م، ص245-271.

والفلسفة والأدب والطبيعة وغيرها، والعمل على دراستها، هذا فضلاً عن الأصول الخطية اليونانية التي حصل عليها السفراء بالمساومة[1]، وكل ذلك احتاج إلى علماء أرسل الخلفاء في طلبهم، الأمر الذي ساهم في تعزيز الروابط العلمية والثقافية بين الدول، بسبب ما يحدثه ذلك من إقرار علاقات المودة والسلام بينها ودعم الحركة الثقافية فيها.

11.كان للسفارات العلمية دور إيجابي في الرقي بالحياة العلمية في الدولة العباسية، حيث كانت علوم الفلك والرياضيات عند المسلمين في بدء ازدهارها بحاجة إلى الإفادة مما عند البيزنطيين من تراث يوناني ضخم في هذا المجال، فبعث الخلفاء برسلهم لأباطرة القسطنطينية سعيا إلى عقد اتفاقيات خاصة باستقبال السفارات العلمية الإسلامية الموفدة لديهم والعمل على تحقيق أغراضها.

وكان الدخول في تلك الاتفاقيات يتوقف على نوع العلاقات القائمة بين الدولتين في ذلك الحين فان كانت تتسم بالود والصداقة نجحت المفاوضات وسهلت مهام السفارات دون عقبات، أما إذا كانت متوترة تقوم الاتصالات بدور التمهيد لعلاقات ودية ومن ثمّ تصبح تلك السفارات العلمية إضافة لفضلها في توطيد العلاقات بين الدولتين عاملاً على استمرار العلاقات وتقويتها وسبيلاً للتعاون في تحقيق المصالح المشتركة، ونتيجة لذلك حصل الخليفة المأمون على كتب أفلاطون واقليدس وارسطوطاليس وابقراط وجالينوس وبطليموس وغيرهم، كما حصل على مكتبة من مكتبات الآستانة بعد أن طرحه كشرط على ميخائيل الثالث للصلح ووجد فيها كتب

---

[1]– عطية، مرجع سابق، ص200.

بطليموس في الرياضة السماوية وأمر بترجمته وسماه المجسطي[1]. وبذلك نقل التراث والعلوم والثقافات القديمة وأضافوا إليها الكثير والجديد، ولولا تلك الجهود وما أثمرت عنه تلك السفارات لكان قد ضاع الكثير مما هو مطمور من تراث علمي دون أن يستفاد منه.

12. لم تقف الفائدة العلمية التي عادت على الدولة العباسية على الكتب فقط بل تعدتها إلى زيارة الآثار والوقوف عليها بشكل أدى إلى إثراء كبير للثقافة وإنماء لشجرة العلم، مثل بعثة الكهف[2].

13. إن السفراء كانوا يستفيدون من كل ما يمرون عليه في سفاراتهم مثل محمد بن موسى الخوارزمي رئيس بيت الحكمة والذي أوفده مع بعثه إلى أفغانستان فتسلل إلى الهند واطلع على بعض ثقافاتهم وعلومهم ثم عاد لبغداد[3].

14. تبين لنا العلاقة القوية التي تربط بين الدولة العباسية والصين، والدليل سفارة عام 141هـ/658م المكونة من ستة أعضاء والتي وصلت إلى الصين في نفس وقت وصول سفارة من الاواغرة مكونة من ثمانين عضواً، حيث كُرمت كلا السفارتين بأن تم إدخالها كل منهما من باب مستقل[4]، والصين بذلك تبين منزلة الدولة العباسية لديها.

1- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، د.ط، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج2، ص109-116. عبد اللطيف، مرجع سابق، ص138.

2- انظر ما سبق ص97.

3- أسهم في الحركة العلمية زمن الخليفه المأمون وبرع في علم الرياضيات وترجم تراث اليونان توفي 235هـ/850م. ابن النديم، مصدر سابق، ص 383. منتصر، عبد الحليم، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ط8، دار المعارف، القاهرة، 1990م، ص107-108.عبد اللطيف، مرجع سابق، ص146.

4- الصيني، مرجع سابق، ص186.

15. إن صحت سفارة المنصور المتعلقة بمد يد المعونة من المنصور للصين فقد ترتب على السفارة نتيجة اجتماعية، لأن القوات العربية لم تعد لبلادها بل تزوج أفرادها في الصين، واستقروا هناك في مدن متفرقة بعد أن اشترطوا على ملك الصين شروطاً مهمة منها استقلالهم في إدارتهم الخصوصية وعبادتهم وأحكامهم، فضلا عن ممارستهم لطقوسهم الدينية بصورة علنية، واتخاذهم أئمة وقضاة يحكمون في أمورهم الشرعية[1].

16. نجح الخلفاء والأباطرة في تحقيق ما كانوا يسعون إليه من إدخال هيبتهم في نفوس بعضهم البعض من خلال السفارات التي كان من شأنها تبادل المصالح، فالتجارة أصبحت ذات رواج واسع، والتبادل العلمي اتسع نطاقه كما أن اغلب العلماء كانوا السبب في إرسال الخلفاء لسفارات من أجل طلب الوساطة في الحصول على الكتب والمؤلفات اليونانية القديمة بشكل رسمي، كما كان الحال في عهد الخليفة المأمون.

17. إن إرسال الهدايا يُعد غرضاً من ضمن أغراض السفارات ونستنتج من بعض أنواع الهدايا مدى تعدد الصناعات في بغداد حيث توافرت في اغلب الأحيان رؤوس الأموال فيها، في حين احتاجت إلى المواد الخام، والأيدي العاملة، والخبراء لتوجيه تلك الصناعات، واعتمد الحصول عليها بشكل كبير على علاقة الخلفاء الودية مع الدول الأخرى والاستفادة منها.

---

[1]- الشاروني، يوسف، أخبار الصين والهند لسليمان التاجر وأبي زيد السيرافي في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000م، ص37. ارنولد، سيرتوماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، ط3، القاهرة، 1970م، ص332. مصطفى، مرجع سابق، ص97.

الخاتمة

تم التوصل إلى عدة نتائج، تعد بمثابة نتائج عامة لموضوع المشروع البحثي، وهي كالتالي:

1. كشفت الدراسة أن الأوضاع الداخلية التي مرت بها الدولة العباسية كان لها أثر كبير في تحديد سياسة الخلفاء، والتي اتسمت بالحزم والإمساك بزمام الأمور وخاصة في عصرها الأول، حتى كان لتدخل العناصر الفارسية والتركية دور في إضعاف تلك القبضة وتخلخلها، بشكل اثّر في تعاملها مع الدول الأخرى وخاصة على الصعيد الخارجي.
2. وضحت الدراسة الدور الذي لعبه ديوان الرسائل في تنظيم أمور الدولة العباسية وعلاقاتها الخارجية من خلال السفارات والرسائل التي كان يحملها السفراء، ولذلك لمسنا مدى حرص الخلفاء على حسن اختيار من يقوم بمهام السفير.
3. أظهرت الدراسة أن سفارات الفترة العباسية تميزت ببروز غرض مميز لها طالما كان بدايته عداء بين الدولتين ونهايته هدنة وصلح ألا وهو غرض فداء الأسرى، الذي اتخذ صورا جماعية، وسار وفق تنظيمات معينة وعلى الخصوص بين الجانبين العباسي والبيزنطي.
4. بينت الدراسة اتساع مجال السفارات ذات الغرض الثقافي عما كان عليه سابقا أثّر بشكل إيجابي في الرقي الحضاري الذي شهدته تلك الفترة.
5. توصلت الدراسة إلى انه لم تتضح صورة جلية عن مصداقية السفارات المتبادلة بين الدولة العباسية والإمبراطورية الكارولونجية، والتي أدت إلى تحالفات سياسية مزعومة وحقوق في القدس، ويبدو أن الوضع لا يعدو علاقات ودية وتجارية بين البلدين.

6. أظهرت الدراسة صورة حضارية للهدايا التي تم تبادلها، والتي أبرزت بعض الثروات الوطنية لتلك الدول، ومدى الرقي الصناعي لبعض المنتجات التي كان يتم تبادلها بين الخلفاء العباسيين وملوك وأباطرة الدول الأخرى.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر العربية والمعربة:

1. القرآن الكريم.
2. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، 13 جزء، د.ط، دار صادر، بيروت، 1982م.
3. الازرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت250هــ/865م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ط3، بيروت، دار الأندلس، 1983م.
4. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ/1038م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 10 أجزاء، ط5، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1987م.
5. الأصفهاني، أبو الفرج (ت356هــ/966م)، كتاب الأغاني، تحقيق: لجنة من الأدباء، 24 جزء، د.ط، الدار التونسية، تونس، 1983م.
6. ابن أبى أصيبعه، أبي العباس احمد بن القاسم (ت668هــ/1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، جزءان، ط4، دار الثقافة، بيروت، 1987م.
7. ابن أعثم، أبى محمد أحمد الكوفي (ت314هـ/926م)، كتاب الفتوح، 8 أجزاء، ط1، دار الندوة الجديدة، بيروت، د.ت.
8. الأنطاكي، يحيى بن سعد بن يحيى (ت458هــ/1067م)، تاريخ الانطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، د.ط، جروس برس، لبنان، 1990م.
9. اينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة عادل زيتون، د.ط، دار الكتب الوطنية، حلب، د.ت.

10. البلاذري، أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892م)، انساب الأشراف، 3 اجزاء، د.ط، دار المعارف، القاهرة، 1959م.

11. ـــــــــــ، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

12. البيروني، محمد بن احمد (ت326هـ/937م)، الجماهر من معرفة الجواهر، د.ط، حيدر آباد، 1936م.

13. الأزدي، أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم (334هـ/945م)، تاريخ الموصل، د.ط، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1967م.

14. التنوخي، أبو علي الحسن بن علي (ت384هـ/994م)، الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، 5 أجزاء، د.ط، د.د، بيروت، 1978م.

15. ـــــــــــ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، 8 أجزاء، د.ط، شركة الفجر العربي، بيروت، 1971م.

16. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت255هـ/868م)، البيان والتبيين، تقديم وشرح علي أبو ملحم، 4 أجزاء، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م.

17. ـــــــــــ، التاج في أخلاق الملوك، د.ط، تحقيق ونشر دار الفكر، بيروت، 1955م

18. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت597هـ/1201م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: سهيل زكار، 13 جزء، د.ط، دار الفكر، بيروت، 1995م.

19. الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت331هـ/942م)، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1980م.

20. الحموي، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م)، معجم الأدباء، 20 جزء، ط3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، 1980م.

21. ـــــــــ، معجم البلدان، 7 أجزاء، ط2، دار صادر، بيروت، د.ت.

22. ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت في حدود 300هـ)، المسالك والممالك، تقديم محمد مخزوم، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1988م.

23. الخطيب البغدادي، أبي بكر احمد بن علي(ت463هـ/1070م) تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463 هـ، 14 جزء، د.ط، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د.ت.

24. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م)، تاريخ ابن خلدون ، 7 أجزاء، د.ط، مؤسسة جمّال للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.

25. ـــــــــ، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، ط2، المكتبة العصرية، بيروت، 1996م.

26. ابن خلكان، احمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، 8 أجزاء، د.ط، دار صادر، بيروت، 1970م.

27. الخوارزمي، أبي عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الكاتب(ت387هـ/997م)، مفاتيح العلوم، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1981م.

28. ابن خياط، خليفة، تاريخ خليفة بن خياط (ت240هـ/854م)، تحقيق مصطفى نجيب وحكمت كشلي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م

29. ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن أبى علي (ت633هـ/1235م)، كتاب النبراس في تاريخ بني عباس، تعليق مديحه الشرقاوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2001م.

30. ابن دقماق، إبراهيم بن محمد (ت809هـ/1406م)الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، د.ط، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 1982م

31. ديفز، هـ. و. كارلس، شارلمان، تعريب السيد الباز العريني، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959م.

32. الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داود (ت282هـ/895م)، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، د.ط، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

33. الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت748هـ/1347م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، 4 أجزاء، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985م.

34. الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1374م)، تذكرة الحفاظ، 4 أجزاء، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1970م.

35. ـــــــــــــ، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط وعلي أبو زيد، 23 جزء، ط3، مؤسسة الرسالة، سوريا، 1985م.

36. الرازي، محمد بن أبي بكر (ت بعد 1268ه/1851م)، مختار الصحاح، عني بترتيبه محمود الخاطر، د.ط، دار التنوير، بيروت، 1987م.

37. الزبيدي، محمد مرتضى(ت1205ه/1790م)، تاج العروس من جواهر القاموس، 10 أجزاء، ط1، المطبعة الخيرية، 1888م.

38. ابن الزبير، القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، د.ط، الكويت، 1959م.

39. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، 9 أجزاء، د.ط، دار صادر، بيروت، 1968م.

40. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري (ت911ه/1505م) تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي ومحمد العثماني، ط1، دار القلم، بيروت، 1986م.

41. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد (ت548هـ/1153م)، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، جزءان، د.ط، دار المعرفة، بيروت، 1961م.

42. شهريار الناخذاه، بُرزك (ت ق4هـ/10م)، عجائب الهند، تحقيق:عبد الله محمد الحبشي، د.ط، المجمع العلمي، أبو ظبي، 2000م.

43. الصابي، أبي الحسن الهلال بن المحسن (ت448هـ/1056م)، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، ط2، دار الآفاق العربية، 2003م.

44. الصاحب، إسماعيل بن عباد (ت385هـ/995م) المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن آل ياسين، 11 جزء، ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 1994م.

45. الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت764هـ/1362م)، كتاب الوافي بالوفيات، د.ط، د.م، 1983م.

46. الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت310ه/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 13 جزء، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1979م.

47. الطيب الفاسي، محمد بن احمد بن علي (ت832هـ/1428م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء، جزءان، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

48. ابن عبد ربه، احمد بن محمد (ت328هـ/939م) ، كتاب العقد الفريد، 5 أجزاء، ط1، دار الأندلس، بيروت، 1988م.

49. العبري، غريغوريوس بن أهرون (ت685ه/1286م)، تاريخ مختصر الدول، وقف على تصحيحه وفهرسته الأب انطون صالحاني اليسوعي، د.ط، دار الرائد اللبناني، بيروت، 1983م.

50. ابن عذارى، محمد المراكشي (ت ق7هـ/13م)، كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4 أجزاء، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1883م.

51. ابن عساكر، علي بن الحسن (ت572هـ/1176م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: سكينة الشهابي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1982م.

52. ابن عماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، 8 أجزاء، د.ط، بيروت، د.ت.

53. ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت580هـ/1184م)، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، ط2، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، 1982م.

54. الفاسي، عبد الله بن يوسف بن رضوان، الشهب اللامعة في السياسة النافعة (ت784هـ/1382م)، تحقيق: سليمان معتوق الرفاعي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م.

55. ابن الفرا، أبي علي الحسين بن محمد (ت458هـ/1092م)، كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1972م.

56. الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت277هـ/890م)، المعرفة والتاريخ، تحقيق: اكرم ضياء العمري، د.ط، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1976م .

57. ابن فضل الله العمري، احمد بن يحيى (ت742هـ/1341م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تعليق احمد زكي باشا، 27 جزء، د.ط، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، 1988م.

58. ابن فضلان، احمد بن العباس بن راشد (ت ق4هـ/10م)، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان ، ط2 ، دمشق، 1978م.

59. الفقيه الهمذاني، احمد بن محمد (ت290هـ/1496م)، مختصر كتاب البلدان، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م.

60. الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب (ت817ه/1415م)، القاموس المحيط، 4 أجزاء، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1952م.

61. ابن قتيبة، أبو عبد الله محمد بن مسلم (ت276هـ/889م)، كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد الاسكندراني، 4 أجزاء، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م

62. القرماني، احمد بن يوسف (ت1019هـ/1610م)، أخبار الدول وترتيب الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط وفهمي سعد، ج2، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1992م.

63. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت682ه/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، د.ط، دار بيروت، بيروت، 1984م.

64. ـــــــــــ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، د.ط، دار الشرق العربي، بيروت، د.ت.

65. القلعي، أبو عبد الله محمد بن علي (ت630هـ/1232م) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، د.ط، مكتبة المنار، الأردن، 1985م.

66. القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي بن احمد الفزاري (ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، 14جزء، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

67. ـــــــــــ، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج، 3 أجزاء، د.ط، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1964م.

68. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت774هـ/1373م)، البداية والنهاية، 5 أجزاء، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1967م.

69. الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م.

70. ـــــــــــ، نصيحة الملوك، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1983م.

71. ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 6 أجزاء، تحقيق جمال محمد محرز وفهيم محمد شلوت، د.ط، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1971م.

72. المبرد، أبي العباس محمد بن يزيد (ت285هـ/898م)، الكامل في اللغة والأدب، جزءان، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م.

73. ابن المرتضى، احمد بن يحيى (ت841هـ/1437م)، طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنة ديفيلد- فلزر، د.ط، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1960م.

74. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م)، التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1981م.

75. ـــــــــ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وتقديم مفيد محمد قميحة، 4 أجزاء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

76. مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ/1030م)، تجارب الأمم، 6 أجزاء، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

77. المقدسي، محمد بن احمد بن أبى بكر البناء (ت387هـ/997م)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987م.

78. المقريزي، أبو العباس احمد بن علي (ت845هـ/1441م)، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار، جزءان، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987م.

79. ـــــــــ، السلوك لمعرفة دول الملوك، 4 أجزاء، ط2، قام بنشره محمد مصطفى زيادة، د.ط، دار الحكمة للطباعة والنشر، القاهرة، 1970م.

80. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن احمد (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، 18 جزء، د.ط، دار صادر، بيروت، 1994م.

81. ابن نباتة، محمد بن محمد(ت768هـ/1384م)، سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1957م.

82. ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت380هـ/990م)، الفهرست، تحقيق مصطفى الشويمي، ط1، تونس، الدار التونسية، 1985م.

83. وكيع، محمد بن خلف بن حيّان (ت306هـ/918م)، <u>أخبار القضاة</u>، مراجعة محمد سعيد اللحام، ط1، عام الكتب، بيروت، 2001م.

84. اليعقوبي، احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب (ت292ه/904م) <u>تاريخ اليعقوبي</u>، تعليق خليل منصور، جزءان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

1. أدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980م.

2. الأرمنازي، نجيب. الشرع الدولي في الإسلام، د.ط، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، دت.

3. الأرمني، فاردان. التاريخ العام، نسخة فرنسية مترجمة بعنوان الحكم العربي في أرمينية، د.ط، نشر مويلد رمانز، باريس، 1927م.

4. أرنولد، سيرتوماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م.

5. أطهر المباركبوري، القاضي أبو المعالي عبد الحفيظ بن الشيخ محمد حسن، رجال السند والهند إلى القرن السابع، ط1، دار الأنصار، شارع الجمهورية، عابدين، 1977م.

6. أمين، أحمد، ضحى الإسلام، 3 أجزاء، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

7. الأمين، شريف يحيى، معجم الفرق الإسلامية، ط1، دار الأضواء، بيروت، 1986م.

8. بارتولد، فاسيلي فلاديمير. تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم. ط1، الكويت، 1981م.

9. بروكلمان، كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية. تعريب نبيه أمين ومنير البعلبكي، د.ط، دار العلم للملايين، بيروت، 1998م.

10. بينز، نورمان، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950م

11. التابعي، محمد السفير، السفارات في الإسلام، مكتبة مدبولي، د.ط، القاهرة، 1997م.

12. توفيق، عمر كمال، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين " دراسات تحليلية وثائقية في التاريخ الدبلوماسي"، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986م.

13. التهانوي، محمد علي الفاروقي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963م

14. الجميلي، رشيد، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، د.ط، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986م.

15. جوزيف، نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية 248-1453م، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994م.

16. جهامي، جيرار، موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1999م.

17. حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، 4 أجزاء، ط7، دار الأندلس، بيروت، 1964م.

18. حسن، رضا السيد، المعارك والأسر بين العرب والروم، ط2، الدار العالمية، الأردن، 1992م.

19.حسين، صابر محمد دياب، أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري، د.ط، دار النهضة العربية، مصر، 1978م.

20.حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية الإدارية العائدة للعصر الأموي (40-132هـ/661-750م)، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.

21. خدوري، مجيد، الصلات الدبلوماطيقية بين هارون الرشيد وشارلمان، د.ط، د.د، بغداد، 1983م.

22. خطاب، محمود شيت، السفارات النبوية، د.ط، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1989م.

23. خماش، نجدة، الإدارة في العصر الأموي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1980م.

24. الخضري، محمد بن عفيفي، الدولة العباسية، د.ط، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، 1989م.

25. الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول" دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي"، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1988م.

26. الربداوي، محمود، دراسات في اللغة والأدب والحضارة، القسم الأول، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.

27. ربيع، حسين محمد، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط7، دار النهضة العربية، القاهرة،2000م.

28. رستم، أسد. الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ج1، ط1، مكتبة الجامعة الأردنية، بيروت، 1955م.

29. الرفاعي، أنور، النظم الإسلامية، ط1، دار الكر، دمشق، 1992م.

30. رشاد، عبد المنعم، أحوال الأسرى المسلمين في الدولة البيزنطية، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ، بحث غير منشور من مقتنيات د. فاروق عمر فوزي.

31. زيغريد، هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب " أثر الحضارة العربية في أوربا"، ترجمة فاروق بيضون وآخر، د.ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1986م.

32. سالم، السيد عبد العزيز وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

33. سالم، السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب، ج3، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1977م.

34. السامرائي، حسام الدين، المؤسسات الادراية في الدولة العباسية خلال الفترة (247-334هـ/861-945م) ، د.ط، دار الفكر العربي، د.م ، د.ت.

35. الشاروني، يوسف، أخبار الصين والهند لسليمان التاجر وأبي زيد السيرافي في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000م.

36. الشذر، طيبة صالح، الألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، د.ط، دار قباء لطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.

37. شلبي، احمد، العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1987م.

38. الصالح، صبحي، النظم الإسلامية وتطورها، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1990م.

39. صقر، نادية حسني، السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول" دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله"، ط 1، دار الندوة، بيروت، 1985م

40. الصيني، بدر الدين حي، العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، ط1، مصر، 1950م.

41. عبد اللطيف، احمد توني. العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية من عام (132-232هـ)رؤية حضارية، د.ط، مركز إسكندرية للكتاب، الازاريطة، 2004م.

42. عثمان، فتحي، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، 3 أجزاء، الدار القومية للطباعة والنشر، الجزائر، 1966م.

43. العدوي، إبراهيم أحمد، الأمويون والبيزنطيون البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية، ط2، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963م.

44. العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية 323-1081م ، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م.

45. عطية، عزيز سوريال، العلاقات بين الشرق والغرب (تجارية-ثقافية-صليبية)، ترجمة فيليب صابر سيف، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1972م

46. عفيفي، محمد الصادق، تطور التبادل الدبلوماسي في الإسلام، د.ط، مكتبة جامعة اليرموك، الأردن، 1986م.

47. علي، وفاء محمد، الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، ط1،دار الفكر العربي، القاهرة، 1988م.

48. أبو عزة، عبد الله، الخليج العربي في العصر الإسلامي (دراسة تاريخية حضارية) مكتبة الفلاح، ط1، الكويت، 2001م.

49. العسكري، سليمان إبراهيم، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، د.ط، مطبعة المدني، القاهرة، 1972م.

50. العش، محمد أبو الفرج، النقود العمانية من خلال التاريخ الإسلامي، د.ط، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، العدد54، 1984م.

51. الغفاري، علي عبد القوي، الدبلوماسية القديمة والمعاصرة، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2002م.

52. فازيليف، العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة وفؤاد حسنين علي، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1934م.

53. فراج، عز الدين. فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة ، د.ت .

54. فودة، عز الدين، النظم الدبلوماسية، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، 1989م.

55. فوزي، فاروق عمر، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين (دراسات نقدية في تفسير التاريخ)، ط1، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، 1980م.

56. ______، الثورة العباسية: دراسة تاريخية لواجهاتها الدينية والسياسية ولدور العرب في نجاحها (98-132هـ/716-749م)، ط1، دار الشروق، الأردن، 2001.

57. ______، الجذور التاريخية الوزارة العباسية "دراسة تحليلية نقدية قراءة سورديل عن الوزراء العباسيين وأبحاث أخرى"، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.

58. ______، الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي (41هـ/661م-334هـ/956م) دراسة تاريخية، ط1، دار مجدلاوي، الأردن، 2005م.

59. ______، الخلافة العباسية (عصر القوة والازدهار)، ج1، ط1، دار الشروق، الأردن، 2003م.

60. ______، الخلافة العباسية (عصر السقوط والانهيار)، ج2، ط1، دار الشروق، الأردن، 2003م.

61. ـــــــــــ، العباسيون الأوائل (132-147هـ/749-861م) الثورة الدولة المعارضة، ط1، دار مجدلاوي، الأردن، 2003م.

62. ـــــــــــ، المشرق الإسلامي منذ منتصف القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي حتى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، د.ط،جامعة آل البيت، الأردن، 1996م.

63. قدورة، زاهية، الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988م.

64. القوصي، عطية، تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، د.ط، الكويت، وحدة البحث والترجمة، 1980م.

65. المحلي، محمد بن أحمد. والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، د.ط، دار المأمون للتراث، دمشق، 2000م.

66. محمود، حسن احمد. الشريف، أحمد إبراهيم، العالم الإسلامي في العصر العباسي، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1995م.

67. المدور، جميل نخلة، تاريخ العراق في عصر العباسيين المسمى حضارة الإسلام في دار السلام، د.ط، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003م.

68. المسري، علي حسين، تجارة العراق في العصر العباسي، جامعة الكويت، الكويت، 1982م.

69.مصطفى، شاكر دولة بني العباس، جزءان، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973م.

70. منتصر، عبد الحليم، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ط8، دار المعارف، القاهرة، 1990م.

71. المنجد، صلاح الدين، النظم الدبلوماسية في الإسلام، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1983م.

72. الموسوعة العربية الميسرة، ج4، ط2، دار الجيل، بيروت، 2001م.

73. مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، د.ط، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص440-446.

74. نوري، موفق سالم، العلاقات العباسية البيزنطية 132-247هـ/750-861م " دراسة سياسية حضارية"، ط1، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 1990م

75. النووي، يحيى بن شرف (ت1277هـ/1860م)، ط1، رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

76. الوائلي، عبد الحكيم، موسوعة الأحجار الكريمة، ط1، دار أسامة، د.م، 2001م.

77. ياسين، عبد علي، تاريخ صدر الإسلام من البعثة النبوية إلى نهاية الدولة الأموية، ط1، دار يافا العلمية، عمان، 2001م.

ثالثاً: المراجع والبحوث الأجنبية:

- Barthold, V.V. Turkestan down to the Mongol Invasion. 2nd ed. GMS (New Series), 5. Luzac and Co., 1928.
- B. lewis, Government, society and economic life under the Abbaside and Fatimids in C.M.H., new ed.
- Brehier,L.Constantin et la Fondation de Constantionople, Byzantion,Vol. XIX (1949)
- Buckler . Harun Al-Rashid and Charles the Great , Massachusetts, U.S.A,1931
- Chan Shin-hug. Ancient China, s Relation with the Arabs.n.d.
- Encyclopaedia of Islam 1913-1936. E.J.Brills. Leiden. New yourk. Koln. 1993.
- Runciman . Charlemagne and Palestine , English Historical review , London, vol.1 ,1924.

رابعاً: البحوث والمقالات العربية في الدوريات:

1. إبراهيم، محمد المكي، الاستقبالات الدبلوماسية في بلاطات الخلفاء، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ع213، م18، 1994م.

2. عطا الله، سمير، العلاقات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ع306، م26، 2002م.

3. عنان، محمد عبد الله، السفارات الخلافية والسلطانية وعلائق الإسلام والنصرانية، مجلة الرسالة، القاهرة، ع88، 1935م.

4. غنيمة، يوسف، " الخلافة العباسية والدولة الفرنسية "، مجلة الهلال، القاهرة، ج5، د.ت

5. فتح الباب، حسن. السفارات الإسلامية في عهد الدولة العباسية، مجلة الخفجي، المملكة العربية السعودية، المنطقة الشرقية، ع 6، م 28 ، 1998م.

6. فروخ، عمر. المأمون ومكانته في السياسة والفكر والعلم، مجلة الباحث، بيروت، ع2، 1982م.

7. فوزي، فاروق عمر، نظرات في سياسة الخليفة العباسي المتوكل (232هـ/847م-247هـ/861م)، المجلة التاريخية العراقية، مطبعة الجامعة، بغداد، ع2، 1972م.

8. مرسي الشيخ، محمد محمد. سياسة الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل "ثيوفيلوس" تجاه الخلافة العباسية (214-227هـ/829-842م)، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، الرياض، ع3، 1979م.

9. مصطفى، مازن مجيد، العلاقات السياسية والدبلوماسية بين العرب والصين، مجلة آفاق عربية، بغداد، ع1- 2، 1983م.

10. الملحم، محمد بن ناصر بن احمد، العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية في عهد الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م)، جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، الرياض، ج12، ع20، 2000م.

الملاحق

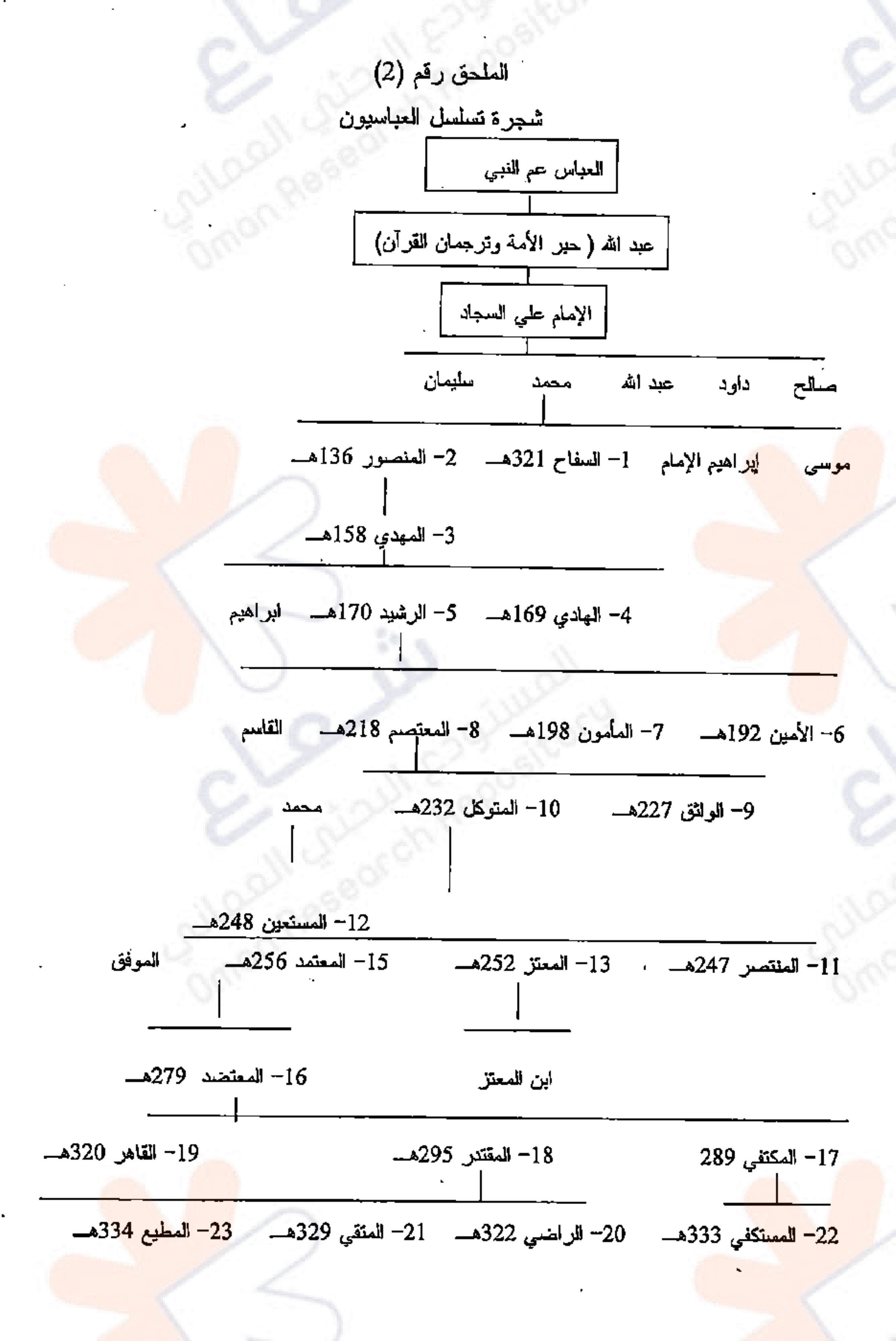
الملحق رقم (1)

معركة الزاب 132هـ/750م



الملحق رقم (2)

شجرة تسلسل العباسيون

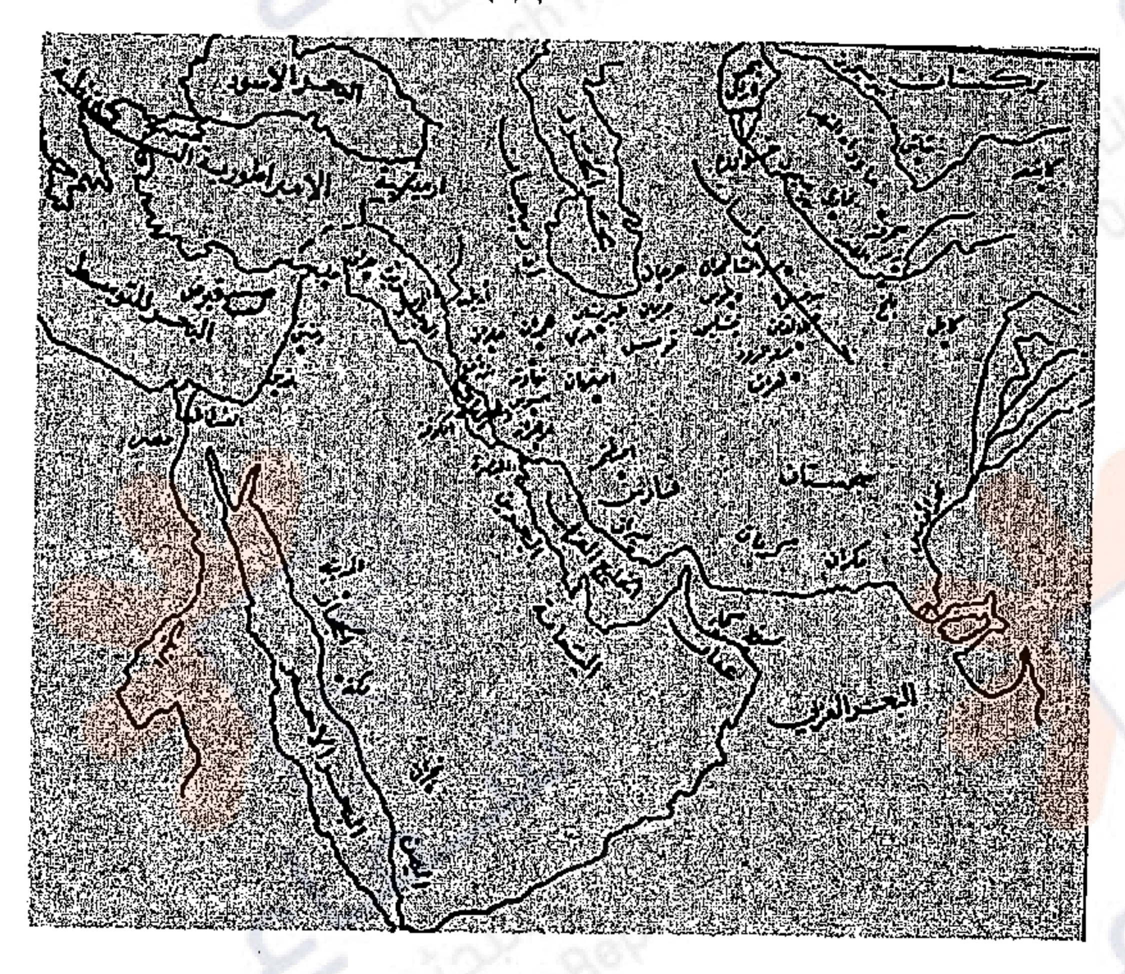


الملحق رقم (3)

بلاد الروم وأهم الثغور

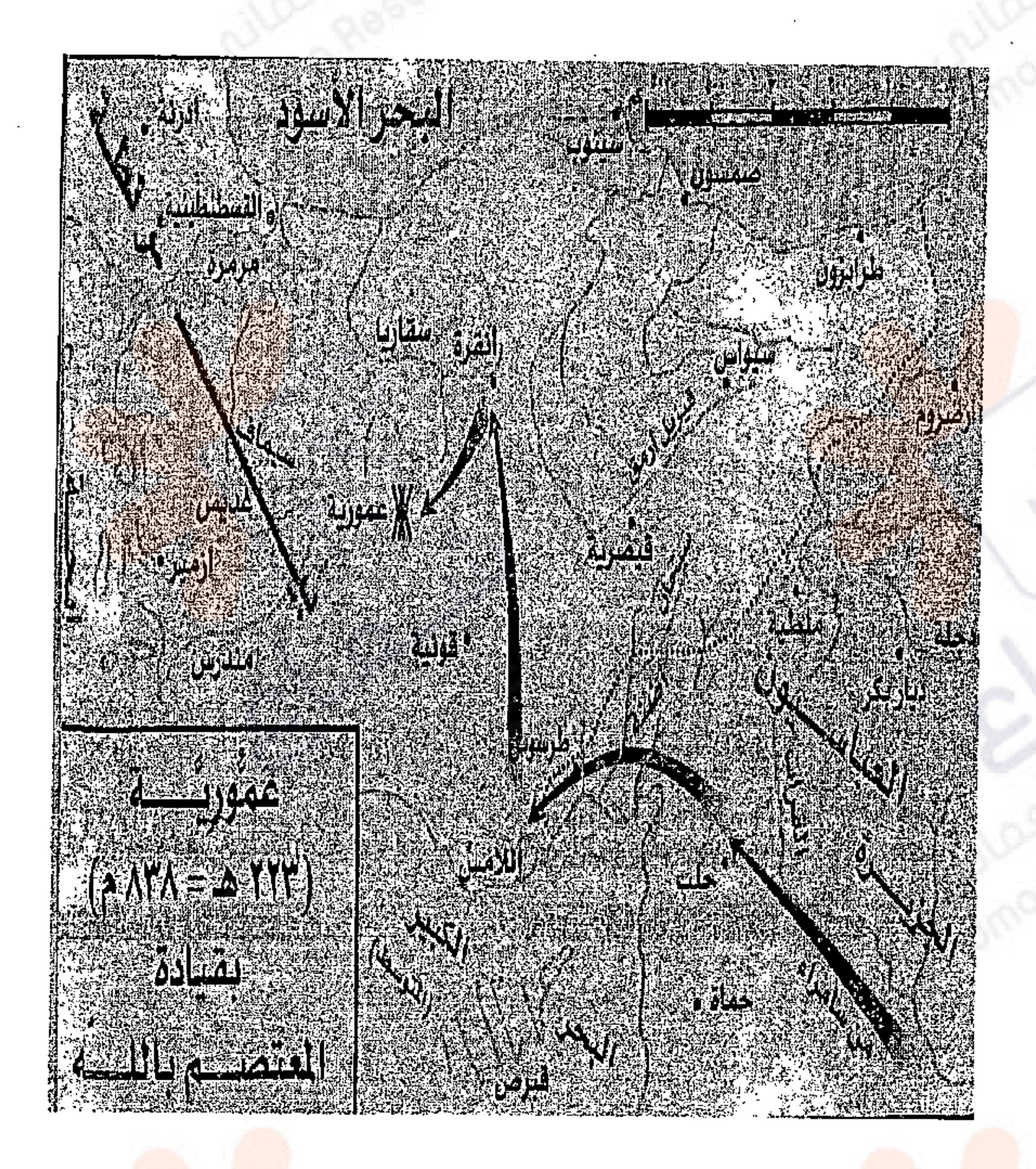


الملحق رقم (4)



الملحق رقم (5)

معركة عمورية 223هـ/838م



الملحق رقم (6)

إقليما الجزيرة وأذربيجان، مع أقاليم الحدود الشمالية الغربية



الملحق رقم (7)

أقاليم آسية الجنوبية الغربية في أيام الخلافة العباسية

